تاریخ الجبری



اهداءات ٢٠٠٠

المهندس راداميس اللقانى

الإسكندرية

كتاب الشعب
٢٧

المختار من

تاريخ الجبرتي

اختيار
محمد قنديل البقلي

مطابع الشعب
١٩٥٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القديم الأول ، الذى لا يزول ملكه ولا يتحول . خالق الخلائق ، وعالم الذرات بالحقائق . مفنى الأمم ، ومحيى الرمم ، ومعيد النعم ، ومبيد النقم ، وكاشف الغمم ، وصاحب الجود والكرم .. لا اله الا هو ، كل شيء هالك الا وجهه ، له الحكم واليه ترجعون .

وأشهد أن لا اله الا الله تعالى عما يشركون ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الى الخلق أجمعين ، المنزل عليه نبأ القرون الأولين . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما تعاقبت الأيام والليالى ، وتداولت السنون والأعوام .

وبعد ، فيقول الفقير عبد الرحمن بن حسن الجبرتى الحنفى غفر الله له ولوالديه ، وأحسن اليهما واليه :

انى كنت سودت أوراقا فى حوادث آخر القرن الثانى عشر وما يليه ، وأوائل الثالث عشر الذى نحن فيه .. جمعت فيها بعض الوقائع اجمالية ، وأخرى محققة تفصيلية . وغالبها محن أدركناها ، وأمور شاهدناها . واستطردت فى ضمن ذلك سوابق سمعتها ، ومن أفواه الشيخة (١) تلقيتها ، وبعض تراجم الأعيان المشهورين ، من العلماء والأمراء المعتبرين ، وذكر لُمَع من أخبارهم وأحوالهم ، وبعض تواريخ مواليدهم ووفياتهم .. فأحببت جمع شملها وتقييد شواردها فى أوراق متسقة النظام ، مرتبة على السنين والأعوام : ليسهل على الطالب النبيه المراجعة ، ويستفيد ما يرومه من المنفعة . ويعتبر المطلع على الخطوب الماضية ليتأسى اذ لحقه مصاب ، ويتذكر بحوادث الدهر انما يتذكر أولو الألباب ، فانها حوادث غريبة فى بابها ، متنوعة فى عجائبها .

وسميته « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » .

وانا لنرجو ممن اطلع عليه ، وحل بمحل القبول لديه ، ألا ينسانا من صالح دعواته . وأن يغض عما عثر عليه من هفواته .

❊ ❊ ❊

اعلم أن التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ، ورسومهم وعاداتهم ، وصناعاتهم وأنسابهم ووفياتهم

وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسلاطين وغيرهم .

والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية من حيث هى ، وكيف كانت ، وفائدة العبرة بتلك الأحوال ، والتنصح بها ، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن ليحترز العاقل عن مثل أحوال الهالكين ، من الأمم المذكورة السالفين ، ويستجلب خيار أفعالهم ، ويتجنب سوء أقوالهم ، ويزهد فى الفانى ، ويجتهد فى طلب الباقى ..

❊ ❊ ❊

وأول واضع له فى الاسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك حين كتب أبو موسى الأشعرى الى عمر أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندرى على أيها نعمل . فقد قرأنا صكا محله شعبان ..

(١) الشيخة : جمع شيخ .

فما ندرى أى الشعبانين : أهو الماضى أم القابل !

وقيل : رفع لعمر صك محله شعبان فقال : أى شعبان : هذا هو الذى نحن فيه ، أو الذى هو آت؟

ثم جمع وجوه الصحابة رضى الله عنهم وقال : ان الأموال قد كثرت ، وما قسمناه غير مؤقت . فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك ؟

فقال له الهرمزان — وهو ملك الأهواز وقد أسر عند فتوح فارس وحمل الى عمر وأسلم على يديه : ان للعجم حسابا يسمونه « ماه روز » ، ويسندونه الى من غلب عليهم من الأكاسرة . فعربوا لفظة « ماه روز » بـ « مورخ » ومصدره « التاريخ » ، واستعملوه فى وجوه التصريف .

.. وقيل ان تواريخ الفرس غير مسندة الى مبدأ معين ، بل كلما قام منهم ملك ابتدأوا التاريخ من لدن قيامه وطرحوا ماقبله . فاتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الاسلام من لدن هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد ، بخلاف وقت ولادته ووقت مبعثه صلى الله عليه وسلم .

وكان للعرب فى القديم من الزمان بأرض اليمن والحجاز تواريخ يتعارفونها خلفا عن سلف الى زمن الهجرة . فلما هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وظهر الاسلام ، وعلت كلمة الله تعالى ، اتخذت هجرته مبدأ لتاريخها ، وسميت كل سنة باسم الحادثة التى وقعت فيها ، وتدرج هذا الى سنة سبع عشرة من الهجرة فى زمن عمر . فكان اسم :

السنة الأولى : سنة الاذن (بالرحيل من مكة الى المدينة)

السنة الثانية : سنة الأمر (أى الأمر بالقتال) الى آخره ...

* * *

وقال أصحاب التواريخ ان العرب فى الجاهلية كانت تستعمل شهور الأهلة ، وتقصد مكة للحج . وكان حجهم وقت عاشر الحجة كما رسمه سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام .

ولكن لما كان « الحج » لا يقع فى فصل واحد من فصول السنة ، بل يختلف موقعه منها بسبب تفاضل ما بين السنة الشمسية والقمرية ، ووقوع أيام الحج فى الصيف تارة وفى الشتاء أخرى — وكذا فى الفصلين الآخرين — أرادوا أن يقع حجهم فى زمان واحد لا يتغير ، وهو وقت ادراك الفواكه والغلال ، واعتدال الزمن فى الحر والبرد .. ليسهل عليهم السفر ، ويتجروا بما معهم من البضائع والأرزاق مع قضاء مناسكهم .

فشكوا ذلك الى أميرهم وخطيبهم فقام فى الموسم ، عند اقبال العرب من كل مكان ، فخطب ثم قال : أنا أنشأت لكم فى هذه السنة شهرا أزيده فتكون السنة ثلاثة عشر شهرا ، وكذلك أفعل فى كل ثلاث سنين أو أقل — حسبما يقتضيه حساب وضعته — ليأتى حجكم وقت ادراك الفواكه والغلال فتقصدوننا بما معكم منها .

فوافقت العرب على ذلك ومضت الى سبيلها . فنسأ المحرم وجعله كبيسا ، وأخره الى صفر ، وصفر الى ربيع الأول ، وهكذا .. فوقع الحج فى السنة الثانية فى عاشر المحرم ، وهو ذو الحجة عندهم وآخر السنة . فوقع فى السنة الأولى محرمان الأول رأس السنة ، والآخر فى النسىء ، وعدد الشهور ثلاثة عشر .

وبعد انقضاء سنتين أو ثلاث ، وانتهاء نوبة الكبيس — أى الشهر الذى كان يقع فيه الحج — وانتقاله الى الشهر الذى بعده ، قام فيهم خطيب وتكلم بما أراد ثم قال : « انا جعلنا الشهر الفلانى

من السنة الثالثة الداخلة . للشهر الذى بعده » . ولهذا فسر النسيء بالتأخير . كما فسر بالزيادة .

وكانوا يديرون النسيء على جميع شهور السنة بالنوبة ، حتى يكون لهم مثلا فى سنة محرمان ، وفى أخرى صفران . ومثل هذا بقية الشهور . فاذا آلت النوبة الى الشهر المحرم قام لهم خطيبا فينبئهم أن هذه السنة قد تكرر فيها اسم الشهر الحرام ، فيحرم عليهم واحدا منها بحسب رأيه على مقتضى مصلحتهم .

فلما انتهت النوبة فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم الى ذى الحجه ، وتم دور النسيء على جميع الشهور . حج صلى الله عليه وسلم فى تلك السنة حجة الوداع ، وهى السنة العاشرة من الهجرة ، لموافقة الحج فيها عاشر الحجة . ولهذا لم يحج صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة حين حج أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ، لوقوعه فى عاشر ذى القعدة .

فلما حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع خطب وأمر الناس بما شاء الله تعالى ، ومن جملته : « ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » — يعنى رجوع الحج الى الموضع الأول كما كان فى زمن سيدنا ابراهيم صلوات الله تعالى عليه

ثم تلا قوله تعالى : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم . ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافه . واعلموا أن الله مع المتقين . انما النسيء زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا : يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله . زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدى القوم الكافرين » .

ومنع العرب من هذا الحساب ، وأمر بقطعه والاستمرار بوقوع الحج فى أى زمان أتى من فصول السنة الشمسية فصارت شهورهم دائرة فى الفصول الأربعة ، والحج واقع فى كل زمان منها كما كان فى زمن ابراهيم الخليل عليه السلام

* * *

وفن التاريخ علم تندرج فيه علوم كثيرة : لولاه ما ثبتت أصولها ، ولا تشعبت فروعها .. وأما الكتب المصنفة فيه فكثيرة جدا .. وهذه (الكتب) صارت أسماء من غير مسميات . فانا لم نر من ذلك كله الا بعض أجزاء مدشتة بقيت فى بعض خزائن الأوقاف بالمدارس . مما تداوله أيدى الصحافيين وباعها القومة والمباشرون ، ونقلت الى بلاد المغرب والسودان . ثم ذهبت بقايا البقايا فى الفتن والحروب ، وأخذ الفرنسيس ماوجدوه الى بلادهم ..

* * *

ولما عزمت على جمع ماكنت سودته أردت أن أوصله بشىء قبله . وكنت ظفرت بتاريخ من تلك الفروع ، لكنه على نسق فى الجملة مطبوع . لشخص يقال له أحمد چلبى بن عبد الغنى ، ابتدأ فيه من وقت تملك بنى عثمان للديار المصرية (٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م) ، وينتهى ، كغيره مما ذكرناه ، الى خمسين ومائة وألف هجرية (١٧٣٧ م) .

.. فرجعنا الى النقل من أفواه الشيخة المسنين ، وصكوك دفاتر الكتبة والمباشرين ، وما انتقش على أحجار ترب المقبورين ..

ولم أقصد بجمعه خدمة ذى جاه كبير ، أو طاعة وزير أو أمير . ولم أداهن فيه دولة بنفاق ، أو مدح أو ذم مباين للاخلاق .. لميل نفسانى ، أو غرض جسمانى ..

مقدمة

اعلم أن الله تعالى لما خلق الأرض ودحاها ، وأخرج منها ماءها ومرعاها ، وبث فيها من كل دابة وقدر أقواتها .. أحوج بعض الناس الى بعض فى ترتيب معايشهم ومآكلهم ، وتحصيل ملابسهم ومساكنهم . لأنهم ليسوا كسائر الحيوانات التى تحصل ما تحتاج اليه بغير صنعة .

فان الله تعالى خاق الانسان ضعيفا لا يستقل وحده بأمر معاشه ، لاحتياجه الى غذاء ومسكن ، ولباس وسلاح . فجعلهم الله تعالى يتعاضدون ويتعاونون فى تحصيلها وترتيبها : بأن يزرع هذا لذاك ، ويخبز ذاك لهذا . وعلى هذا القياس تتم سائر أمورهم ومصالحهم .

وركز فى نفوسهم الظلم والعدل . ثم مست الحاجة بينهم الى سائس عادل ، وملك عالم ، يضع بينهم ميزانا للعدالة ، وقانونا للسياسة توزن به حركاتهم وسكناتهم ، وترجع اليه طاعاتهم ومعاملاتهم ، فأنزل الله كتابه بالحق ، وميزانه بالعدل . كما قال تعالى : « الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان » .

قال علماء التفسير : المراد بالكتاب والميزان : العلم والعدل ..

.. والعدالة تابعة للعلم بأوساط الأمور ، المعبر عنها فى الشريعة بالصراط المستقيم . وقوله تعالى : « ان ربى على صراط مستقيم » اشارة الى أن العدالة الحقيقية ليست الا لله تعالى .. فهو العادل الحقيقى الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ووضع كل شيء على مقتضى علمه الكامل ، وعدله الشامل .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « بالعدل قامت السموات والأرض » اشارة الى عدل الله تعالى الذى جعل لكل شيء قدرا .. لو فرض فارض زائدا عليه أو ناقصا عنه لم ينتظم الوجود على هذا النظام بهذا التمام والكمال .

.. روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان أحب الناس الى الله تعالى يوم القيامة ، وأقربهم منه : امام عادل . وان أبغض الناس الى الله تعالى ، وأشدهم عذابا يوم القيامة : امام جائر » .

فمن عدل فى حكمه ، وكف عن ظلمه .. نصره الحق ، وأطاعه الخلق ، وصفت له النعمى ، وأقبلت عليه الدنيا..فتهنأ بالعيش ، واستغنى عن الجيش(١) وملك القلوب ، وأمن الحروب ، وصارت طاعته

(١) يريد الجيش يتخذه الحاكم للبطش بشعبه ، لا للذود عن هذا الشعب وحمل امانته .

فرضا ، وظلت رعيته جندا ، لأن الله تعالى ما خلق شيئا أحلى من العدل ، ولا أروح الى القلوب من الانصـاف ، ولا أمر من الجور ، ولا أشـنع من الظلم .

وروى ابن يسار عن أبيه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أيما وال ولى من أمر أمتى شيئا ، فلم ينصح لهم ويجتهد — كنصيحته وجهده لنفسه — كبه الله على وجهه يـوم القيامة فى النـار » .

* * *

اللهم بحرمة سيد الأنام ، يسر لنا حسن الختام .
واصرف عنا سوء القضاء ، وانظر لنا بعين الرضاء .

وهذا أوان انشقاق كمائم طلع الشماريخ
عن زهر مجمل التاريخ

مجمل التاريخ

أرسل الله رسوله الأكرم ، سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأمره بالصدع والاعلان ، والتطهير من عبادة الأوثان .

ولم يزل هذا الدين القويم من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم يزيد وينمو ، ويتعالى ويسمو ، حتى تم مبقاته ، وقربت من النبي وفاته . فلما قبض صلى الله عليه وسلم قام بالأمر بعده أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ثم عمر رضى الله عنه ، ثم عثمان رضى الله عنه ، ثم على كرم الله وجهه . ولم تصف له الخلافة بمنازعة معاوية — رضوان الله عليهم أجمعين — فى الأمر

وبموت على تمت مدة الخلافة التى نص عليها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا عضوضا » .

وبخلافة معاوية كان ابتداء دولة الأمويين .

وانقرضت (دولة الأمويين) بظهور أبى مسلم الخراسانى واظهاره دولة بنى العباس . فكان أولهم السفاح وظهرت دولتها الظهور التام ، وبلغت القوة الزائدة ، والفخامة العظيمة .

ثم أخذت (دولة العباسيين) فى الانحطاط بتغلب الأتراك والديلم .

ولم تزل منحطة ، وليس للخلفاء فى آخر الأمر الا الاسم فقط ، حتى ظهرت فتنة التتار التى أبادت العالم . وخرج هولاكو خان ، وملك بغداد ، وقتل الخليفة المستعصم وهو آخر خلفاء بنى العباس ببغداد .

* * *

وفى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب افتتحت الديار المصرية والبلاد الشامية ولم تزل فى النيابة أيام الخلفاء الراشدين ودولة بنى أمية وبنى العباس ، الى أن ضعفت الخلافة العباسية بعد قتل المتوكل ابن المعتصم بن الرشيد بسنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) ، وتغلب على النواحى كل متملك لها

فانفرد أحمد بن طولون بمملكة مصر والشام ، وكذلك أولاده من بعده

ثم دولة الاخشيد ، وبعده كافور أبو المسك ممدوح المتنبى .

ولما مات (كافور) قدم جوهر القائد من قبل المعز الفاطمى من المغرب (الى مصر) ، فملكها من غير ممانع ، وأسس القاهرة فى سنة ٣٦١ (٩٧١م) . وقدم المعز الى مصر بجنوده وأمواله ، ومعه رمم آبائه وأجداده محمولة فى توابيت ، وسكن بالقصرين ، وادعى الخلافة لنفسه دون العباسيين

وأول ظهور أمر الفاطميين فى سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣م) فظهر عبد الله بن عبيد الملقب بالمهدى — وهو جد بنى عبيد الخلفاء المصريين العبيديين الروافض — باليمن . وأقام على ذلك الى سنة ٢٧٨ هـ (٨٩١م) ، فحج فى تلك السنة ، واجتمع بقبيلة من كنانة فأعجبهم حاله ، فصحبهم الى مصر ، ورأى منهم طاعة وقوة ، فصحبهم الى المغرب ، فنما شأنه وشأن أولاده من بعده ، الى أن حضر المعز لدين الله أبو تميم معد بن اسماعيل بن القائم بين المهدى الى مصر ، وهو أولهم فملكوا نيفا ومائتين من السنين الى أن ضعف أمرهم فى أيام العاضد وسوء

سياسة وزيره شاور ، فتملكت الافرنج بلاد السواحل الشامية ، وظهر بالشام نور الدين محمود ابن زنكى ، فاجتهد فى قتال الافرنج واستخلاص ما استولوا عليه من بلاد المسلمين .

وجهز (نور الدين) أسد الدين شيركوه بعساكر لأخذ مصر ، فحاصرها نحو شهرين ، فاستنجد العاضد بالافرنج ، فحضروا من دمياط ، فرحل أسد الدين الى الصعيد ، فجبى خراجه ورجع الى الشام .

وقصد الافرنج الديار المصرية فى جيش عظيم وملكوا بلبيس — وكانت اذ ذاك مدينة حصينة .

ووقعت حروب بين الفريقين ، فكانت الغلبة فيها على المصريين ، وأحاطوا بالاقليم برا وبحرا وضربوا على أهله الضرائب .

ثم ان الوزير شاور أشار بحرق الفسطاط ، فأمر الناس بالجلاء عنها ، وأرسل عبيده بالشعل والنفوط فأوقدوا فيها النار فاحترقت عن آخرها ، واستمرت النار بها أربعة وخمسين يوما .

وأرسل الخليفة العاضد يستنجد نور الدين ، وبعث اليه بشعور نسائه ... فأرسل اليه جندا كثيفا وعليهم أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين يوسف ، فارتحل الافرنج عن البلاد ، وقبض أسد الدين على الوزير شاور الذى أشار بحرق المدينة وصلبه .

وخلع العاضد على أسد الدين الوزارة ، فلم يلبث أن مات بعد خمسة وستين يوماً ، فولى العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين ، وقلده الأمور ، ولقّبه « الملك الناصر » ... فبذل لله همته ، وأعمل حيلته ، وأخذ فى اظهار السنّة ، واخفاء البدعة : فثقل أمره على الخليفة العاضد ، فأبطن له فتنة أثارها فى جنده ليتوصل بها الى هزيمة الأكراد واخراجهم من بلاده . فتفاقم الأمر، وانشقت العصا ، ووقعت حروب بين الفريقين أبلى فيها الناصر يوسف وأخوه شمس الدولة بلاء حسنا ، وانجلت الحروب عن نصرتهما

فعند ذلك ملك الناصر النصر ، وضيق على الخليفة ، وحبس أقاربه ... وخطب للمستضىء العباسى بمصر ، وسير البشارة بذلك الى بغداد .

ومات العاضد قهرا !

وأظهر الناصر يوسف الشريعة المحمدية ، وطهر الاقليم من البدع والتشيع والعقائد الفاسدة ، وأظهر عقائد أهل السنة والجماعة ...

ولما توفى نور الدين الشهيد انضم اليه (الى صلاح الدين) ملك الشام . وواصل الجهاد واستخلص ماتغلب عليه الافرنج من السواحل وبيت المقدس ، بعدما أقام ببد الافرنج نيفا واحدى وتسعين سنة ... وتوفى صلاح الدين سنة ٥٨٩ (١١٩٣ م) ، ولم يترك الا أربعين درهماً ...

ثم استمر الأمر فى أولاده وأولاد أخيه الملك العادل

وحضر الافرنج أيضا الى مصرفى أيام الملك الكامل ابن العادل ، وملكوا دمياط وهدموها ، فحاربهم شهورا حتى أجلاهم وعمرت بعد ذلك دمياط هذه الموجودة فى غير مكانها — وكانت تسمى بالمنشية .

وفى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب — ابن الكامل — حضر الافرنج وملكوا دمياط ، وزحفوا الى فارسكور . واستمر الملك الصالح يحاربهم أربعة عشر شهرا وهو مريض ، وانحصر جهة الشرق ، وأنشأ المدينة المعروفة بالمنصورة ، ومات بها سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) ، والحرب قائمة .

وأخفت زوجته شجرة الدر موته ودبرت الأمور حتى حضر ابنه توران شاه من حصن كيفا ، وانهزمت الافرنج ، وأسر ملكهم ... وكانوا طائفة الفرنسيس .

والملك الصالح هذا هو أول من اشترى المماليك واتخذ منهم جندا كثيفا ، وبنى لهم قلعة الروضة ، وأسكنهم بها ، وسماهم «البحرية» . ومقدمهم الفارس أقطاى .

ولما انهزم الافرنج ، ومات الصالح ، وتملك ابنه توران شاه ، استوحش من مماليك أبيه واستوحشوا منه ، فتعصبوا عليه وقتلوه بفارسكور ، وقلدوا فى السلطنة شجرة الدر ثلاثة أشهر ثم خلعت ... وهى آخر الدولة الأيوبية . ومدة ولايتهم لحدى وثمانون سنة .

ثم تولى سلطنة مصر عز الدين أيبك التركمانى الصالحى سنة ٦٤٨ (١٢٥٠ م) ، وهو أول الدولة التركية بمصر .

ولما قتل ولوا ابنه المظفر على . فلما وقعت حادثة التتار العظمى خلع المظفر لصغره ، وتولى الملك المظفر قطز ، وخرج بالعساكر المصرية لمحاربة التتار ، فظهر عليهم ، وهزمهم ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك ... بعد أن كانوا ملكوا معظم المعمور من الأرض ، وقهروا الملوك وقتلوا العباد وأخربوا البلاد . وفى سنة ٦٥٤ (١٢٥٦ م) ، ملكوا سائر بلاد الروم بالسيف وفى البحر .

فلما فرغوا من ذلك جميعه نزل هولاكو خان — وهو ابن طلون بن جنكيز خان — على بغداد ، وذلك سنة ٦٥٦ (١٢٥٨ م) ، وهى اذ ذاك كرسى مملكة الاسلام ودار الخلافة ، فملكها ، وقتلوا ونهبوا وأسروا من بها من جمهور المسلمين والفقهاء والعلماء والأئمة والقراء والمحدثين وأكابر الأولياء والصالحين ، وفيها خليفة رب العالمين ! وامام المسلمين ، وابن عم سيد المرسلين ... فقتلوه وأهله وأكابر دولته ، وجرى فى بغداد مالم يسمع بمثله فى الآفاق .

ثم ان هولاكو خان أمر بعد القتلى فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف وزيادة .

ثم تقدم التتار الى بلاد الجزيرة واستولوا على حران والرها وديار بكر فى سنة ٦٥٧ (١٢٥٨ م) ، ثم جاوزوا الفرات ونزلوا على حلب فى سنة ٦٥٨ (١٢٥٩ م) ، واستولوا عليها وأحرقوا المساجد ، وجرت الدماء فى الأزقة ، وفعلوا ما لم يتقدم مثله .

ثم وصلوا الى دمشق ، وسلطانها الناصر يوسف ابن أيوب ، فخرج هاربا وخرج معه أهل القدرة . ودخل التتار الى دمشق وتسلموها بالأمان ... ثم غدروا بهم .

وتعدوها فوصلوا الى نابلس ، ثم الى الكرك وبيت المقدس ، فخرج سلطان مصر ... فالتقاهم عند عين جالوت ، فكسرهم وشردهم وولوا الأدبار ، وطمع الناس فيهم يتخطفونهم ، ووصلت البشائر بالنصر فطار الناس فرحا ...

ودخل المظفر الى دمشق مؤيدا منصورا ، وأحبه الخلق محبة عظيمة .

وساق بيبرس خلف التتار الى بلاد حلب فطردهم . وكان السلطان وعده بحلب ثم رجع عن ذلك ، فتأثر بيبرس وأضمر له الغدر ، وكذلك السلطان ، وأسر ذلك الى بعض خواصه فاطلع بيبرس ، فساروا الى مصر وكل منهم محترس من صاحبه فاتفق بيبرس مع جماعة من الأمراء على قتل المظفر فقتلوه فى الطريق .

* * *

وتسلطن بيبرس ودخل مصر سلطانا ، وتلقب بالملك الظاهر ، وذلك سنة ٦٥٨ (١٢٦٠ م) ، والظاهر بيبرس أحد المماليك البحرية .

وعندما استقر بالقلعة أبطل المظالم والمكوس وجميع المنكرات ، وجهز الحج بعد انقطاعه اثنتى

عشرة سنة بسبب فتنة التتار وقتل الخليفة ومنافقة أمير مكة مع التتار .

واستقر الملك للظاهر بيبرس حتى مات بدمشق فى ٢٧ المحرم سنة ٦٧٦ هجرية (٣٠ يونيه ١٢٧٧م).

وكان من أعظم الملوك شهامة وصرامة وانقيادا للشرع ، وله فتوحات وعمارات مشهورة ، ومآثره حميدة ، ومنها رد الخلافة لبنى العباس . وذلك أنه لما جرى ماجرى على بغداد ، وقتل الخليفة ، وبقيت ممالك الاسلام بلا خلافة ثلاث سنوات ، حضر شخص من أولاد الخلفاء الفارين فى الواقعة الى عرب العراق ، فركب الظاهر للقائه ومعه القضاة وأهل الدولة ، فأثبت نسبه على يد قاضى القضاة ، ثم بويع بالخلافة ، فبايعه السلطان (هو الملك الظاهر بيبرس نفسه) وقاضى القضاة ، ثم الكبار على مراتبهم ، ولقب بالمستنصر ، وركب يوم الجمعة وعليه السواد (وهو شعار العباسيين) الى جامع القلعة ، وخطب خطبة بليغة ذكر فيها شرف بنى العباس ، ودعافيها للسلطان (أى بيبرس) وللمسلمين، ثم صلى بالناس ، ورسم بعمل خلعة خليفية الى السلطان ، وكتب له تقليدا وقرىء بظاهر القاهرة بحضرة الجمع . وألبس الخليفة السلطانَ الخلعةَ بيده ، وفوض اليه الأمور ، وركب السلطان بالخلعة ، والتقليد محمول على رأسه ، ودخل من باب النصر . وزينت القاهرة والأمراء مشاة بين يديه ...

ثم انه عزم (أى الخليفة المستنصر) على التوجه الى العراق ، فخرج معه السلطان وشيعه الى دمشق ، وجهز معه ملوك الشرق : صاحب الموصل ، وصاحب سنجار والجزيرة ، وغرم عليه وعليهم ألف ألف دينار وستين ألف دينار . وسافروا حتى تجاوزوا هيت ، فلاقاهم التتار فحاربوهم ، فعدم الخليفة ولم يعلم له خبر .

وبعد أيام حضر شخص آخر من بنى العباس الى دمشق ، فكاتب صاحب دمشق السلطان فى شأنه ، فأرسل يستدعيه فأرسله فلما قدم الى القاهرة — ومعه ولده وجماعته — أكرمه الملك الظاهر وبايعوه بالخلافة كما سبق للمستنصر ، وأنزله بالبرج الكبير بالقلعة

واستمرت الخلافة (العباسية) بمصر ، وأقام الحاكم فيها نيفا وأربعين سنة .

* * *

ولما مات الملك الظاهر ، تولى بعده ابنه الملك السعيد ، ثم أخوه الملك العادل — وكان صغيرا والأمر لقلاوون — فخلعه واستبد بالملك ، ولقب بالملك المنصور قلاوون . وهو صاحب البيمارستان المنصورى والمدرسة والقبة التى دفن بها . وله فتوحات بسواحل البحر الرومى (البحر الأبيض المتوسط) . وله مصافات مع التتار وغير ذلك . تولى سنة ٦٧٨ (١٢٧٩ م) ، ومات أواخر سنة ٦٨٩ (١٢٩٠ م) ، وكانت مدته احدى عشرة سنة .

وتولى بعده ابنه الملك الأشرف . وكان بطلا شجاعا ذا همة علية ، ورياسة مرضية . خانه أمراؤه وغدروه وقتلوه بتراتة جهة البحيرة سنة ٦٩٣ (١٢٩٣ م) [1] .

ولما مات الأشرف تولى بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون وعمره تسع سنين ، فأقام سنة وخلعه مملوك أبيه زين الدين كتبغا .

فلما تولى زين الدين كتبغا الملك باسم « الملك العادل » ثار الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنة على العادل .

وتسلطن (حسام الدين) عوضه . فثار عليه

(١) فى هذه الأيام كانت بوادر النهضة فى أوربا قد أخذت تروج بشائرها . فكان « روجر بيكون » مثلا ، مكبا على علوم العربية ، ينهل مما كتب علماء العرب فى « البصريات » (علم الضوء) ما مكنه من صنع العدسات ، ويستلهم من تعاليمهم ما توصل به الى صنع البارود .

مظفر كان لم يكادا يقتلانه حتى قتلا أيضا .

استدعى الناصر (الذى خلع من قبل ونفى فى الكرك) ، فقدم وأعيد الى السلطنة مرة ثانية ، فأقام عشر سنوات وخمسة أشهر محجورا عليه ، والقائم بتدبير الدولة الأميران بيبرس الجاشنكير ، وسلار نائب السلطنة . فأظهر الناصر أنه يريد الحج بعياله ، فوافقه الأميران على ذلك ، فتوجه الى الكرك ونزل بقلعتها ، وصرح بأنه ثنى عزمه عن الحج ، واختار الاقامة بالكرك ، وترك السلطنة ليستريح ، وكتب الى الأمراء بذلك ، وسأل أن ينعم عليه بالكرك والشوبك .

وتسلطن بيبرس الجاشنكير وتلقب بالملك المظفر . وكتب للناصر (الملك السابق) تقليدا بنيابة الكرك . فعندما وصله التقليد أظهر البشر وخطب باسم المظفر على منبر الكرك ...

فلم يتركه المظفر ، وأخذ يناكده ، ويطلب منه من معه من المماليك الذين اختارهم للاقامة عنده ، والخيول التى أخذها من القلعة ، والمال الذى أخذه من الكرك . وهدده ، فحنق لذلك وكتب الى نواب الشام يشكو ماهو فيه ، فحثوه على أخذ ملكه ، ووعدوه بالنصرة ، فتحرك لذلك وسار الى دمشق ، وأتت النواب اليه ، وقدم الى مصر ، وفر بيبرس (المظفر) ، وطلع الناصر الى القلعة يوم عيد الفطر سنة ٧٠٩ (١٣١٠ م) فأقام فى الملك ٣٢ سنة و٣ أشهر . ومدة سلطنته ٤٣ سنة و ٨ أشهر و ٩ أيام .

وكان ملكا عظيما جليلا كفؤا للسلطنة بذاجماه ، محبا للعدل والعمارة وطابت مدته ، وشاع ذكره ، وطار صيته فى الآفاق ، وخطب له فى بلاد بعيدة .

وقد أسقط المكوس من أعمال الممالك المصرية والشامية ، وأبطل الرشوة وعاقب عليها ، فلا يقلد المناصب الا مستحقيها بعد التروى والامتحان واتفاق الرأى ، ولا يقضى الا بالحق ... فكانت أيامه سعيدة ، وأفعاله حميدة .

وفى أيامه كثرت العمائر حتى يقال : ان مصر والقاهرة زادتا فى أيامه أكثر من النصف ، وكذلك القرى بحيث صارت كل بلدة من القرى القبلية والبحرية مدينة على انفرادها .

وحضر فى أوائل دولته القان غازات بجنود التتار ، فخرج اليهم بعساكر مصر وهزمهم مرتين .

وقد قال فيه الصفى الحلى ، من قصيدة طويلة :

الناصر السلطان من خضعت له
كل الملوك مشارقا ومغاربا
ملك يرى تعب المكارم راحة
ويعدّ راحات الفراغ متاعبا
ترجى مكارمه ويخشى بطشه
مثل الزمان : مسالما ومحاربا
فاذا سطا ملأ القلوب مهابة
واذا سخا ملأ العيون مواهبا
كالليث : يحمى غابه بزئيره
طورا ، وينشب فى القنيص مخالبا
كالسيف : يبدى للنواظر منظرا
طلقا ، ويمضى فى الهياج مضاربا
كالسيل : تحمد منه عذبا واصلا
ويعده قوم عذابا واصبا
كالبحر : يهدى للنفوس نفائسا
منه ، ويبدى للعيون عجائبا

* * *

يا أيها الملك العزيز ، ومن له
شرف يجر على النجوم ذوائبا
أصلحت بين المسلمين بهيبة
تذر الأجانب بالوداد أقاربا
ووهبتهم زمن الأمان ... فمن رأى
ملكا يكون له الزمان مواهبا ؟

وتولى من أولاد السلطان الناصر ، وأولاد أولاده ، اثنا عشر سلطانا :

منهم السلطان حسن صاحب الجامع بسوق الخيل بالرميلة . ومن شاهده عرف علو همته بين الملوك .

ومنهم الملك الأشرف شعبان وهو الذى أمر الاشراف بوضع العلامة الخضراء فى عمائمهم وفى ذلك تقول بعضهم :

جعلوا لأبنـاء النبى علامـة
ان العلامة شأن من لم يشهر

نور النبـوة فى كريم وجوههم
يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

وفى أيام الأشرف هـذا قدمت الافرنج الى الاسـكندرية على حين غفلة ، ونهبوا أموالها ، وأسروا نساءها . ووصل الخبر الى مصر فتجهز الأشرف وسار بعساكره فوجدهم قد ارتحلوا عنها وتركوها . ويقال ان الفرساوى الذى تكون فى أذنه قرط .. أمه أصلها من النساء المأسورات فى تلك الواقعة !

وفى أيامه كثر عبث المماليك الأجلاب ، فأمر باخراجهم من مصر ، فتجمعوا وعصوا ، فحاربهم وقاتلهم فانهزموا ، فقبض على كثير منهم ، فقتل منهم طائفة ، وغرق منهم طائفة ، ونفى منهم طائفة ، وبقى منهم بمصر طائفة التجأوا الى بعض الأمراء .. وكانوا أرذل مذكور فى الاقليم المصرى !

فلما عزم الأشرف على الحج ، انتهزوا عند ذلك الفرصـة ، وكتموا أمرهم ، ومكروا مكرهم ، وتواعدوا مع أصحابهم الذين بصحبة السلطان أنهم يثيرون الفتنة مع السلطان فى العقبة ، وكذلك المقيمون بمصر يفعلون فعلهم ، حتى ينقضوا نظام الدولة ، ويزيلوا السلطان والأمراء .

ولما خرج السلطان وبعد عن مصر أثاروا الفتنة بعد أن استمالوا طائفة من المماليك السلطانية ، وفعلوا ما فعلوه ، ونادوا بموت السلطان ، وولوا ابنه وثار أيضا أصحابهم على السلطان فى العقبة ، فانهزم طالبا المجىء الى مصر . وجرى ما هو مسطر فى الكتاب من ذبح الأمراء واختفاء السلطان وخنقه ، وتمكن هؤلاء الأجلاب من الدولة ، ووصل كل صعلوك منهم لمراتع الملوك ، وأزالوا عز الدولة القلاووية ، وأخذوا لأنفسهم الأمريات والمناصب ، وأصبح الذين كانوا بالأمس أسفل الناس ... ملوك الأرض يجبى اليهم ثمرات كل شىء !

ثم وقعت فيهم حوادث وحروب أسفرت عن ظهور برقوق الچركسى ، أحد مماليك يلبغا العمرى وكان غاية فى الدهاء والمكر ، فلم يزل يدبر لنفسه حتى عزل ابن الأشرف وأخذ السلطنة لنفسه . والأشرف هذا هو آخر دولة المماليك البحرية .

* * *

وبرقوق هو أول ملوك الچراكسة بمصر . وبعده ابنه فرج واستمر الملك فيهم وفى أولادهم الى الأشرف قانصوه الغورى .

وابتداء دولتهم سنة ٧٨٤ (١٣٨٢ م) ، وانقضاؤها سنة ٩٢٣ (١٥١٧ م) ، فتكون مدة دولتهم ١٣٩ سنة .

* * *

وسبب انقضاء دولة المماليك الجراكسة ، فتنة السلطان سليم شاه بن عثمان ، وقدومه الى الديار المصرية ، فخرج اليه سلطان مصر قانصوه الغورى فلاقاه عند مرج دابق بحلب . وخامر عليه أمراؤه : خير بك ، والغزالى ، فخذلوه وفقدوه .

ولم تزل حتى تملك السلطان سليم الديار المصرية والبلاد الشامية ، وأقام خير بك نائبا بها كما هو مسطر ومفصل فى تواريخ المتأخرين ، مثل « مرج الزهور » لابن اياس ، وابن زنبل (١) .

ولما حصل أمر مصر للسلطان سليم .. رجع الى بلاده ، وأخذ معه الخليفة العباسى ، وانقطعت الخلافة والبيعة ، وأخذ صحبته ما انتقاه من أرباب الصنائع التى لم توجد فى بلاده بحيث انه فقد من مصر نيف وخمسون صنعة (٢) ..

ولما توفى السلطان سليم تولى بعده السلطان سليمان . ولم تزل البلاد منتظمة فى سلكهم ، ومنقادة تحت حكمهم ، من ذلك الأوان الذى استولوا عليها فيه ، الى هذا الوقت الذى نحن فيه، وولاة مصر نوابهم ، وحكامها أمراؤهم .

وكانوا فى صدر دولتهم من خير من تقلد أمور الأمة بعد الخلفاء المهديين .. فانظر ، ياأخى ، وتأمل .. ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى ! وليس المعنى مجهول ، حتى يفصح عنه اللسان بالقول .. وقد أخرسنى العجز أن أفتح فما ، أفغير الله أبتغى حكما ؟

وكانوا قصبا على صحة

فقد داخلتهم حروف العلل

* * *

وفى أثناء الدولة العثمانية ، ونوابهم وأمرائهم المصرية ، ظهر فى عسكر مصر سنة جاهلية ، وبدعة شيطانية .. زرعت فيهم النفاق ، وأسست فيما بينهم الشقاق . ووافقوا فيها أهل الحرف اللئام ، فى قولهم « سعد » و « حرام » . وهو أن الجند بأجمعهم اقتسموا قسمين ، واحتزبوا بأسرهم حزبين : فرقة يقال لها « فقارية » ، وأخرى تدعى « قاسمية » .

ولذلك أصل مذكور ، وفى بعض سير المتأخرين مسطور .. لا بأس بايراده فى المسامرة ، تتميما للغرض فى مناسبة المذاكرة :

وهو أن السلطان سليم شاه ، لما بلغ من ملك الديار المصرية مناه ، قال يوما لبعض جلسائه : يا هل ترى هل بقى أحد من الجراكسة نراه ؟

فقال له خير بك : نعم أيها الملك العظيم . هناك رجل قديم ، يسمى سودون الأمير ، طاعن فى السن كبير ، رزقه الله تعالى بولدين شهمين بطلين ، لا يضاهيهما أحد فى الميدان . فلما حصلت هذه القضية ، تنحى وحبس ولديه بالدار ، وعكف على العبادة .

فقال السلطان : هذا والله رجل عاقل ينبغى لنا أن نذهب لزيارته .

ثم ركب فى الحال الى أن وصل اليه ، ودخل عليه . فعندما عرف أنه السلطان بادر لمقابلته وسلم عليه ، فأمره بالجلوس الى أن اطمأن خاطره ، وسأله عن سبب عزلته ، فأجابه أنه لما رأى فى دولتهم اختلال الأمور ، وترادف الظلم والجور ، « فتنحيت عن حال الغرور ، وتباعدت عن نار الشرور ، ومنعت ولدىّ عن التداخل فى الأهوال ، وحبستهما عن مباشرة القتال ، خوفا عليهما لما أعلمه فيهما من الاقدام .. » .

ثم أحضر ولديه قاسما وذا الفقار ، وأخرجهما من محبسهما . فنظر اليهما السلطان ، فرأى فيهما مخايل الفرسان الشجعان ..

ثم ركب السلطان سليم عائدا الى مكانه . وأصبح ثانى يوم ، فركب السلطان مع القوم ، وخرج الى الخلا ، بجمع من الملا . وجلس ببعض

(١) من كتب حافلة سنقدمها – بإذن الله – الى قراء « كتاب الشعب » .

(٢) فقد رأت مصر من أيام السوء ما رأت ، وعانت من السلب والنهب ما عانت .. ولكنها لم تشهد أسوأ مما فعل بها سليم وجنده ، ولم يبق من تراثها عنده ما نال هذا الجلف الغشوم !

القصــور ، ونبه على جميــع أصناف العســاكر بالحضور .

وطلب الأمير سودون وولديه ، فحضروا بــين يديه . فقال لهم : أتدرون لم طلبتكم ؟ فقالوا : لا يعلم ما فى القلوب ، الا علام الغيوب .

فقال : أريد أن يركب قاسم وأخوه ذو الفقار ، ويترامحا ويتسابقا بالخيل فى هذا النهار .

فامتثلا أمره ، فنزلا وركبا ورمحا ولعبا ، وأظهرا من أنواع الفروسية الفنون ، حتى شخصت فيهما العيون . ثم أشــار اليهما ، فنزلا عن فرسيهما ، وصعدا الى أعلى المكان ، فخلع عليهما السلطان .

ثم خــرج فى اليوم التــالى ، وحضر الأمراء والعسكر المتوالى . فأمرهم أن ينقسموا بأجمعهم قسمين ، وينحازوا بأسرهم فريقين : قسم يكون رئيسهم ذا الفقار ، والثانى أخوه قاسم الكرار ، وأضاف الى ذى الفقار أكثر فرسان العثمانيين ، والى قاسم أكثر الشجعان المصريين . وميز الفقارية بلبس الأبيض من الثياب ، وأمر القاســمية أن يتميزوا بالأحمر فى الملبس والركاب . وأمرهم أن يركبوا فى الميدان على هيئــة المتحاربين ، وصورة المتنابذين المتخاصمين . فأذعنوا بالانقياد ، وعلوا على ظهور الجياد . وساروا بالخيل ، وانحدروا كالسيل . وانعطفوا متسابقين ، ورمحوا متلاحقين . وتناوبوا فى النزال ، واندفعوا كالجبال ، وارتفعت الأصوات ، وكثرت الصيحات .. وكاد الخرق يتسع على الراقع . وقرب أن يقع القتل والقتال ، فنودى فيهم عند ذلك بالانفصال ..

فمن ذلك اليوم افترق أمراء مصر وعســاكرها فرقتين ، واقتسموا بهذه الملعبة حزبين . واستمر كل منهما على محبة اللون الذى ظهر فيه ، وكره اللون الآخر فى كل ما يتقلبــون فيــه .. حتى أوانى المتناولات ، والمأكولات والمشروبات .. والمغاربة يميلون الى « نصف سعد » والعثمانيين والعصبية لا يألفون الا « نصف حرام » والمصريين . وصار فيهم قاعدة لا تتفرقها اختلاف ، ولا تحيد لأحد عنها بحال من الأحوال (١) .

ولم يزل الأمر يفشو ويزيد ، ويتوارثه السادة والعبيد ، حتى تجسم ونما ، وأهرقت فيه دما . فكم خربت بلاد ! وقتلت أمجاد ! وهدمت دور ، وأحرقت قصور ! وسبيت حرائر ، وقهرت أخيار !

* * *

وقيل غير ذلك ، وأن أصل التسمية ينسبون الى قاســم بيك الدفتردار تابع مصــطفى بيك ، والفقارية نسبة الى ذى الفقار بيك الكبير . وأول ظهور ذلك من سنة ١٠٥٠ (١٦٤٠ م) . والله أعلم بالحقائق .

واتفق أن قاسم بيك المذكور أنشأ فى بيته قاعة جلوس ، وتأنق فى تحسينها . وعمل فيهــا ضيافة لذى الفقار بيك أمير الحج المذكور ، فأتى عنده وتغدى عنده بطائفة قليلة .

ثم قال له ذو الفقار بيك : وأنت أيضا ضيفى فى غد .

وجمع ذو الفقــار مماليكه فى ذلك اليوم ــ صناجق وأمراء واختيــارية ــ وحضر قاسم بيك بجمع من طائفته ، فدخل قاسم بيك عنده فى البيت . وأوصى ذو الفقار أن لا أحــد يدخل عليهمــا الا بطلب ، الى أن فرشوا السماط ، وجلس صحبته على السماط .

فقال قاسم بيــك : حتى يقعــد الصــناجق والاختيارية !

---

(١) صحت هذه القصة ام لم تصح .. فلا تزال سياسة « فرق تسد » هى المفتاح السحرى لمن يريد أن يجهز على صفو امة من الامم !

فقال ذو الفقار : انهم ياكلون بعـدنا . هؤلاء جميعهم مماليكى . عندما أموت يترحمون على ، ويدعون لى .. وأنت قاعتك تدعو لك بالرحمة ! لكونك ضيعت المال فى الماء والطين !

فعنـد ذلك تنبـه قاسـم بك ، وشرع ينشىء شراقات كذلك .

وكانت الفقارية موصـوفة بالـكثرة والكرم ، والقاسمية بكثرة المال والبخل .

وكان الذى يتميز به أحد الفريقين من الآخـر اذا ركبـوا فى المواكب أن يكون بيرق الفقارى أبيض ، ومزاريقه برمانة .. وبيرق القاسمية أحمر ، ومزاريقه بجلبة ... ولم يزل الحال على ذلك .

مطلع اليوميات

استهل القرن الثانى عشر (الهجرى ، وهو يوازى المدة الواقعة بين ١٦٨٨ و١٧٨٦ م) وامراء مصر فقارية وقاسمية .

فالفقارية : ذو الفقار بيك ، وابراهيم بيك امير الحج ، ودرويش بيك ، واسماعيل بيك ، ومصطفى بيك قزلار ، وأحمد بيك قزلار بجدة ، ويوسف بيك القرد ، وسليمان بيك بارم ذيله ، ومرجان جوز بيك (وكان أصله قهوجى السلطان محمد ، عملوه صنجقـا فقاريا بمصر) ــ الجميع تسعة ، وأمير الحج منهم .

والقاسمية : مراد بيك الدفتردار ، ومملوكه ابو ظبيك ، وابراهيم بيك ابو شنب ، وقانصوه بيك ، وأحمد بيك منوفية ، وعبد الله بيك .

ونواب مصر : من طرف السلطان سـليمان بن عثمان فى أوائل القرن : حسن باشـا السلحدار سنة ١٠٩٩ ــ ١١٠١ هجرية . والسلطان فى ذلك الوقت السلطان سليمان ، ابن ابراهيم خان .

امارة الحج : وتقلد ابراهيم بيك ابو شنب امارة الحج . واسماعيل بيك دفتردار ــ وذلك سـنة ١٠٩٩ هجرية . . .

يوميات الجبرتى

سنه ١٠٩٩ هجرية

ذو الحجـة

آخره (٢٥ اكتوبر ١٦٨٨) :

حصلت واقعة عظيمة بين ابراهيم بيك بن ذى الفقار وبين العرب الحجازيين ، خلف جبل الجيوشى . وقتلوا كثيرا من العرب ونهبوا أرزاقهم ومواشيهم. وأحضر منهم أسرى كثيرة ، ووقفت العرب فى طريق الحج تلك السنة بالشرفة . فقتلوا من الحج خلقا كثيرا وأخـذوا نحو ألف جمل بأحمالها ، وقتلوا خليل كتخدا الحج فعين عليهم خمسة أمـراء من الصناجق فوصلوا الى العقبة وهرب العربان .

سنة ١١٠٠ هجرية

جمـادى الآخرة

٤ منه (٢٦ مارس ١٦٨٩ م) :

خنق الباشا كتخداه بعـد أن أرسله الى دبر الطين ، على أنه يتوجه الى جرجا لتحصيل الغلال ، وذلك لذنب نقمه عليه .

شعبـان

(مايو ١٦٨٩ م)

نقب المحابيس العرقانة ، وهرب المسـجونون منها .

وفيه غلت الأسعار مع زيادة النيل وطلوعه فى أوانه على العادة . ثم عزل حسن باشـا ونزل الى بيت محمد بيك حاكم جرجا المقتول .

وتولى قيطاس بيك قائمقام فكانت مدته هذه المرة سنة واحدة وتسعة أشهر

سنة ١١٠١ هجرية

المحـرم

١٦ منه (٣٠ اكتوبر ١٦٨٩ م)

تولى أحمد باشا وحضرمن طريق البر — وكان سابقا كتخدا ابراهيم باشا الذى مات بمصر (١) — وطلع الى القلعة .

ووصل أغا بطلب ألفى عسكرى وعليهم صنجق يكون عليهـم سردارا ، فعينوا مصطفى بيك حاكم جرجا سابقا .

جمـادى الآخرة

منتصفه (٢٦ مارس ١٦٩٠ م)

سافر مصطفى بيك ومعه الألفا عسكرى . وفى هـذا التاريخ سافرت تجريدة عظيمـة الى ولاية البحيرة والبهنسا وعليهم صنجقان . وسافر أيضـا خلفهم اسماعيل بيك ، وجميع الكشاف وكتخـدا الباشا وأغوات البلكات وكتخدا الجاويشية وبعض اختيارية . وحاربوا ابن وافى وعربانه مرارا ، ثـم وقعت وقعة كبيرة فهزم فيها الأحزاب وولوا منهزمين نحو الفرق .

(١) توفى فى ١٢ جمادى الآخرة سنة ١١٠٢ هـ (١٣ مارس ١٦٩١ م) فكانت مدة ولايته سنة وستة أشهر . ومن مآثره ترميم الجامع المؤيدى . وقد كان تداعى للسقوط .

وأما قيطاس بيك (١) وحسن أغا بلفية وكتخدا الباشا .. فانهم صادفوا جمعا من العرب فى طريقهم ، فأخذوهم ونهبوا مالهم وقطعوا منهم رؤوسا ثم حضروا الى مصر .

وفى أيامهم كانت وقعة ابن غالب شريف مكة ومحاربته بها مع محمد بيك حاكم جدة ، فكانت الهزيمة على الشريف .

سنة ١١٠٢ هجرية

رجب

١٥ منه (١٤ مايو ١٦٩١) :

حضر قانصوه بيك ـ تابع قيطاس بيك (المتوفى) — من سفره بالخزينة مكان كتخدا الباشا المتولى قائمقام بعد موت سيده فألبس قانصوه بيك دفتردار .

ثم ورد مرسوم بولاية على كتخدا الباشا قائمقام وأذن بالتصرف الى آخر مسرى (٦ الحجة ١١٠٢ / أول سبتمبر ١٦٩١ م) فكانت مدة تصرفه أربعة وتسعين يوما .

رمضان

٢٢ منه (١٩ يونية ١٦٩١) :

تولى على باشا وحضر من البحر الى القلعة . وحضر صحبته تترخان وأقام بمصر الى أن توجه الى الحج ورجع على طريق الشام .

ذو القعدة

٢٢ منه (١٧ اغسطس ١٦٩١) :

حضر قرا سليمان من الديار الرومية (٢) ومعه مرسوم مضمونه : الخبر بجلوس السلطان أحمد بن السلطان ابراهيم ، فزينت مصر ثلاثة أيام وضربت مدافع من القلعة .

سنة ١١٠٣ هجرية

صفر

١٣ منه (٥ نوفمبر ١٦٩١ م) :

ورد نجاب من مكة وأخبر بأن الشريف سعد تغلب على محسن وتولى امارة مكة . فأرسل الباشا عرضا الى السلطنة بذلك .

ربيع الأول

٨ منه (٢٩ نوفمبر ١٦٩١ م) :

ورد مرسوم مضمونه ولاية نظر الدشايش والحرمين لأربعة من الصناجق ، فتولى : ابراهيم بيك بن ذى الفقار أمير الحج حالا عوضا عن أغات مستحفظان ، ومراد بيك الدفتردار على المحمدية عوضا عن كتخدا مستحفظان ، وعبد الله بيك على وقف الخاصكية عوضا عن كتخدا العزب ، واسماعيل بيك على أوقاف الحرمين عوضا عن باشجاويش مستحفظان ، فألبسهم على باشا قفاطين على ذلك .

رمضان

مستهله (١٧ مايو ١٦٩٢ م) :

حضر من الديار الرومية الشريف سعد بن زيد بولاية مكة وتوجه الى الحجاز .

شوال

(يونيو ١٦٩٢ م)

فيه سافر على كتخدا أحمد باشا المتوفى الى الروم .

وفيه تقلد اسماعيل بيك الدفتردارية عوضا عن مراد بيك .

(١) توفى فى ١٤ رجب سنة ١١٠٢ هـ (١٣ مايو ١٦٩١ م)

(٢) يعنى بالديار الرومية : مقر الخلافة الاسلامية ... اسطنبول !

١٣ منه (٢٨ يونيو ١٦٩٢ م) :

قتل جلب خليل كتخدا مستحفظان ببابهم . وحصلت فى بابهم فتنة أثارها كجك محمد ، وأخرجوا سليم أفندى من بلكهم ورجب كتخدا وألبسوهما الصنجقية .

٢٣ منه (٨ يوليو ١٦٩٢) :

أبطل كجك محمد الحمايات من مصر ، باتفاق السبع بلكات ، وأبطلوا جميع ما يتعلق بالعزب والانكشارية من الحمايات بالثغور وغيرها . وكتب بذلك « بيورلدى » (١) ، ونادوا به فى الشوارع .

ذو القعدة

غرته (١٥ يوليو ١٦٩٢) :

قبض الباشا على سليم أفندى وخنقه بالقلعة ونزل الى بيته محمولا فى تابوت .

وتغيب رجب كتخدا ثم استعفى من الصنجقية فرفعوها عنه وسافر الى المدينة

سنة ١١٠٤ هجرية

ربيع الأول

١٨ منه (٢٧ نوفمبر ١٦٩٢ م) :

ورد مرسوم بتزيين الأسواق بمصر وضواحيها بمولودين توأمين رزقهما السلطان أحمد سمى أحدهما : سليمان والآخر ابراهيم .

شعبان

١٢ منه (١٨ ابريل ١٦٩٣ م) :

سافر حسين بيك أبو يدك بألف نفر من العسكر لاحقا بابراهيم بيك أبى شنب ، الذى سافر فى أواخر ربيع الأول (أوائل ديسمبر ١٦٩٢ م) لقلعة كريد .

(١) « بيورلدى » اى موافقة .

سنة ١١٠٥ هجرية

رمضان

١٢ منه (٧ مايو ١٦٩٤) :

هبت ريح شديدة وتراب أظلم منه الجو . وكان الناس فى صلاة الجمعة ، فظن الناس أنها القيامة . وسقطت المركب التى على منارة جامع طولون وهدمت دور كثيرة .

سنة ١١٠٦ هجرية

جمادى الآخرة

١٢ منه (٢٨ يناير ١٦٩٥ م) :

حضر الشريف أحمد بن غالب أمير مكة مطرودا من الشريف سعد .

رجب

٢٨ منه (٤ مارس ١٦٩٥ م) :

ورد الخبر بجلوس السلطان مصطفى بن محمد (١) .

شعبان

٤ منه (٢٠ مارس ١٦٩٥ م) :

ورد مرسوم بضبط أموال نذير أغا ، واسماعيل أغا الطواشيين ، فسجنوهما بباب مستحفظان وضبطوا أموالهما وختموها .

١٢ منه (٢٨ مارس ١٦٩٥ م) :

طلع أحمد بيك بموكب مسافرا باش على ألف عسكرى الى أنكروس .

(١) فى ٢٢ جمادى الآخرة تسلطن السلطان مصطفى خان الثانى بعد وفاة السلطان أحمد خان الثانى وله من العمر ٥٤ سنة حكم منها ٤ سنوات و٨ أشهر .
(التوفيقات الالهامية سنة ١١٠٦ هـ)

٢٧ منه (١٢ ابريل ١٦٩٥ م) :

طلع اسماعيل بيك بألف عسكرى لمحافظة رودس بموكب الى بولاق . فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم سافر الى الاسكندرية .

شوال

٥ منه (١٩ مايو ١٦٩٥ م) .

نهى أرباب الأوقاف والعلماء والمجاورون بالأزهر الى على باشا : امتناع الملتزمين من دفع خراج الأوقاف وخراج الرزق المرصدة على المساجد، وما يلزم من تعطيل الشعائر .. فأمر الملتزمين بدفع ماعليهم من غير توقف ، فامتثلوا .

وفى هذا الشهر أرسل الباشا الى مراد بيك الدفتردار بعمل جمعية فى بيته بسبب غلال الأنبار، فاجتمعوا وتشاوروا فى ذلك فوقع التوافق « أن البلاد الشراقى تبقى غلالها الى العام القابل . وأما الرى فيدفع ملتزموها ماعليهم » وأخذوا أوراقا يعت بالثمن ، اشتراها الملتزمون من أرباب الاستحقاق ، عن الجراية مائة وخمسون نصفا . وغلق الملتزمون ماعليهم بشراء الوصلات .

١٢ منه (٢٦ مايو ١٦٩٥ م) :

ورد الخبر من منفلوط بأن الشريف فارس بن اسماعيل التيتلاوى قتل عبد الله بن وافى شيخ عرب المعاربة .

ذو القعدة

١١ منه (٢٣ يونيو ١٦٩٥ م) :

ورد آغا بمرسوم بمبيع متاع لذبر آغا واسماعيل أغا المعتقلين ، وضبط أثمانهما ، ماعدا الجواهر والذخائر التى اختلسوها من السرايا ، فانها تبقى بأعيانها ، وأن يفحص عن أموالهما وأماناتهما وأن يسجنا فى قلعة الينكجرية ، ففعل بهم ذلك وبلغ أثمان المبيعات آلفا وأربعمائة كيس خلاف الجواهر والذخائر فانها جهزت مع الأموال صحبة الخزينة على يد سليمان بيك كاشف ولاية المنوفية .

ذو الحجة

(يوليو ١٦٩٥ م) :

فيه : سافر أناس من مكة الى دار السلطنة . وشكوا من ظلم الشريف سعد .. فعين اليه محمدبيك نائب جدة واسماعيل باشا نائب الشام فوردا بصحبة الحج فتحاربوا معه ونزعوه ونهب العسكر منزله وولوا الشريف عبد الله بن هاشم على مكة . ثم بعد عود الحج ، رجع سعد وتغلب وطرد عبد الله ابن هاشم .

وفى هذه السنة قصر مد النيل وهبط بسرعة فشرقت الأراضى ووقع الغلاء والفناء (١) .

وفيها : وقعت مصالحات فى المال الميرى بسبب الرى والشراقى .

سنة ١١٠٧ هجرية

المحرم

منتصفه (٢٦ اغسطس ١٦٩٥ م) :

اجتمع الفقراء والشحاذون ، رجالا ونساء وصبيانا ، وطلعوا الى القلعة ووقفوا بحوش الديوان وصاحوا من الجوع فلم يجبهم أحد ، فرجموا بالأحجار فركب الوالى وطردهم . فنزلوا الى الرميلة

---

(١) يذكر صاحب التوفيقات الالهامية ان ثمن اردب القمح بلغ فى بولاق ١٢٠ نصف فضة وبالرميلة ١٨٠ نصف فضة والشعير ١٢٠ والفول كذلك .

ونهبوا حواصل الغلة التى بها وكالة القمح وحاصل كتخدا الباشا وكان ملآنا بالشعير والفول . وكانت هذه الحادثة ابتداء الغــلاء حتى بيع الأردب من القمح بستمائة نصف فضة ، والشعير بثلثمائة ،والفول بأربعمائة وخمسين ، والأرز بثمانمائة نصف فضة . وأما العدس فلا يوجد وحصل شدة عظيمة بمصر وأقاليمها . وحضر أهالى القــرى والأرياف حتى امتلأت بهم الأزقة ، واشتد الكرب حتى أكل الناس الجيف ، ومات الكثير من الجوع . وخلت القرى من أهلها ، وخطف الفقراء الخبز من الأســواق ومن الأفران ومن على رؤوس الخبازين . ويذهب الرجلان والثــلاثة مع طبق الخبز يحرســونه من الخطف وبأيديهم العصى حتى يخبزوه بالفرن ثم يعودون به .

٢٨ منه (٨ سبتمبر ١٦٩٥ م) :

عزل على باشا وكانت مدته أربع سنوات وثلاثة أشهر وأياما . ونزل الى منزل أحمد كتخدا العزب المطل على بركة الفيل .

وفيه حضر مسلم اسماعيل باشا من الشام ، وجعل ابراهيم بيك أبا شنب قائمقام .

صـــفر

١٧ منه (٢٧ سبتمبر ١٦٩٥ م) :

تولى اسماعيل باشا وحضر من البر وطلع الى القلعة بالموكب على العادة (١) . ورأى مافيه الناس من الكرب والغلاء . فأمر بجمع الفقراء والشحاذين بقراميدان ، فلما اجتمعوا أمر بتوزيعهم على الأمراء والأعيان...كل انسان على قدر حاله وقدرته . وأخذ لنفسه جانبا ولأعيان دولته جانبا ، وعين لهم مايكفيهم من الخبز والطعام صــباحا ومساء الى أن انقضى الغلاء ، وأعقب ذلك وباء عظيم ، فأمر الباشا بيت المال أن يكفن الفقراء والغرباء فصــاروا يحملون الموتى من الطــرقات ويذهبون بهم الى مغســل السلطان عند سبيل المؤمن الى أن انقضى أمر الوباء ، وذلك خــلاف من كفنه الأغنياء وأهل الخــير من الأمراء والتجار وغيرهم .

رجــب

١٧ منه (٢١ فبراير ١٦٩٦ م) :

تقلد قيطاس بيك تابع أمير الحج ذى الفقــار بيك ، الصنجقية عوضا عن ابن سيده ابراهيم بيك .

وفيـــه ورد الافراج عن نذير أغا ورتب له خمسمائة عثمانى وخمس جرايات وعشر علائف فى ديوان مصر . واستمر رفيقه اسماعيل أغا فى السجن .

وفى هذا الشهر ورد مرسوم بطلب ألفين من العسكر وأميرهم مراد بيك .

سنه ١١٠٨ هجرية

ربيــع الأول

١٣ منه (١٠ اكتوبر ١٦٩٦ م) :

ورد أمر بتزيين أســواق مصر سرورا بمولود للسلطان وسمى محمودا .

وورد أيضا الخبر باستشهاد مراد بيك .

رمضـــان

١٣ منه (٥ ابريل ١٦٩٧ م) :

قامت العســاكر على ياسف اليهودى وقتلوه وجــروه من رجله وطرحــوه فى الرميلة ، وقامت الرعايا فجمعوا حطبا وأحرقوه ، وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة..وسبب ذلك أنه كان ملتزما بدار الضرب فى دولة على باشا المنفصل . ثم طلب الى اسلامبول

(١) يذكر صاحب التوفيقات الالهامية ان تولية اسماعيل باشا فى اول رجب ١١٠٧ هـ (٥ فبراير ١٦٩٦ م)

وسئل عن أحوال مصر فأملى أمورا ، والتزم بتحصيل الخزينة زيادة عن المعتاد ، وحسن بمكره احداث محدثات . ولما حضر مصر تلقته اليهود من بولاق وأطلعوه الى الديوان . وقرئت الأوامر التى حضر بها ووافقه الباشا على اجرائها وتنفيذها ، وأشهر النداء بذلك فى شوارع مصر ، فاغتم الناس وتوجه التجار وأعيان البلد الى الأمراء وراجعوهم فى ذلك ، فركب الأمراء والصناجق وطلعوا الى القلعة وفاوضوا الباشا فجاوبهم بما لا يرضيهم ، فقاموا عليه قومة واحدة وسألوه أن يسلمهم اليهودي فامتنع من تسليمه فأغلظوا عليه وصمموا على أخذه منه . فأمرهم بوضعه فى العرقانة ولا يشوشوا عليه حتى ينظروا فى أمره ، ففعلوا به كما أمرهم ، فقامت الجند على الباشا وطلبوا أن يسلمهم اليهودى المذكور ليقتلوه فامتنع ، فمضوا الى السجن وأخرجوه وفعلوا به ما ذكر .

سنة ١١٠٩ هجرية

صفر

(أغسطس ١٦٩٧ م)

فيه : وردت سكة دينار عليها طرة ، فجمع الباشا الأمراء ، وأحضر أمين الضربخانة ، وسلمها له وأمره أن يطبع بها ، وأن يكون عيار الذهب ٢٢ قيراطا ، والوزن كل مائة شريفى مائة وخمسة عشر درهما ، وسعر الأبى طرة مائة وخمسة عشر نصفا .

وفيه : لبس عبد الرحمن بيك على ولاية جرجا وتوجه اليها .

ربيع الأول

١٢ منه (٢٨ سبتمبر ١٦٩٧ م) :

قامت العسكر المصرية وعزلوا الباشا فكانت مدة اسماعيل باشا سنتين ، وتقلد مصطفى بيك قائمقام مصر .

رجب

منتصفه (٢٧ يناير ١٦٩٨ م) :

حضر حسين باشا من صيدا وطلع الى القلعة فى موكب عظيم .

رمضان

١٩ منه (٣١ مارس ١٦٩٨ م) :

ورد مرسوم بطلب تجهيز ألفي نفر من العسكر وعليهم يوسف بيك المسلماني ، فقضي أشغاله وسافر .

ذو الحجة

منتصفه (٢٤ يونية ١٦٩٨ م) :

خرج اسماعيل باشا الى العادلية(١) ليسافر وكان قد حاسبه حسين باشا فتأخر عليه خمسون ألف أردب دفع عنها خمسين كيسا وباع منزله وبلاد البدرشين التى كان قد وقفها وتوجه الى بغداد .

سنة ١١١٠ هجرية

جمادى الآخرة

آخرها (٢ يناير ١٦٩٩ م) :

ظهر رجل من أهل الفيوم يدعى بالعليمى ، قدم الى القاهرة وأقام بظهر القهوة المواجهة لسبيل المؤمن فاجتمع عليه كثير من العوام ، وادعوا فيه الولاية . وأقبلت عليه الناس من كل جهة ، واختلط النساء بالرجال . وكان يحصل بسببه مفاسد عظيمة ، فقامت عليه العسكر وقتلوه بالقلعة ودفن بناحية مشهد السيدة نفيسة .

شوال

١٤ منه (١٥ ابريل ١٦٩٩ م) :

كانت واقعة المغاربة من أهل تونس وفاس . وذلك أن من عادتهم أن يحملوا كسوة الكعبة التى

(١) هى الوايلية الآن .

تحمل كل سنة للبيت الحرام ، ويمرون بها فى وسط القاهرة ، وتحمل المغاربة جانبا منها للتبرك بهـا ويضربون كل من رأوه يشرب الدخان فى طريق مرورهم ، فرأوا رجلا من أتبـاع مصطفى كتخدا القازدغلى ، فكسروا أنبوبته وتشاجروا معه وشجوا رأسه . وكان فى مقدمتهم طائفة منهم مسلحون ، وزاد التشاجر ، واتسعت القضية ، وقام عليهم أهل السوق . وحضر أوده باشة البوابة فقبض عـلى أكثرهم ، ووضعهم فى الحديد وطلع بهم الى الباشا وأخبروه بالقضية ، فأمر بسجنهم بالعرقانة ، فاستمروا حتى سافر الحج من مصر ومات منهم جماعة فى السجن ثم أفرج عن باقيهم .

سنة ١١١١ هجرية

ربيع الآخر

منتصفه (١٠ اكتوبر ١٦٩٩ م) :

حضر الى مصر قره محمد باشـا المتولى عليها وهو كتخدا اسماعيل باشا .

سنة ١١١٤ هجرية

(٢٨ مايو ١٧٠٢ ـ ١٦ مايو ١٧٠٣) .

فيها ولاية (قره محمد باشا) ، حصلت حادثة الفضة المقصوصة والتسعيرة .

سنة ١١١٥ هجرية

ربيع الآخر

١٧ منه (٣٠ اغسطس ١٧٠٣ م) :

وردت الأخبـار بوفاة السـلطان مصـطفى خان الثانى (١) .

(١) توفى السلطان مصطفى خان الثانى بن السلطان محمد الرابع وله من العمر ٤٠ سنة حكم منها ٨ سنوات و٨ اشهر وتسلطن بعد السلطان احمد الثالث بن السلطان محمد الرابع . (التوفيقات الالهامية)

وفى هذه السنة ، أمر الباشـا بقطع السقائف والدكاكين لأجل توسعة الطريق والأسواق ، ففعل ذلك . ثم أمر بقطع الأرض وتمهيدها فحفروا نحو ذراع أو أكثر من الأسواق ففعل ذلك

سنه ١١١٦ هجريه

رجب

(نوفمبر ١٧٠٤ م) :

فى هذا الشهر عزل قره محمد باشا من ولاية مصر .. فكانت مدة ولايته خمس سنوات . ومن أهم مآثره : تعمير الأربعين الذى بجوار باب قراميدان . وأنشأ فيه جامعا بخطبة ، وتكية لفقراء الخلوتية من الأروام(١) وأسكنهم بها . وأنشأ تجاهها مطبخا ودار ضيافة للفقراء ، وفى علوها مكتبا للأطفال يقرؤون فيه القرآن ، ورتب لهم مايكفيهم ، وأنشأ فيما بينها وبين البستان المعروف بالغـورى حمـاما فسيحا مفروشا بالرخام الملون ، وجدد بستان الغورى ، وغرس فيه الأشجار ، ورمم قاعة الغـورى التى بالبستان .

شعبان

٦ منه (٤ ديسمبر ١٧٠٤ م) .

تولى رامى محمـد باشا (٢) ، وكان تـولى الوزارة فى زمن السلطان مصطفى وانفصل عنها وجعل محافظا بجزيرة قبرص ، ثم حضر منها واليا على مصر وطلع الى القلعة .

(١) يعنى بالاروام ... الاتراك !

(٢) يخالف الحاج مصطفى بن ابراهيم ـ فى كتابه « تاريخ وقائع مصر » ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٤٠٢ ـ تاريخ الجبرتى وصاحب التوفيقات الالهامية فى تاريخ تولية محمد رامى باشا فيذكر انه تولى مصر فى سنة ١١١٧ هـ (١٧٠٥ م) ويقول ايضا أنه دخل مصر فى موكب عظيم وطلع الى قلعة الجبل ، وعمل له الانكشارية شنك مدافع من الابراج .

١٧ منه (١٥ ديسمبر ١٧٠٤ م) :

تقلد قيطاس بيك امارة الحج عوضا عن أيوب بيـك .

وفى تلك السـنة توقف النيـل عن الزيادة ، فضج الناس وابتهلوا بالدعاء وطلب الاستسقاء ، واجتمعوا على جبـل الجيوشى وغيره من الأماكن المعروفة باجابة الدعاء ، فاستجاب الله لهم . فروى بعض البلاد وهبط سريعا فحصل الغلاء . وبلغ سعر الأردب من القمح والفول ٢٤٠ فضة ، والعدس ٢٠٠ نصف فضة ، والشـعير ١٠٠ نصف فضة ، والأرز ٤٠٠ نصف فضة ، واللحم الضانى الرطل ٣ أنصاف فضة ، والجاموسى والبقرى بنصفى فضة ، والسمن القنطار بستمائة نصف فضـة ، والزيت بثلاثمائة وخمسين . والدجاجة بثمانية أنصـاف فضة . والبيض كل ثلاث بيضات بنصف . والرطل الشـمع الدهن بثمانية أنصاف فضـة ... وكثر الشحاذون فى الأزقة .

سنة ١١١٧ هجرية

(٢٥ ابريل ١٧٠٥ ــ ١٤ ابريل ١٧٠٦)

اشتد فيها الغلاء (١) .

وفيهـا أنشـأ الأمير الجوربجى جامع الهياتم بالحنفى .

سنة ١١١٨ هجرية

فى هذه السنة لم يأت من اليمن ولا من الهنـد مراكب ، فشح القماش الهندى ، وغلا البن حتى بلغ القنطار ٢٧٥٠ نصفا . وغلا الشاش ، فبيع الفرحات خان بأربعمائة نصف فضة ، والخنكارى بسبعمائة نصف .

رجب

٦ منه (١٤ اكتوبر ١٧٠٦ م) :

عزل محمد رامى باشـا وحضر مسـلم على باشا (١) .

٩ منه (١٧ اكتوبر ١٧٠٦ م) :

نزل محمـد باشـا رامى من القلعة فى موكب عظيم . وسكن بمنزل أحمد كتخدا العزب سابقا .. المطل على بركة الفيل بالقرب من حمام السكران .

شعبـان

٩ منه (١٦ نوفمبر ١٧٠٦ م) :

وصل على باشا من طريق البحر ، وذهبت اليه الملاقاة على العادة ، وأرسى بساحل بولاق وهو فى نحو ألف ومائتى نفس خلاف الأتباع .

١٢ منه (١٩ نوفمبر ١٧٠٦ م) :

ركب بالموكب وطلع الى القلعة وضربوا المدافع لقدومه .

فى آخره (أوائل ديسمبر ١٧٠٦ م) :

وقعت فتنة بين العزب والمتفرقة .. وسببها : أن شخصا من بلك العزب ، يسمى محمد أفندى كاتب صـغير سابقا ، ثم بعد عزله تولى خليفة فى ديوان المقابلة ، وحصل له تهمة عزل بها من المقابلة . ثم عمل سردار بالاسكندرية على طائفة العزب وعمل كتخدا القبودان . وركب فى المراكب وأشيع أنه غرق فى البحر ، فحلوا اسمه وماله من التعلقـات فى بابه وغيره . وبعد مدة حضر الى مصر وطلع الى الديوان . وصحح اسمه الذى فى العزب وجراياته وتعلقاته ،

(١) اخبار هذا العام نقلناها من التوفيقات الالهامية .

(١) يسميه صاحب التوفيقات الالهامية والحاج مصطفى بن ابراهيم فى كتابه ــ وقائع مصر القاهرة ــ « على مسلم- باشا»

وبقى له بعض تعلقات لم يقدر على خلاصها .. ولم يساعده أهل بابه وأهملوا أمره ، فتغيرخاطره منهم ، وذهب الى بلك المتفرقة ، وانضم اليهم وسألهم أن يخرجوه من العزب ويدخلوه فيهم . وجعل يركب معهم كل يوم للديوان ويمر على باب العزب . فبينما هو ذات يوم طالع الى الديوان ، اذ وقف له جماعة من العزب ، وقبضوا على لجام فرسه وأنزلوه من على فرسه وحبسوه فى بابهم ، وبلغ الخبر المتفرقة وهم فى الديوان وحضر محمد أمين بيت المال فى العزب ، وكان فى ذلك اليوم نائبا عن باشجاويش لتمرضه فعاتبه جماعة المتفرقة على مافعله جماعته ، فأغلظ عليهم فى الجواب فقبضوا عليه من أطواقه ، وأرادوا ضربه فدخل بينهم المصلحون وخلصوه من أيديهم ، فنزل الى باب العزب وأخبرهم بما فعله المتفرقة . فاجتمعت طائفة العزب ووقفوا على بابهم .. فلما مر عليهم اثنان من جماعة المتفرقة نازلين الى منازلهما وهما : محمد الأبدال وصارى على . فلما حاذياهم هجم عليهما طائفة العزب هجمة واحدة وضربوهما ضربا مؤلما ، وأنزلوهما عن الخيل وشجوهما ونهبوا ماعلى الخيل من العدد وأخذوا ماعليهما من الملبوس . فلما وصل الخبر للمتفرقة اجتمعوا مع بقية الوجاقات وقعدوا فى باب الينكجرية ، وأنهوا أمرهم الى الأغوات والصناجق وأهل الحل والعقد . واستمروا على ذلك ثلاثة أيام الى أن وقع التوافق على اخراج أربعة أنفار ... الذين كانوا سببا لاشعال نار الفتنة ونفيهم من مصر وهم : أحمد كتخدا العزب ومحمد أمين بيت المال والشريف محمد باش أوده باشه ومحمد أفندى قاضى أوغلى الذى كان الباعث على ذلك ، فوافق على ذلك الجميع وصمموا عليه فسفروهم الى جهة الصعيد .

ذو الحجة

٢ منه (٧ مارس ١٧٠٧ م) :

عزل على أغا مستحفظان وتولى عوضه رضوان أغا كتخدا الجاويشية سابقا وركب بالشعار المعلوم وقطع ووصل وأمر أهل الأسواق أن يدمغوا الأرطال فى دار الضرب بالدمغة السلطانية ، وجعلوا على كل دمغة نصف فضة فتحصل من ذلك مال له صورة .

سنة ١١١٩ هجرية

المحرم

١٧ منه (٢٠ ابريل ١٧٠٧ م) :

توفى اسماعيل بيك الدفتردار وولى أيوب بيك عوضه وهو الذى كان أمير الحج سابقا .

صفر

٦ منه (٩ مايو ١٧٠٧ م) :

ورد مرسوم من السلطان أحمد بأن يكون عيار الذهب اثنين وعشرين قيراطا ، وكانوا يقطعونه على ستة عشر .

٩ منه (١٢ مايو ١٧٠٧ م) :

ورد أمر بحبس محمد باشا رامى وبيع كامل ما يملكه من متاع وملبوس وغيره ، فحبس بقصر يوسف صلاح الدين ، وابطال والى البحر الذى يتولى من باب العزب .

وفيه وصل الحجاج وقد تأخروا الى نصف صفر .. بسبب دخول مراكب الهند وشراء مابها من الأقمشة .

ربيع الأول

(يونيو ١٧٠٧ م) .

حبس جماعة من أتباع الباشا وهم : الكتخدا والخازندار وغيرهم من أرباب الكلمة .

ربيع الآخر

١٨ منه (١٦ سبتمبر ١٧٠٧ م):

تقلد ابراهيم بيك الدفتردارية عوضا عن أيوب بيك بموجب مرسوم سلطانى .

وفيه عـزل رضوان أغا مستحفظان . وتولى أحمد أغا بن بكير افندى عوضا عنه .

وفيه : ورد أمر بابطال نوبة محمد باشا ونفيه الى جزيرة رودس ؛ فنزل من يومه الى بولاق وأقام بها الى أن سافر .

رجب

أوله (٢٨ سبتمبر ١٧٠٧ م):

ورد أمر بعزل على باشا وحبسه فى قصر يوسف، واستخلاص ماعليه من الديون الى تجار اسلامبول . وجعـل ابراهيم بيك قائمقام ، وحبس على باشا وبيعت موجوداته .

ووقعت فتنـة بباب الينكجرية ، فعزلوا افرنج أحمد باش أوده باشا وحسين أوده باشا ، ثم نفوهم الى الطينة بدمياط (١) .

ووردت الأخبار بولاية حسـين باشا على مصر وقدومه الى الاسكندرية .

شعبان

٢٣ منه (١٩ نوفمبر ١٧٠٧ م):

قدم حسين باشا الوالى الى مصر .

وفيه : سافر الشريف يحيى بن بركات الى مكة بمرسوم سلطانى .

وفيه : فر افرنج أحمد أوده باشا وحسين أغا من حبس الطينة ، ودخلا مصر ليلا فاختبآ عند أغات

(١) يذكر صاحب التوفيقات الالهامية ان فى هذا اليوم اجتهد الوالى فى منع العسكر مما كانوا يفعلونه ، فضجوا من ذلك وقاموا عليه قومة واحدة ، وحاصروه بالقلعة ، ونهبت البلد ، واغلقت الحوانيت والخانات .

الجراكسة . والتجأ حسين الى باب التفكجية .

٢٥ منه (٢١ نوفمبر ١٧٠٧ م):

طلع حسين باشا الى القلعة بالموكب المعتاد على العـادة .

٢٦ منه (٢٢ نوفمبر ١٧٠٧ م):

اجتمع الينكجرية بالباب بأسلحتهم .. لما بلغهم قدوم افرنج أحمد الى مصر وقالوا : « لابد من نفيه ورجوعه الى الطينة » فعاند فى ذلك طائفة الجراكسة ، وامتنعوا من التسليم فيـه وقالوا « لابد من نقله من وجاقكم » وساعدهم بقية البلكات ، ولم يوافق الينكجـرية على ذلك ، ومكثوا ببـابهم يومين وليلتين ، وكذلك فعل كل بلك ببابه . فاجتمع كل العلماء والمشايخ على الصناجق والأعيان وخاطبوهم فى حسم الفتنـة . فوقع الاتفـاق على أن يجعلوه صاحب طبلخانة ، وأرسلوا له القفاطين مع كتخدا الباشا وأرباب الدرك . وأحضروه الى مجلس الأغا وقرأوا عليـه فرمان الصنجقية ، وان خالف يكون عليه بخلاف ذلك . فامتثل الأمر ولبس الصنجقيـة وطلع من منزل أغات الجراكسة بموكب عظيم الى منزله ونزل الى الصنجق السلطانى والطبلخانة .

ذو الحجـة

(مارس ١٧٠٨ م):

فيـه ورد أغا بطلب خازندار ابراهيـم بك الدفتردار . وسببـه أنه أنهى الى السلطـان أن خليل الخازندار المذكور أتاه رجل دلال بقوس ، فصار يجذبها ، ويتصرف فيها ، وكان بجانبه رجل من العثمانيين فأخذ القوس من يد خليل ، وأراد جذبها فلم يستطع ، فتعجب من خليل ، وأخذ منه القوس وسافر بها الى الديار الرومية ليمتحن بها أهل ذلك الفن ، فلم يقدر أحد على جذبها . واتصـل خبرها بالسلطـان فطلبها لجذبهـا ، فلم يستطع .

فتعجب من صعوبتها ، فقال له الرجل ان بمصر مملوكا عند ابراهيم بك أوترها وصار يجذبها حتى تجمع طرفاها ، وعنده أيضا مكحلة ثلاثون درهما يرمى بها الهدف وهو رامح على ظهر الحصان فأمر السلطان باحضاره ، فجهزه ابراهيم بك وأرسله .

سنة ١١٢٠ هجرية

شوال

١٨ منه (٣١ ديسمبر ١٧٠٨ م) (١) :

اجتمع عسكر بالديوان وأنهوا الى الباشا أن محمد بك حاكم جرجا أنزل عربان المغاربة وأمنهم ، وهذا يؤدى الى الفساد ، فعزلوه وولوا آخر اسمه محمد من أتباع قيطاس بك جعلوه صنجقا وألبسوه على جرجا ، وهو الذى عرف بقطامش .

١٩ منه (١ يناير ١٧٠٩ م) :

ورد محسن زاده أخو كتخدا الوزير ، فأدخله حسين باشا بموكب حافل وطلع الى القلعة وأبرز مرسوما بعزل ايواز بك وتولية محمد باشا محسن زاده فى منصبه ، فأنزله فى غيط قراميدان الى أن سافر صحبة الحاج الشريف .

ذو القعدة

١٤ منه (٢٥ يناير ١٧٠٩ م) :

وقف مملوك لرجل يسمى محمد أغا الحلبى على دكان قصاب بباب زويلة ليشترى منه لحما فتشاجر مع حمار عثمان أوده باشا البوابة فأعلم عثمان بذلك ، فأرسل أعوانه وقبضوا على ذلك المملوك وأحضروه اليه ، فأمر بحبسه فى سجن الشرطة . فلما بلغ محمد جاويش سجن مملوكه حضر هو وأولاده وأتباعه الى باب صاحب الشرطة لخلاص مملوكه ، فتفاوضا فى الكلام وحصل بينهما مشاجرة. فقبض عثمان أوده باشا على محمد جاويش المذكور وأودعه فى السجن ، وركب الى باش أوده باشا ، وهو اذ ذاك سليمان بن عبد الله وطلع الى كتخدا مستحفظان وعرض القصة فلم يرضوا له بذلك وأمروه باطلاقه ، فرجع وأخرج محمد جاويش ومملوكه من السجن . وفى ثانى يوم الحادثة اجتمعت طائفة الجاويشية مع طائفة المتفرقة والثلاث بلوكات الأسباهية والأمراء والصناجق والأغوات فى الديوان ، وطلبوا نفى عثمان أوده باشا المذكور فلم توافقهم الينكجرية على ذلك ، فطلعوا الى الديوان وطلبوا عثمان المذكور للدعوى عليه ، فحضر وأقيمت الدعوى بحضرة الباشا والقاضى ، فأمر القاضى بحبس عثمان كما حبس محمد جاويش، فلم يرض الأخصام بذلك وقالوا « لابد من عزله ونفيه » فلم توافقهم الينكجرية ، فطلب العسكر من الباشا أمرا بنفيه ، فتوقف فى ذلك ، فنزلوا مغضبين واجتمعوا بمنزل كتخدا الجاويشية وأنزلوا مطبخهم من نوبة خاناه الى منزل كتخدا الجاويشية صالح أغا وأقاموا به ثلاثة أيام ليلا ونهارا وامتنعوا من التوجه الى الديوان ، ثم اجتمع أهل البلوكات وتحالفوا أنهم على قلب رجل واحد ، واتفقوا على نفى عثمان أوده باشا . ثم اجتمعوا على الصناجق واتفقوا على أن يكونوا معهم على طائفة الينكجرية لأنهم لم يعتبروهم . وأرسل الأسباهية مكاتبات لأنفارهم المحافظين مع الكشاف بالولايات يأمرونهم بالحضور .

وفى ذلك اليوم عزل أوده باشا البوابة وولى خلافه .

(١) وقع فى هذه السنة (اى سنة ١١٢٠ هـ) حوادث بين الأمراء نشأ عنها حروب بينهم استمرت نحو ثمانين يوما بين الفقارية والقاسمية . وكانوا اذ ذاك يخرجون فى كل يوم الى خارج القاهرة قريبا من المحل المعروف بقبة العزب فيتحاربون الى أن تدنو الشمس من الغروب ثم يرجعون الى منازلهم .

السيد اسماعيل الخشاب : تاريخ وقائع بمصر من سنة ١١٠٠ هـ : مخطوطة بدار الكتب المصرية ، مكتبة ليمور .

الجمعة ٢٨ منه (٨ فبراير ١٧٠٩ م) :

حضر الى طائفــة الينكجرية من أخبرهم أن العسكر يريدون قتالهم ، فأرسلوا القابجية الى أنفارهم ليحضروا الى الباب بآلة الحرب ، فاجتمعوا وانزعج أهل الأسواق وأقفل غالبهم دكاكينهم ثم اطمأنوا بعد ذلك وجلسوا فى دكاكينهم ، واستمر أهل الوجاقات الستة يجتمعون ويتشاورون فى أبوابهم وفى منزل محمد أغا المعروف بالشاطر ومنزل ابراهيم بك الدفتردار . وأما الينكجرية فانهم كانوا يجتمعون بالباشا فقط .

ذو الحجة

الأحد ١٤ منه (٢٤ فبراير ١٧٠٩) :

قدم محمد بك الذى كان بالصعيد فى جند كثيف وأتباع كثيرة وطلع الى ديوان مصر على عادة حكام الصعيد المعزولين ، ولبس الخلع السلطانى ونزل الى بيته بالصليبة . ثم ان أهل الوجاقات الستة اجتمعوا واتفقوا على ابطال المظالم المتجددة بمصر وضواحيها وكتبوا ذلك فى قائمة واتفقوا أيضا :

أن من كان له وظيفة بدار الضرب والأنبار والتعريف بالبحرين أو المذبح لا يكون له جامكية فى الديوان ولا ينتسب لوجاق من الوجاقات .

وألا يحتمى أحد من أهل الأسواق فى الوجاقات.

وأن ينظر المحتسب فى أمورهم ويحرر موازينهم على العادة .

وأن يركب معه نائب من باب القاضى مباشرا معه .

وألا يتعرض أحد للمراكب التى ببحر النيل التى تحمل غلال الأنبار .

وأن يحمل الغلال المذكورة جميع المراكب التى ببحر النيل ولا تختص مركب منها بباب من أبواب الوجاقات .

وأن كل ما يدخل مصر من بلاد الأمناء باسم الأكل لا يؤخذ عليه عشر .

وألا يباع شىء من قسم الحيوانات والقهوة الى جنس الأفرنج .

وألا يباع رطل البن بأزيد من سبعة عشر نصفا فضة .

وأرسلوا القائمة المكتتبة الى الباشا ليأخذوا عليها « بيورلدى » (١) وينادى به فى الأسواق . فتوقف الباشا فى اعطاء « البيورلدى» . ولما بلغ الانكشارية ما فعل هؤلاء اجتمعوا ببابهم وكتبوا قائمة نظير تلك القائمة بمظالم الخردة ومظالم اسباهية الولايات وغيرها وأرسلوها الى الباشا فعرضها على أهل الوجاقات فلم يعتبروها ، وقالوا لابد من اجراء قائمتنا وابطال ما يجب ابطاله منها من المظالم .

الأحد ٢١ منه (٣٠ مارس ١٧٠٩ م) :

اجتمع أهل الوجاقات ومعهم الصناجق بباب العزب وقاضى العسكر ونقيب الأشراف بالديوان عند الباشا ، وأرسلوا الى الباشا أن يكتب لهم « بيورلدى » بابطال ما سألوه فيه والمناداة به . وان لم يفعل ذلك أنزلوه ، ونصبوا عوضه حاكما منهم وعرضوا ذلك على الدولة ، فلما تحقق الباشا منهم ذلك كتب لهم ما سألوه ، وكتب لهم القاضى أيضا حجة على موجبه ، ونزل بهم المحتسب وصاحب الشرطة ونائب القاضى وأغا من تباع الباشا ونادوا بذلك فى الشوارع .

غايته (١٢ مارس ١٧٠٩ م) :

كسف جرم الشمس فى الساعة الثامنة ، واستمر سبع عشرة درجة ثم انجلت .

(١) موافقة

سنة ١١٢١ هجرية

المحرم

السبت ٤ منه (١٦ مارس ١٧٠٩ م) :

اجتمع الينكجرية عند أغاتهم وتحالفوا أنهم على قلب رجل واحد ، واجتمع أنفارهم جميعا بالغيط المعروف بخمسين كتخدا وتحالفوا كذلك .

٧ منه (١٩ مارس ١٧٠٩ م) :

اجتمع أهل الوجاقات بمنزل ابراهيم بك الدفتردار وتصالحوا على أن يكونوا كما كانوا عليه من المصافاة والمحبة بشرط أن ينفذوا جميع ما كتب فى القائمة ونودى به ، ولا يتعرضوا فى شىء منه فلم يستمر ذلك الصلح .

السبت ١١ منه (٢٣ مارس ١٧٠٩ م) :

وقع فى الجامع الأزهر فتنة بعد موت الشيخ النشرتى (١) ، ثم ان الينكجرية قالوا : لا نوافق على نقل دار الضرب الى الديوان حتى تكتبوا لنا حجة بأن ذلك لم يكن لخيانة صدرت منا ولا تخوف عليها . فامتنع أخصامهم من اعطاء حجة بذلك . ثم توافق أهل البلوكات الستة على أن يعرضوا فى شأن ذلك الى باب الدولة ، فان أقرها فى مكانها رضوا به ، وان أمر بنقلها نقلت . فاجتمعوا هم ونقيب الأشراف ومشايخ السجاجيد وكتبوا العرض المذكور ووضعوا عليه ختومهم ما عدا الينكجرية فانهم امتنعوا من الختم ، ثم أمضوه من القاضى وأرسلوه مع أنفار من البلوكات وأغا من طرف الباشا . وأما الينكجرية فانهم اجتمعوا ببابهم وكتبوا عرضا من عند أنفسهم الى أرباب الحل والعقد من أهل وجاقهم بالديار الرومية ، وعينوا للسفرية على افندى كاتب مستحفظان سابقا وأحمد جوربجى ، وجهزوهم للسفر .

ربيع الأول

١٣ منه (٢٣ مايو ١٧٠٩ م) :

تقلد امارة الحج قيطاس بك مقررا على العادة فى صبيحة المولد النبوى فى كل سنة ، وكان أشيع أن بعض الأمراء سعى على منصب امارة الحج . فلما بلغ الينكجرية ذلك اجتمعوا ببابهم لابسين سلاحهم وجلسوا خارج الباب الكبير على طريق الديوان بناء على أنه ان لبس شخص امارة الحج خلاف قيطاس بك لا يمكنوه من ذلك . فلما رأى الصناجق والأمراء ذلك منهم خافوهم وقالوا : « هذه أيام تحصيل الخزينة ، ونخشى وقوع أمر من هؤلاء الجماعة يؤدى الى تعطيل المال » . فاجتمع رأى الصناجق وأهل الوجاقات الستة على نفى ستة أشخاص من الينكجرية الذين بأيديهم الحل والعقد ، ويخرجونهم من مصر الى بلاد التزامهم تسكينا للفتنة حتى يأتى جواب العرض .

فلما بلغ الينكجرية ما دبروه اجتمعوا فى بابهم ، فى عددهم وعددهم ، فلم يلتفتوا الى فعلهم وقالوا : «لابد من نفيهم أو محاربتهم» . واجتمعوا كذلك فى أبوابهم ، واستعد الينكجرية فى بابهم وشحنوه بالأسلحة والذخيرة والمدافع ، فحصل لأهل البلد خوف وانزعاج ، وأغلقوا الدكاكين ، ونقل الجاويشية مطبخهم من القلعة من النوبة الى منزل كتخدا الجاويشية ، وأقام طائفة الينكجرية منهم طوائف محافظين على أبواب القلعة وباب الميدان والصحراء الذى بالمطبخ الموصل الى القرافة خوفا من أن العسكر يستميلون الباشا وينزلونه بالميدان لأنهم كانوا أرسلوا له كتخدا الجاويشية وطلبوا منه النزول الى قراميدان ليتداعوا مع الينكجرية على يد قاضى العسكر ، فلم تمكنهم الينكجرية من ذلك ، وحصل لكتخدا الجاويشية ومن معه مشقة فى ذلك اليوم من المذكورين عند عودهم من عند الباشا ، وما خلصوا الا بعد جهد عظيم .

---

(١) توفى فى ١١٢٠ هـ (١٧٠٨ م)

٢٠ منه (٣٠ مايو ١٧٠٩ م) :

اجتمع الصناجق والعسكر واختاروا محمد بيك الذى كان بالصعيد لحصار القلعة من جهة القرافة على جبل الجيوشى بالمدافع والعسكر ، ففعل ما أمروا به ، وخافت العسكر وقوع نهب بالمدينة فعينوا مصطفى أغا أغات الجراكسة يطوف فى أسواق البلد وشوارعها كما كان يفعل فى زمن عزل الباشا .

السبت ٢٢ منه (١ يونية ١٧٠٩ م) :

اجتمع الأمراء الصناجق والأسباهية بالرميلة وعينوا أحمد بك المعروف بافرنج أحمد أغات انتفكجية ليحاصروا طائفة الينكجرية من بابهم المتوصل منه الى المحجر وباب الوزير ، ويمنعوا من يصل اليهم بالأمداد . وأما الينكجرية الذين كانوا بالقاهرة فاجتمعوا بباب الشرطة ، واتفقوا على أن يدهموا العسكر المحافظين بالباب ويكشفوهم ويدخلوا الى باب الينكجرية . فلما بلغ الصناجق ذلك والعسكر عينوا ابراهيم الشهير بالوالى ، ومصطفى أغات الجبجية فى طائفة من الاسباهية فنزلوا الى باب زويلة(١) . ولما بلغ خبرهم الينكجرية الذين كانوا قد تجمعوا فى باب الشرطة تفرقوا فجلس مصطفى أغا محل جلوس الأوده باشا ، وابراهيم بك فى محل جلوس العسس ، وانتشرت طوائفهم فى نواحى باب زويلة والخرق (٢) ، واستمروا ليلة الأحد على هذا المنوال فطلع فى صبحها نقيب الأشراف والعلماء وقاضى العسكر وأرباب الأشاير واجتمعوا بالشيخونيتين بالصليبة وكتبوا فتوى بأن الينكجرية ان لم يسلموا فى نفى المطلوبين والا جاز محاربتهم ، وأرسلوا الفتوى صحبة جوخدار

(١) بناه أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٨٥ هـ .

(٢) هو ميدان « باب الخلق » حتى قريب ، وميدان أحمد ماهر الآن . وهو يبدأ من آخر شارع تحت الربع وينتهى أول شارع غيط العدة بجوار مسجد السلطان شاه .

من طرف القاضى الى باب الينكجرية . فلما قرئت عليهم تراخت عزائمهم وفشلوا عن المحاربة وسلموا فى نفى المطلوبين بشرط ضمانهم من القتل ، فضمنهم الأمراء الصناجق وكتبوا لهم حجة بذلك ، فلما وصلتهم الحجة أنزلوا الأنفار الثمانية المطلوبين الى أمير اللواء ايواز بك (١) ورضوان أغا (٢) ، فتوجها بهم الى بولاق ومن هناك سافروا الى بلاد الريف .

ربيع الآخر

١٩ منه (٢٨ يونية ١٧٠٩ م) :

ورد أمير آخور صغير من الديار الرومية ، وطلع الى القلعة ، وأبرز مرسومين قرئا بالديوان بمحضر الجمع : أحدهما بابطال المظالم والحمايات بموجب القائمة المعروضة من العسكر ونفى عطاء الله المعروف ببولاق ، وأحمد جلبى بن يوسف أغا ، وأن يحاسبوا تجار القهوة على مرابحة العشرة اثنى عشر بعد رأس المال والمصاريف . والأمر الثانى بنقل دار الضرب من قلعة الينكجرية الى حوش الديوان ، وبناء قنطرة اللاهون بالفيوم ، وأن يحسب مايصرف عليهما من مال الخزينة العامرة .

وفى يوم تاريخه : برز أمر من الباشا برفع صنجقية أحمد بك الشهير بافرنج أحمد بك (٣) والحاقه بوجاق الجملية . واجتمع أعيان مستحفظان بمنزل أحمد كتخدا المعروف بشهر اغلان ، وأرسلوا خلف افرنج أحمد وتصالحوا معه وتعاهدوا على الصدق وأن لا يغدرهم ولا يغدروه ، ومضوا معه الى الباب الجملى ، وأخذوا عرضه ، وركب الحمار وطلع الى باب مستحفظان فى جم غفير من الأوده باشية وتقرر باش أوده باشا كما كان سابقا وعاد الى منزله .

(١) من طائفة القاسمية .

(٢) من طائفة القاسمية .

(٣) كان جبارا عنيدا ، تسببت عنه الفتنة الكبرى التى نجمت عنها حروب طويلة بين طوائف المماليك .

٣٠ منه (٨ يولية ١٧٠٩) :

رجع الأنفار الثمانية المنفيون وأخرجوهم من وجاق الينكجرية ووزعوهم على أهـل الوجاقات باطلاع الأمراء الصناجق والأغوات .

جمـادى الأولى

اوله (٩ يولية ١٧٠٩ م) :

أرسل القاضى فأحضر مشايخ الحرف وعرفهم أنه ورد أمر يتضمن أن لا يكون لأحد من أرباب الحرف والصنائع علاقة ولا نسبة فى أحد الوجاقات السبع ، فأجابوه بأن أغلبهم عسكرى وابن عسكرى وقاموا على غير امتثال ، ثم بلغ القاضى أنهم أجمعوا على ايقاع مكروه به ، فخافهم وترك ذلك وتغافل عنه ولم يذكره بعد .

جمـادى الآخرة

١٥ منه (٢٢ اغسطس ١٧٠٩ م) :

تم بنـــاء دار الضرب التى أحدثوها بحوش الديوان ، وضرب بها السكة ، وكان محلها قبـل ذلك معمل البارود ، ونقل معمل البارود الى محل بجوارها .

وفيه لبس ابراهيم بيك أبوشنب (١) أميرا على الحاج عوضا عن قيطاس بيك ، وتولى قيطاس بيك دفتردارية مصر عوضـا عن ابراهيم بيك بموجب مرسوم ورد بذلك من الأعتاب .

رمضـان

١٩ منه (٢٢ نوفمبر ١٧٠٩ م) :

ورد الخبر بعزل حسين باشا وولاية ابراهيم باشا القبودان ، ووردت منه مكاتبة بأن يكون حسين باشا نائبا عنه الى حين حضوره . ولم نفوض أمر النيابة الى أحد من صناجق مصر كما هو المعتاد .

(١) من طائفة القاسمية الذين قضى عليهم ابراهيم كتخدا - استاذ طائفة المماليك الابراهيمية . (محمد رفعت رمضان - على بك الكبير ص ١٧) .

شـوال

(ديسمبر ١٧٠٩ م) :

ترادفت الأمطار وسالت الأودية حتى زاد بحر النيل بمقدار خمسة أذرع وتغير لونه لكثرة ممزجة الطفل للماء فى الأودية ، واستمرت الأمطار تنزل وتنسكب الى آخر الشهر .

ذو القعـدة

١٥ منه (١٦ يناير ١٧١٠ م) :

نزل حسين باشا من القلعة بموكب عظيم وأمامه الصناجق والأغوات الى منزل الأمير يوسف أغا دار السعادة بسويقة عصفور ، ووصـل ابراهيم باشا القبودان وطلع الى القلعة فى منتصف الحجة .

سنه ١١٢٢ هجرية

المحـرم

فى منتصفه (١٦ مارس ١٧١٠ م) :

اجتمع أهل البلوكات السبعة بسبيل على باشا(١) بجوار الامام الشافعى ، واتفقـوا على نفى ثلاثة أنفار من بينهم ، فنفوا فى يوم الخميس من اختيارية الجاويشية : قاسم أغا ، وعلى افندى كاتب الحوالة ، ومن وجاق المتفرقة : عـلى أفندى المحاسبجى . وسببه أنهم اتهموهم بأنهم يجتمعون بالباشا فى كل وقت ويعـــرفونه بالأحوال ، وأنهم أغروه بقطع الجوامك المكتتبة بأسماء أولاد وعيال ، والجوامك المرتبة على الأوقاف . واتفـق أنه مات جماعـة فضبط جوامكهم المرتبة على أولاد وعيال للمحلول وأن العسكر راجعـوه فى ذلك فلم يوافقهم على ذلك وأيضا راجعه الاختيارية المرة بعد المرة فقال : لا أسلم الا لمن ينقل اسـمه الى أحـد الوجاقات السبعة ، فمن نقل اسمه فانى لا أعارضه ، فرضوا

(١) غربى مشهد الامام الشافعى من وقف الأمير على باشا انشاه على باشا سنة ١٠١٣ هـ .

بذلك وأخذوا منه فرمانا ، فورد بعد ذلك سلحدار الوزير وعلى يده أوامر بابطال المرتبات ، وأن من عاند فى ذلك يؤدبه الحاكم ، فأذعنوا بالطاعة ، فأراد الباشا نفى الثلاثة أنفار من اختيارية العزب ، فلم توافق العسكر . ثم اتفق العسكر على كتابة عرض بالاستعطاف بابقاء ذلك ، وسافر به سبعة أنفار من الأبواب السبعة .

ربيع الأول

الخميس غايته (٢٩ مايو ١٧١٠ م)

تقلد الأمير ايواز بيك امارة الحج عوضا عن ابراهيم بيك لضعف مزاجه ووهن قوته .

جمادى الأولى

أوائله (أوائل يوليه ١٧١٠ م) :

ورد من الديار الرومية مرسوم قرىء بالديوان مضمونه أن وزن الفضة المصرية زائد فى الوزن عن وزن اسلامبول ، والأمر بقطع الزائد ، وأن تضرب سكة الجنزرلى ظاهرة ، ويحرر عياره على ثلاثة وعشرين قيراطا .

رجب

٢ منه (٢٧ اغسطس ١٧١٠ م) :

حصلت زلزلة فى الساعة الثامنة .

وفيه ورد مرسوم بابقاء المرتبات التى عرض فى شأنها كما كانت ولكن لا يكتب بعد اليوم فى التذاكر أولاد وعيال ولا ترتب على جهة وقف .

١٥ منه (٩ سبتمبر ١٧١٠ م) :

ورد عزل ابراهيم باشا ، وولاية خليل باشا واقامة أيوب بيك قائمقام . ونزل ابراهيم باشا من القلعة الى منزل عباس أغا ببركة الفيل فكانت مدته ثمانية أشهر .

شعبان

١٠ منه (٤ اكتوبر ١٧١٠ م) :

وصل خليل باشا الكوسج ، وكان بصيدا من أعمال الشام فقدم بالبر .

ذو القعدة

١٢ منه (٢ يناير ١٧١١ م) :

ورد أمر بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصرى وعليهم صنجق لسفر الموسقو ، وكانت النوبة على محمد بيك حاكم جرجا حالا ، فتعذر سفره ، فأقيم بدله اسماعيل بيك (١) تابع ذى الفقار بيك فقلدوه الصنجقية .

ذو الحجة

١٢ منه (اول فبراير ١٧١١ م) :

أمد محمد بيك اسماعيل بيك بأربعين كيسا مصرية وجعله بدلا عنه وألبس القفطان .

سنه ١١٢٣ هجرية

المحرم

الخميس مستهله (١٩ فبراير ١٧١١ م) :

(الموافق ١٤ من أمشير ـ ٧ شباط الرومى) .

فى ذلك اليوم انتقلت الشمس الى برج الحوت.

وفيه : نزل اسماعيل بيك بموكب وشق فى وسط القاهرة الى بولاق .

١٥ منه (٥ مارس ١٧١١ م) :

سافر اسماعيل بيك بالعسكر .

الجمعة ١٦ منه (٦ مارس ١٧١١ م) :

اجتمعت طائفة مصطفى كتخدا القزدغلى (٢)

---

(١) اسماعيل بيك زوج شقيقة حسن اغا بلفية ، وهما من الأمراء الفقارية .

(٢) انحدرت المماليك الابراهيمية من القازدغلية ، واستاذهم ابراهيم كتخدا تابع سليمان كتخدا القازدغلى تابع مصطفى كتخدا الكبير جد القازدغلية .

(محمد رفعت رمضان : على بك الكبير ص ١٧)

ومعـه من أعيـان الينكجرية خمسة عشر نفرا ، واتفقوا أنهم لا يرضون افرنج أحمد باش أوده باشا . فاما أن يلبس الضلمة أو يكون جربجيا فى الوجاق ، وان لم يرض بأحـد الأمرين يخـرج المذكورون من الوجاق ويذهبـون الى أى وجاق شاءوا . وكان الاجتماع بباب العزب ، وساعدهم على ذلك أرباب البلكات الستة ، وصمموا أيضا على رجوع الثمانية أنفار الذين كانوا أخرجوهم من باب الينكجرية ، ومشت الصناجق بينهم والاختيارية وصاروا يجتمعون تارة بمنزل قيطاس بيك الدفتردار ، وتارة بمنزل ابراهيم بيك أمير الحج سابقا . ثم أجمع رأى الجميع على نقـل الثمانيـة أنفـار المذكورين ومن انضم اليهم من الوجاقات الى باب العزب ، وأن يخرجوا أنفارا كثيرة من مصر منفيين منهم : ثلاثة من الكتخدائية وعشرة من الجربجية والباقى من الينكجرية ، وعرضوا فى شأن ذلك للباشا ، فاتفق الأمر على أن من كان منهم مكتوبا لسفر الموسقو فليذهب مع المسافرين ومن لم يكن مكتوبا فيعطى عرضه ويذهب الى باب العـزب . وحضر كاتب العزب والينكجرية فى المقابلة وأخرجوا من كان اسمه فى السفر وما عداهم أعطوهم عرضهم وتفرقوا عن ذلك . ووقع الحث على سفر من خرج اسمه فى المسـافرين وعـدم اقامتهم بمصر ، وأن يلحقوا بالمسافرين بثغر الاسكندرية .

صـفـر

١٣ منه (٢ ابريل ١٧١١ م) :

قدم ركب الحج صحبة أمير الحج ايواز بيك .

وفيه : اجتمع حسن جاويش القزدغلى الذى كان سردار القطار والأمير سليمان جربجى تابع القزدغلى سردار الصرة ، وابراهيم جربجى سردار جداوى ، وطلبـوا عرضهم من باب مسـتحفظان ، فذهب اليهم اختيارية بابهم واستعطفوهم فلم يوافقوهم .

ثم طلب موسى جـربجى تابع ابن الأمير مرزا أن يخرج أيضا من الوجاق وينقلوا اسمه من الجملية فلم يوافقه رضوان أغا ، فذهب موسى جربجى الى ابراهيم بيك وايواز بيك وقيطاس بيك ، وسألهم أن يتشفعوا له فى ذلك فلم يوافق رضوان أغا ، فاتفق رأيهم أن يعرضوا للباشا بأن يعزل رضوان أغا المذكور ويتولى على أغات الينكجرية سابقا ، وأن يعزل سليمان كتحدا الجاويشية ، ويولى عوضه اسماعيل أغا تابع ابراهيم بيك ، فامتنع الباشا من ذلك وكان اختيارية الجملية توافقوا مع الأمراء الصناجق على عزل رضوان أغا . فلما رأوا امتناع الباشا أخذوا الصندوق من منزل رضوان أغا . واجتمعوا بمنزل باشجاويش ، واجتمع أهل كل وجاق ببابهم ، واسـتمروا على ذلك أياما . وأما الينكجرية الذين انتقلوا الى العزب فانهم اجتمعوا ببـاب العـزب وقطعوا الطريق الموصـلة الى القلعة ، ومنعوا من يريد الطلوع الى باب الينكجرية من العسكر والأتباع ، ولم يبق فى الطريق الموصلة الى القلعة الا باب المطبخ ، ثم توجهوا للسواقى لأجل منع الماء عن القلعة ، فمنعهم العسـكر من الوصول اليها ، فكسروا خشب السـواقى التى بعرب اليسار ، وقطعوا الحبال والقواديس . ثم ان نفرا من أنفـار الينكجرية أراد الطلوع من طريق المحجر فضربوه وشجوا رأسه ومنعوه ، فمضى من طريق الجبل ودخل من باب المطبخ واجتمع بافرنج أحمد وبقية الينكجرية وعرفهم حاله ، فأخذه جماعة منهم وعرضـوا أمره على خليـل باشـا وقاضى العسكر . فقال : هؤلاء صاروا بغـاة خارجين عن الطاعـة حيث فعلوا ذلك ومنعونا المـاء والزاد وأخافوا الناس وسلبوهم ، فقـد جاز لنا قتالهم ومحاربتهم .

١٧ منه (٦ ابريل ١٧١١) :

ثم ان أحمد أوده باشا استأذن الباشا فى محاربة

باب العزب وضربهم بالمدافع والمكاحل فأذن له فى ذلك .

ومن ذلك الوقت تعــوق القاضى عن النزول وأخافوه ، واستمر مع الباشا الى انقضاء الفتنة مدة سبعين يوما . ورجع افرنج أحمد وشرع فى المحاربة وضرب على باب العزب بالمدافع وذلك من بعــد الزوال الى بعد العشاء ، وقتل من طائفة العزب أربعة أنفار بالمحجر .

ثم فى صبيحة ذلك اليــوم اجتمع من الأمراء الصــناجق الأمير ايواز بيك أمير الحاج والأمير ابراهيم بيك أبو شنب وقانصوه بيك ومحمود بيك ومحمد بيك تابع قيطاس بيك الدفتردار ، واتفقوا على أن يلبسوا آلة الحرب ويذهبوا الى الرميلة معونة للعزب على الينكجرية ، فأخبروا أن أيوب بيك ركب مدافع على طريق المــارين على منزله وعلى قلعة الكبش ، وربما أنهم اذا طلعوا الى الرميلة يذهب أيوب بيك وينهب منازلهم ، فامتنعوا من الركوب وجلسوا فى منازلهم بسلاحهم خوفا من طارق .

واستمر افرنج أحمد يحارب ثلاثة أيام بلياليها ، واجتمع على رضوان أغا طائفة من نفره ، وتذاكروا فيمن كان سببا لاثارة الفتنة فقالوا : سليم جربجى ومحمد افندى بن طلق ويوسف افندى وأحمــد جربجى توالى . فقالوا : لا نرضى هؤلاء الأربعة بعد اليوم أن يكونوا اختيارية علينــا . ثم ركبوا وتوجهوا الى منزل قيطاس بيك ، وأرســلوا من كل بلوك اثنين من الاختيارية الى منزل أيوب بيك يطلبون رضوان أغا ، فأركبوه فى موكب عظيم ، وكتبوا تذاكر للأربعة الاختيارية المذكورين بأنهم يلزمون بيوتهم ولا يركبون لأحد ولا يجتمع بهم أحد . ثم ركب رضوان أغا الى منزل أيوب بيك وتذاكروا فى الصلح ، وكتبوا تذكرة لأحمد أوده باشا بابطال الحرب فأبى الصلح ، فكتبوا عرضا الى الباشا عن لسان الصناجق وأغوات الوجاقات الخمسة برفع المحاربة فأرسل الباشا الى الينكجرية فامتثلوا أمره وأبطلوا الحرب وضرب المدافع .

ثم ان الصناجق والأغوات أرسلوا يطلبون جماعة من اختيارية الينكجرية ليتكلموا معهم فى الصلح فأجابوا الى الحضور غير أنهــم تعللوا بانقطاع الطريق من العسكر المقيمين بالمحجر ، فأرسلوا الى حسن كتخدا العزب ، فأرسل اليهم من أحضرهم وخلت الطريق . فاجتمع رأى الينكجرية على ارسال حسن كتخدا سابقا وأحمد بن مقز كتخدا سابقا أيضا فاجتمعوا بالعسكر والصناجق بمنزل اسماعيل بيك ، وحضر معهم جميع أهل الحــل والعقــد ، وتشاوروا فى اخماد هذه الفتنة ، وأرسلوا الى باب الينكجرية فقالوا : « نحن لا نأبى الصلح بشرط أن هؤلاء الثمانية الذين كانوا سببا لاثارة هــذه الفتنة لا يكونون فى باب العزب ، بل يذهبــون الى وجاقاتهم الأصلية ولا يقيمون فيه ، وأن يسلموا الأمير حسن الأخميمى للباشا يفعل فيه رأيه » فأبى أهل باب العزب ذلك ولم يرضوه ، فأرسل الأمراء الصناجق كتخداتهــم الى افرنج أحمــد ومعهــم اختيارية الوجاقات الخمسة يشفعون عنــده بأن الأنفار الثمانية يرجعون كما ذكرتم الى وجاقاتهم ويعفون من النفى ومن طلب الأمير حسن . فلم يوافق افرنج أحمــد على ذلك وقال : « ان لم يرضوا بشرطى والا حاربتهم ليلا ونهــارا الى أن أخفى آثار ديار العزب » . فتفرقوا على غير صلح .

ربيع الأول

٤ منه (٢٢ ابريل ١٧١١ م) :

ثم اجتمع الأمراء الصــناجق والأغوات بمنزل ابراهيم بيك بقناطر السباع ، وتذاكروا فى اجراء الصلح على كل حال ، وكتبوا حجة على أن من

صدر منه بعد اليوم مايخالف رضا الجماعة يكون خصم الجماعة المذكورين جميعا . وكلموا أيوب بيك أن يرسل الى أفرنج أحمد بصورة الحال ، وأن يمنع المحاربة الى تمام الأمر المشروع ، فبطل الحرب نحو خمسة عشر يوما .

وأخذ افرنج أحمد مدة هذه الأيام فى تحصين جوانب القلعة وعمل متاريس ونصب مدافع وتعبية ذخيرة وجبخانة وملأوا الصهاريج . وحضر فى أثناء ذلك محمد بيك حاكم الصعيد ، ونزل بالبساتين فأقام ثلاثة أيام ودخل فى اليوم الرابع ومعه السواد الأعظم من العرب والمغاربة والهوارة ، ونزل ببيت آق بردى بالرميلة ، وحارب من جامع السلطان حسن (١) من منزل يوسف أغات الجراكسة سابقا ، فلم يظفر وقتل من جماعته نحو ثلاثين نفرا وظهر عليه محمد بيك المعروف بالصغير تابع قيطاس بيك مع من انضم اليه من أتباع ابراهيم بيك وايواز بيك ومماليكه ، وكانوا تترسوا فى ناحية سوق السلاح (٢) ووضعوا المتاريس فى شبابيك الجامع ، وانتقل من محله وذهب الى طولون وتترس هناك وهجم على طائفة العزب الذين كانوا بسبيل المؤمنين على حين غفلة وصحبته ذو الفقار تابع أيوب بيك فوقع بينهم مقتلة عظيمة من الفريقين ، فلم يطق العزب المقاومة فتركوا السبيل وذهبوا الى باب العزب وربط محمد بيك جماعة من عسكره فى مكانهم .

ثم ان الشيخ الخليفى طلع الى باب الينكجرية وتكلم مع أحمد أوده باشا والاختيارية فى أمر الصلح ، فقام عليه أفرنج أحمد وأسمعه مالا يليق ، وأرسل الى الطبجية وأمرهم بضرب المدافع على حين غفلة ، فانزعج الناس وقاموا وقام الشيخ ومضى . وأما سكان باب العزب فانهم أخذوا ما أمكنهم من أمتعتهم وتركوا منازلهم ونزلوا المدينة وتفرقوا فى حارات القاهرة ، وحصل عند الناس خوف شديد ، وأغلقوا الوكائل والخانات والأسواق ، ورحل غالب السكان القريبين من القلعة مثل جهة الرميلة والحطابة والمحجر خوفا من هدم المنازل عليهم . وكان الأمر كما ظنوه فان غالبها هدم من المدافع واحترق ، والذى سلم منها حرقه عسكر طوائف الينكجرية بالنار ، ولم يصب باب العزب شىء من ذلك ما عدا مجلس الكتخدا فانه انهدم منه جانب وكذلك موضع الأغا لا غير .

ثم ان افرنج أحمد توافق مع أيوب بيك وعينوا عمر أغات جراكسة وأحمد أغا تفكجيان ورضوان أغا جمليان فقعدوا بمن انضم اليهم بالمدرسة بقوصون وجامع مزدادة بسويقة العزى (١) وجامع قجماس بالدرب الأحمر ليقطعوا الطريق على العزب . واختار افرنج أحمد نحو تسعين نفرا من الينكجرية وأعطى كل شخص دينارا طرلى وأرسلهم بعد الغروب الى الأماكن المذكورة .

فأما رضوان أغا فانه تعلل واعتذر عن الركوب . وأما أحمد أغا فانه توجه الى المحل الذى عين له ، فتحارب مع طائفة من الصناجق والعزب فى الجنابكية . وأما الذين ربطوا بجامع مزدادة فلم يأتهم أحد الى الصباح فأخذوا الفطور من الذاهبين به الى باب العزب .

وفى أثناء ذلك نزل رجل أوده باشا من العزب من السلطان حسن يريد منزله ، فقبض عليه طائفة من الأخصام وسلبوه ثيابه وتركوه بالقميص وأرسلوه الى افرنج أحمد . فلما بلغ العزب ذلك أرسلوا طائفة

(١) تجاه قلعة الجبل ، ابتدأ عمارته السلطان حسن سنة ٧٥٧ هـ .

(٢) هذا السوق فيما بين المدرسة الظاهرية وبين قصر بشتاك ، استجد فيما بعد الدولة الفاطمية فى خط بين القصرين وجعل لبيع القسى والنشاب .

(١) نسبة الى الامير عز الدين ايبك العزى نقيب الجيوش ، وهي خارج باب زويلة ، قريبا من قلعة الجبل ، فيما بين الباب الجديد والحارات وبركة الفيل وبين قلعة الجبل .

معهم الى المقيمين بجامع مزدادة فدخلوا من بيت شريف يحيى بن بركات ونقبوا منزل عمر كتخدا مستحفظان اد ذاك وما بجواره من المنازل الى أن وصلوا منزل مراد كتخدا ، فبمجرد مارآهم العسكر الذين بجامع مزدادة فروا .

وأما عمر أغات جراكسة المقيم بجامع قجماس فانه وزع تباعه جهة باب زويلة وجهة التبانة (١) ، فحصل لأهل تلك الخطة خوف شديد ، خصوصا من كان بيته بالشارع فأرسلت العزب صالح جربجى الرزاز بجملة من عسكر العزب ومن انضم اليهم من الينكجرية الذين انقلبوا الى العزب ، كأتباع الأمير حسن باشجاويش سابقا والأمير حسن جاويش تابع القزدغلى والأمير حسن جلب كتخدا ، وجماعة محمد جاويش كدك ، فحاربوا مع من بجامع قجماس ، واستولى صالح جربجى عليه وعلى المتاريس التى بشبابيكه ، وملك الأمير حسن جاويش تابع القزدغلى جامع المردانى وأقام به . وحسن جاويش جلب أقام بجامع أصلم وانتشرت طوائفهم بتلك الأخطاط والأماكن فاطمأن الساكنون بها وأما عمر أغا الجراكسة فانه لما فر من جامع قجماس ذهب الى جامع المؤيد (٢) داخل باب زويلة . ثم ان محمد بيك أرسل بطلبه فركب ومر على أحمد أغا التفكجية ، فأركبه معه وذهبا الى محمد بيك الصعيدى بالصليبة . وحصل لأهل خط قوصون خوف عظيم بسبب اقامة أحمد أغا بالسلمانية ، ورحل غالبهم من المنازل ، فلما رحل عنهم اطمأنوا وتراجعوا .

وحضرت طائفة من المتفرقة الى محل أحمد أغا التفكجية ، وعملوا متاريس على رأس عطفة الحطب ومكثوا هناك أياما قلائل ثم رحلوا عنها فأتى على

(١) تبدأ من عند الفارق التى بجوار جامع عارف باشا وتنتهى اول شارع باب الوزير بجوار جامع ابراهيم اغا .

(٢) بجوار باب زويلة من داخله . أنشأه السلطان الملك المؤيد ابو النصر .

كتخدا الساكن بالداودية بطائفة من العزب فتملكوا ذلك الموضع وجلسوا به

ثم ان طائفة من المتفرقة والأسباهية هجموا على منزل الأمير قرا اسماعيل كتخدا مستحفظان ، فدخلوا من بيت مصطفى بيك بن ايواز ونقبوا الحائط بينه وبين منزل قرا اسماعيل كتخدا ، فلما وصل الخبر الى العزب عينوا له بيرقا من عسكر العزب ورئيسهم أحمد جربجى تابع ظالم على كتخدا فلم يمكنه الدخول من جهة الباب فخرق صدر دكان وتوصل منه الى منزل أحمد افندى كاتب الجراكسة سابقا ، ثم نقبوا منه محلا توصلوا منه الى منزل اسماعيل كتخدا ودخلوا على طائفة البغاة فوجدوهم مشغولين فى نهب أثاث المنزل المذكور ، فهجموا عليهم هجمة واحدة ، فألقوا ما بأيديهم من السلب ورجعوا القهقرى الى المحل الذى دخلوا منه من بيت مصطفى بيك ، فتبعوهم وتقاتل الفريقان الى أن كانت الدائرة على المتفرقة والأسباهية ، ونهب العزب منزل مصطفى بيك لكونه مكن البغاة من الدخول الى منزله ، ولكونه كان مصادقا لأيوب بيك .

ثم ان أحمد جربجى المذكور انتقل بمن معه من العسكر الى قوصون ودخل جامع الماس (١) وتحصن به ، وكان محمد بيك حاكم جرجا يمر من هنالك ويمضى الى الصليبة ، فانتهز أحمد جربجى فرصة ، وهو أنه وجد منزل حسين كتخدا الجزايرلى خاليا فدخل فيه فرأى داخله قصرا متصلا بمنزل محمد كتخدا عزبان المعروف بالبيرقدار بعلو دهليز منزله وطبقاته تشرف على الشارع . فكمن فيه هو وطائفة ممن معه ليغتال محمد بيك اذا مر به . واذا بمحمد بيك قد خرج من عطفة الحطب مارا الى جهة الصليبة فضربوه بالبندق فأصيب أربعة من طائفته فقتلوا ، فظن أن الرصاص أتاه من منزل محمد

(١) هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة ، بناه الامير سيف الدين الماس الحاجب ، وكمل فى سنة ٧٣٠ هـ .

كتخدا البيرقدار فوقف على بابه وأضرم النار فيه ، فاحترق أكثر المنزل ونهبوا ما فيه من أثاث ومتاع ثم ان النار اتصلت بالأماكن المجاورة له والمواجهة فاحترقت البيوت والرباع والدكاكين التى هنـاك من الجهتين من جامع ألماس الى تربة المظفر يمينـا وشمالا وأفسدت ما بها من الأمتعـة ، والذى لم يحترق نهبته البغاة . وخرجت النسـاء حواسر مكشفات الوجوه ، فاستولى أحمد جربجى على جامع ألماس ، وعلى كتخدا الساكن بالداودية أقام بالمدرسة السليمانية . وأما أطراف القاهرة وطرقها فانها تعطلت من المارة وعلى الخصوص طريق بولاق ومصر العتيقة والقرافة لكون أيوب بيك أرسل الى حبيب الدجوى يستعين به ، فحضر منهم طائفة ، وكذلك أخـلاط الهوارة (١) الذين حضروا من الصـعيد صحبة محمد بيك فاحتاطوا بالأطـراف يسلبون الخلق ، واستاقوا جمال السقائين حتى كاد أهل مصر يموتون عطشا .

وصار العسكر فرقتين : ايواز بيك (٢) وقيطاس بيك (٣) الدفتردار وابراهيم بيك أمير الحاج سابقا ومحمد بيك وقانصوه بيك وعثمان بيك بن سليمان بيك ومحمود بك ، وبلكات الأسـباهية الثلاثة والجاويشية والعزب عصبة واحـدة وأيوب بيك ومحمـد بيك الكبير وأغوات الأسباهية من غير الأنفار ومحمد أغا متفرقة باشا وأهل بلكه وسليمان أغا كتخدا الجاويشـية وبلك الينكجرية المقيمين بالقلعة صحبة افرنج أحمد والباشا وقاضى العسكر الجميع عصبة واحـدة . وأخـذوا عنـدهم نقيب

(١) اختلف المؤرخون فى أصل عرب الهوارة ويذكر المقريزى فى كتابه « البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب » ص ٣٣-٥٨ أن الظاهر برقوق اقطع كبيرهم أرضا بناحية جرجا حوالى سنة ٧٨٢ هـ وكانت خرابا فعمروها

(٢) والد الأمير اسماعيل بيك واصل اسمه « عوض » فحرفت باعوجاج التركية الى ايواز وهو جركسى الجنس قاسمى ، تابع مراد بيك الدفتردار . تولى الامارة فى سنة ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م)

(٣) مملوك ابراهيم بيك ذى الفقار كريدلى الجنس تولى امارة الحج ١١١٧ هـ (١٧٠٥ م) .

الأشراف بحيلة واحتبسوه عندهم ، وأغلقوا جميع أبواب القلعة ماعدا باب الجبل ، وامتنع الناس من النزول من القلعة والطلوع اليها الا من الباب المذكور. واستمر أفرنج أحمد ومن معه يضربون المدافع على باب العزب ليلا ونهارا ، وبباب العزب خلق كثيرون منتشرون حوله ، وما قاربه من الحارات ، ورتبوا لهم جوامك تصرف عليهم كل يوم .

فلما طال الأمر اجتمع الأمراء الصناجق بجامع بشتك (١) بدرب الجماميز ،واتفقوا على عزل الباشا واقامة قائمقام من الأمراء : فأقاموا قانصـوه بيك قائمقام نائبا . وولوا أغوات البلكات وهم الأسباهية الثـلاثة ، فولوا على الجمليـة صالح أغا ، وعلى الجراكسة مصطفى أغا ، وعلى التفكجية محمد أغا ابن ذى الفقار بيك ، واسماعيل أغا جعلوه كتخدا الجاويشية ، وعبد الرحمن أغا متفرقة باشا ، وقلدوا الزعامة الأمير حسن الذى كان زعيما وعزله الباشا بعبد الله أغا . فلما أحكموا ذلك وبلغ الخبر طائفة الينكجرية الذين بالقلعـة توجهوا الى خليل باشا وأخبروه بالصورة ، فكتب لأغوات البلكات الثلاث ومتفرقة باشا يأمرهم بمحاربة الصناجق ومن معهم لكونهم بغاة خارجين على نائب السلطان . ثم اتفق مع افرنج أحمد على اتخاذ عسكر جديد يقال لهم سردن كچدى ويعطى لكل من كتب اسمه خمسة دنانير وخمسة عثامنة ، فكتبوا ثمانمائة شـخص وعلى كل مائة بيرقدار ورئيس يقال له أغات السردن كچدى .

ثم ان محمد بيك الصعيدى اتفق مـع افرنج أحمد بأن يهجم على طائفة العزب من طريق قراميدان ويكسر باب العزب المتوصل منه الى قراميـدان ويهجم على العزب . ووصل خبر ذلك الى العزب فاستعدوا له وكمنوا قريبا من الباب المذكور ، فلما كان بعد العشاء الأخيرة هجموا على الباب المذكور وكان العزب أحضروا شيئا كثيرا من حطب القرطم وطلوه بالزيت والقار والـكبريت . فلمـا تكامل

(١) انشىء فى سنة ٧٣٦ هـ

عسكر محمد بيك أوقدوا النار فى ذلك الحطب ، فأضاء لهم قراميدان وصار كالنهار ، ثم ضربوهم بالبندق ففروا ، فصار كل من ظهر لهم ضربوه ، فقتلوا منهم طائفة كثيرة وولوا منهزمين .

ثم ان قانصوه بيك (١) صار يكتب بيورلديات وأوامر ويرسلها الى محمد بيك الصعيدى يأمره بالتوجه الى ولايته آمنا على نفسه وتحصيل ماعليه من الأموال السلطانية ، فأرعد وأبرق .

ثم ان جماعة من العزب أخذوا حسن الوالى المولى من طرف قائمقام مصر وذهبوا — وصحبتهم جماعةمن أتباع الأمراء الصناجق — الى باب الوالى ليملكوه . فلما بلغ الخبر عبد الله أغا الوالى أخذ فرشه وفر الى بيت أيوب بيك وفر الأوده باشا نصا فلما لم تجد العزب أحدا فى بيت الوالى توجهوا لمنزل عبد الله الوالى لينهبوه ، فقام عليهم جماعة من أتباع سليمان كتخدا الجاويشية ومن بجوارهم من الجند فهزموا العزب وقتلوا منهم رجلا ، فأقام حسن الوالى بباب قيطاس بيك الدفتردار ، فلما اتسع الخرق أرسل الباشا الى ابراهيم بيك وايواظ بيك وقيطاس بيك يطلبهم الى الديوان ليتداعوا مع الينكجرية . فلما حضر تابع الباشا وقرأ عليهم الفرمان أجابوا بالسمع والطاعة ، واعتذروا عن الطلوع بانقطاع الطرق من الينكجرية وترتيب المدافع . ولولا ذلك لتوجهنا اليه . فلما يئس الباشا منهم اتفق مع أيوب بيك (٢) ومن انضم اليه من العسكر على محاربتهم وبرز الجميع الى خارج البلد .

ربيع الأول

٣ منه (٢١ ابريل ١٧١١ م) :

أرسلوا أيوب بيك ومحمد بيك الى العزبان ليأخذوا جمال السقائين وحميرهم ، ومنع الماء عن البلد فأخذوا جميع ما وجدوه ، فعز الماء ووصل ثمن القربة خمسة أنصاف فضة . فأمر الأمراء الآخرون طائفة من العسكر أن يركبوا الى جهة قصر العينى ويستخلصوا الجمال ممن نهبهم ، فتوجهوا وجلسوا بالمصاطب ينتظرون من يمر عليهم بالجمال . فلما بلغ محمد بيك حضورهم هناك جمع طائفة هوارة وهجموا عليهم وهم غير مستعدين ، فاندهشوا ودافعوا عن أنفسهم ساعة ثم فروا ، وتأخرعنهم جماعة لم يجدوا خيلهم لكون سواسهم أخذوها وفروا فقتلهم محمد بيك وأرسل رؤوسهم للباشا فانسر سرورا عظيما وأعطى ذهبا كثيرا . فلما رجع المنهزمون الى منزل قانصوه بيك وايواظ بيك لم يسهل بهم ذلك ، واتفقوا على البروز اليهم .

ربيع الآخر

الاثنين ١٤ منه (١ يونيو ١٧١١ م) :

خرج الفريقان الى جهة قصر العينى والروضة فتلاقيا وتحاربا وتقاتلا قتالا عظيما تجندلت فيه الأبطال وقتل من الجند خاصة زيادة عن الأربعمائة نفر من الفريقين خلاف العربان والهوارة وغيرهم .

وقصد ايواظ بيك محمد بيك الصعيدى فانهزم الى جهة المجراة فساق خلفه . وكان الصعيدى قد أجلس أنفارا فوق المجراة مكيدة وحذرا ، فضربوا على ايواظ بيك بالرصاص ليردوه فأصيب برصاصة فى صدره فسقط عن جواده وتفرقت جموعه وأخذ الأخصام رأسه . وبينما القوم فى المعركة اذ ورد عليهم الخبر بموت ايواظ بيك فانكسرت نفوسهم وذهبوا فى طلبه فوجدوه مقتولا مقطوع الرأس ، فحمله أتباعه ورجع القوم الى منازلهم .

ولما قطعوا رأس ايواظ بيك وذهبوا بها الى محمد بيك قال : هذه رأس من ؟ قالوا : رأس قليدهم (١) ايواظ بيك ، فأخذها وذهب بها عند

(١) تابع قيطاس بيك الكبير الدفتردار .
(٢) كان ممن تسبب فى اثارة الفتنة مع افرنج احمد . تولى الامارة سنة ١١٠٧ هـ وطلع بالحج عشر مرات . مات سنة ١١٢٤ هـ (١٧١٢ م)

(١) زعيمهم

أيوب بيك ورضوان ، فقال أيوب بيك : هذه رأس من ؟ قال : رأس قليدهم . فبكى أيوب بيك وقال : حرم علينا عيش مصر . قال محمد بيك : هذا رأس قليدهم وراحت عليهم ، قال له أيوب بيك : أنت ربيت فين ؟ أما تعلم أن ايواظ بيك وراءه رجال وأولاد ومال ، وهذه الدعوة ليس للقاسمية فيها جناية . والآن جرى الدم فيطلبون ثأرهم ويصرفون مالا ولا يكون الا مايريده الله .

ولما ذهبوا بالرأس الى الباشا فرح فرحاشديدا وظن تمام الأمر له ولمن معه ، وأعطى ذهباوبقاشيش ، ودفنوا ايواظ بيك ، وطلبوا من أيوب بك الرأس فأرسلها لهم بعدما سلخها الباشا فدفنوها مع جثته .

ثم ان أيوب بيك كتب تذكرة وأرسلها الى ابراهيم أبو شنب يعزيه فى ايواظ بك . ويقول له : ان شاء الله تعالى بعد ثلاثة أيام نأخذ خاطر الباشا ويقع الصلح . وأرادوا بذلك التثبيط حتى يأخذوا من الباشا دراهم يصرفونها ويرتبوا أمرهم .

وأما ما كان من أمر أتباع ايواظ بيك فركب يوسف الجزار وأخذ معه اسماعيل بن ايواظ بيك المتوفى وأحمد كاشف وذهبوا عند قانصوه بيك فوجدوا عنده ابراهيم بيك وأحمد بيك مملوكه وقيطاس بيك وعثمان بيك بارم ذيله ومحمد بيك الصغير المعروف بقطامش جالسين وعليهم الحزن والكآبة . فلما استقر بهم الجلوس بكى قيطاس بيك . فقال له يوسف الجزار : وايش فائدة البكاء ؟ دبروا أمركم . قالوا : كيف العمل ؟ قال يوسف الجزار : « هذه الواقعة ليس لنا فيها علاقة . أنتم فقارية فى بعضكم ، واننا الآن انجرحنا ومات منا واحد خلف ألفا وخلف مالا . اعملونى صنجقا وأمير حاج وسر عسكر واعملوا ابن سيدى اسماعيل صنجقا يفتح بيت أبيه وفيه البركة . وأعطونى فرمانا من الذى جعلتموه قائمقام وحجة من نائب الشرع الذى أقمتموه أيضا عن الذى سقطت عدالته ؛ أنه سقط عنه حلوان البلاد ، ونحن نصرف الحلوان على العسكر والله يعطى النصر لمن يشاء من عباده » .

ففعلوا ذلك وراضوا أمورهم فى الثلاثة أيام وتهيأ الفريقان للمبارزة .

السبت ١٩ منه (٦ يونيو ١٧١١ م) :

حرجوا فى هذا اليوم ، وكان أيوب بيك حصن منزله ، فاتفق رأيهم على محاربة العسكر المجتمعة أولا ثم محاصرة المنزل ، فخرج أيوب بيك على جهة طولون ووقعت حروب وأمور ، ثم رجعوا الى منازلهم .

فلما رأى طائفة العزب تطاول الأمر وعدم التوصل الى القلعة وامتناع من فيها ؛ وضرب المدافع عليهم ليلا ونهارا ، أجمع رأيهم على أن يولوا كتخدا على الينكجرية ويجلسوه بباب الوالى بطائفة من العسكر وينادوا فى الشوارع بأن كل من كانت له علوفة فى وجاقات مستحفظان يأتى تحت البيرق بالبوابة ، ومن لم يأت بعد ثلاثة أيام ينهب بيته .

ففعلوا ذلك وعملوا حسن جاويش قريب المرحوم جلب خليل كتخدا لكونها نوبته ، وألبسه قانصوه بيك قائمقام قفطانا وركب وأمامه الوالى والبيرق والعسكر والمنادى أمامه ينادى بما ذكر الى أن نزل بيت الوالى وأحضروا الأودة باشا المتولى اذ ذاك وأجلسوه محله ، وطاف البلد بطائفته وكذلك العسكر .

الخميس ٢٤ منه (١١ يونيو ١٧١١ م) :

هجمت الينكجرية من البذرم على باب العزب، ومعهم محمد بيك الكبير وكتخدا الباشا وأفرنج أحمد . فعندما نزل أولهم من البذرم وكان العزب قد أعدوا فى الزاوية التى تحت قصر يوسف مدفعين ملآنين بالرش والفلوس الجدد — فضربوا عليهم فوقع محمد أغا سركدك والبيرقدار وأنفار منهم فولوا منهزمين يطأ بعضهم

بعضا ، فأخذت العزب رءوس المقتولين فأرسلوها الى قانصوه بيك .

الخميس ٢٤ منه (١١ يونيو ١٧١١ م) :

تم ان قائمقام والصناجق اتفقوا على تولية على أغا مستحفظان لضبطه واهتمامه . فلما أرسلوا له أبى أن يقبل ذلك ، فتغيب من منزله ، فركب يوسف بيك الجزار ومحمد بيك الصغير وعثمان بيك فى عدة كبيرة ودخلوا على منزل على أغا فلم يجدوه ، وأخبروا بالمكان الذى هو فيه فطلبوه ، فأتى بعد امتناع وتخويف ، وتوجه معهم الى قائمقام فألبسه قفطان الأغاوية .

وعاد الى منزله بالقفطان يقدمه العسكر مشاة بالسلاح والملازمون معلنين بالتكبير وبلفظ الجلالة كما هى عادتهم فى المواكب .

وفى صبيحة ذلك اليوم عين قائمقام بمعرفة حسن كتخدا مستحفظان طائفة من العسكر الى بولاق صحبة أحمد جربجى ليجلسوه فى التكية وصحبته والى بولاق وأغا من المتفرقة عوضا عن أغات الرسالة الذى بها من جانب الباشا ، فأجلسوه فى منزله ونهبوا ماوجدوه لأغات الرسالة الأول من فرش وأمتعة وخيل وغير ذلك .

السبت ٢٦ منه (١٣ يونيو ١٧١١ م) :

فى الصباح خرج الفريقان الى خارج القاهرة من باب قناطر السباع واجتمعوا بالقرب من قصر العينى ومعهم المدافع وآلات الحرب ، فتحارب الفريقان من ضحوة النهار الى العصر ، وقتل من الفريقين من دنا أجله وأيوب بيك ومحمد بيك بالقصر ، ثم تراجع الفريقان الى داخل البلد ، وتأخرت طائفة من العزب فأتى اليهم محمد بيك الصعيدى واحتاط بهم وحاصرهم . وبلغ الخبر قانصوه بيك فأرسل اليهم يوسف بيك ومحمد بيك وعثمان بيك فتقاتلوا مع محمد بيك الصعيدى وهزموه وتبعوه الى قنطرة السد (١) .

وقد كان أيوب بيك داخل التكية المجاورة لقصر العينى فلما رأى الحرب ركب جواده ونجا بنفسه ، فبلغ يوسف بيك أنه بالتكية فقصدوه واحتاطوا بالقصر فأخبرهم الدراويش بذهابه فلم يصدقوهم ، ونهبوا القصر وأخربوه وأحرقوه وعادوا الى منازلهم .

وفى صبيحة يوم الأحد ذهب يوسف بيك الجزار ونهب غيط افرنج أحمد الذى بطريق بولاق ، ثم اجتمعوا فى محل الحرب وتحاربوا ولم يزالوا على ذلك . وفى كل يوم يقتل منهم ناس كثير .

جمادى الأولى

فى ٢ منه (١٨ يونيو ١٧١١ م) :

اجتمع الأمراء الصناجق بمنزل قائمقام وتنازعوا بسبب تطاول الحرب وامتداد الأيام ، ثم اتفقوا على أن ينادوا فى المدينة بأن من له اسم فى وجاق من الوجاقات السبعة ولم يحضر الى بيت أغاته نهب ماله وقتل . وأمهلوهم ثلاثة أيام ونودى بذلك فى عصريتها .

وكتب قائمقام بيورلدى الى من فى القلعة من طائفة الينكجرية والكتخدائية والجربجية والأوده باشية والنفر بأننا أمهلناكم ثلاثة أيام ، فمن لم ينزل منكم بعدها ولم يمتثل نهبنا داره ، وهدمناها ، وقتلنا من ظفرنا به . ومن فر رفعنا اسمه من الدفتر ... فتلاشى أمرهم واختلفت كلمتهم .

٤ منه (٢٠ يونيو ١٧١١ م) :

خرج الأمراء والأغوات الى محل الحرب ، وأرسلوا طائفة كبيرة من العسكر المشاة لمحاصرة منزل أيوب بيك ، فتحارب الفرسان الى آخر النهار . وأما الرجالة فانهم تسلقوا من منزل ابراهيم بيك

(١) من أهم قناطر الخليج الكبير ، وهى التى كان يتوصل بها الى منشاة المهرانى وغيرها من شاطىء الخليج الغربى .
(الدكتور عبد الرحمن زكى — القاهرة)

وتوصلوا الى منزل عمر أغا الجراكسة فتحاربوا مع من فيه الى أن أخلوه ودخلوا فيه وشرعوا ليلا فى نقب الربع المبنى على علو منزل أيوب بيك ، فنقبوه وكمنوا فيه .

٦ منه (٢٢ يونيو ١٧١١ م) :

اجتمع العساكر بمنزل قائمقام بالأسلحة وآلات الحرب ، وأرسلوا طائفة الى جبل الجيوشى فركبوا مدافع على محل الباشا ، ومدافع على قلعةالمستحفظان ، وأحاطوا بالقلعة من أسفل ، وضربوا ستة مدافع على الباشا ، ورموا بنادق . فنصب الباشا بيرقا أبيض يطلب الأمان . وفر من كان داخل القلعة من العسكر . فبعضهم نزل بالحبال من السور وبعضهم خرج من باب المطبخ . فعند ذلك هجمت العساكر الخارجة على الباب ودخلوا الديوان ، فأرسل الباشا القاضى ونقيب الأشراف يأخذان له أمانا من الصناجق والعسكر ، فتلقوهما وأكرموهما وسألوهما عن قصدهما فقالا لهم : « ان الباشا يقرئكم السلام ويقول لكم : انا كنا اغتررنا بهؤلاء الشياطين وقد فروا . والمراد أن تعلمونا بمطلوبكم فلا نخالفكم » . فقالوا لهما : « أعلموه أن الصناجق والأمراءوالأغوات والعسكر قد اتفقوا على عزله ، وأن قانصوه بيك قائمقام . وأما الباشا فانه ينزل ويسكن فى المدينة الى أن نعرض الأمر على الدولة ويأتينا جوابهم » .

فأرسل القاضى نائبه الى الباشا يعرفه عن ذلك فأجابه بالطاعة واستأمنهم على نفسه وماله وأتباعه ، وركب من ساعته فى خواصه يقدمه قائمقام وأغات مستحفظان عن يمينه وأغات المتفرقة عن شماله واختيارية الوجاقات من خلفه وأمامه . ونزل من باب الميدان وشق من الرميلة على الصليبة والعامةقد اصطفت يشافهونه بالسب واللعن الى أن دخل بيت على أغا الخازندار بجوار المظفر . وهجم العسكر على باب مستحفظان فملكوه ونهبوا بعض أسباب حسين أغا مستحفظان .

وخرج حسين أغا من باب المطبخ ، فلما رآه يوسف بيك أشار الى العسكر فقطعوه وقطعوا اسماعيل افندى بالمحجر ، وكذلك عمر أغات الجراكسة بحضرة اسماعيل بن ايواظ . وخازنداره ذو الفقار وقع فى عرض بلديه على خازندار وحسن كتخدا الجلفى ، فحماه من القتل .

وذو الفقار هذا هو الذى قتل اسماعيل بيك ابن ايواظ وصار أميرا ، فقتلوه بباب العزب ، ونزل أفرنج أحمد وكجك أحمد أوده باشا الى المحجر متنكرين فعرفهما الجالسون بالمحجر فقبضوا عليهما وذهبوا بهما الى باب العزب ، وقطعوا رؤوسهما ، وذهبوا بهما الى بيت ايواز بيك ، وطلع على أغا الى محل حكمه وطلع حسن كتخدا من باب الوالى وأمامه العساكر بالأسلحة الى باب مستحفظان والبيرق أمامه ، ونزل جاويش الى أحمد كتخدا برمقس فوجده فى بيت اسماعيل كتخدا عزبان فأخذه وطلع به الى الباب فخنقوه وأخذوه الى منزله فى تابوت ، وركب على أغا وأمامه الملازمون بالبيرشان فطاف البلد وأمر بتنظيف الأتربة وأحجار المتاريس وبناء النقوب ، وألبس قائمقام أغوات البلكات السبعة قفاطين وطلع الذين كانوا بباب العزب من الينكجرية الى بابهم وعدتهم ستمائة انسان .

١١ منه (٢٧ يونيو ١٧١١ م) :

لبس يوسف بيك الجزار (١) على امارة الحاج ، ومحمود بيك على السويس ، وعين يوسف بيك المذكور ومصطفى أغات الجراكسة للتجريدة على الشرقية .

فى ١٤ منه (٣٠ يونيو ١٧١١ م) :

لبس محمد بيك الصغير على ولاية الصعيد ،

(١) تابع الأمير ايواظ بيك ، تقلد الامارة والصنجقية فى سنة ١١٢٣ هـ (١٧١١ م) وتولى الدفتردارية سنة ١١٢٧ هـ (١٧١٥م) وقع له مع العرب عدة وقائع وقتل منهم الوفا ولذلك سمى بالجزار .

وخرج من بيته بموكب الى الأثر ، وصحبتــه الطوائف الذين عينوا معــه من السبعة بلكات بسرداريتهم وبيارقهم وعدتهم خمسمائة نفر . منهم مئتان من الينكجرية والعزب ، وثلثمائة نفــر من الخمسة بلكات أعطوا لــكل نفر من المائتين ألف نصف فضة ترحيلة ، ولكل شخص من الثلثمائة ، ألف وخمسمائة نصف فضة .

١٥ منه (١ يوليو ١٧١١ م) :

فى الصباح حملوا حملة واحــدة على منزل أيوب بيك وضربوا البنادق فلم يجدوا من يمنعهم بل فر كل من فيه وركب أيوب بيك وخرج هاربا من باب الجبل فلم يعلم أين يتوجه فملكوا منزله ونهبوه مع كونه كان مســتعدا وركب فى أعالى منزله المدافع ، وفى قلعة الكبش فأرسل له افرنج أحمد بيرقا وعســاكر فلم يفده ذلك شيئا ونهبوا أيضا منزل أحمد أغا التفكجية بعدما قتلوه ببيت قائمقام ولحق من لحق بأيوب بيك وفر الجميع الى جهة الشام .

وفر محمد بيك الى جهة الصعيد ووقع النهب فى بيوت من كان من حزبهم ونهبوا بيت يوسف أغا ناظر الكسوة سابقا وبيت محمد أغات متفرقة باشــا وبيت محمد بيك الــكبير وأحرقوه وبيت جربجى القونيلى وأحرقوا بيت أيوب بيــك وما لاصقه من الربع والدكاكين .

جمــادى الآخرة

فى ٤ منه (٢٠ يوليو ١٧١١ م) :

سافر الجميع ، وكان محمد بيك الكبير خرج مقبلا وصحبته الهوارة ، فخرج وراءه يوسف بيك الجزار وعثمان بيك بارم ذيله ومحمد بيك قطامش فوصلوا دير الطين ، فلاقاهم شيخ الترابين فأخبرهم أنه مر من ناحية التبين لنصف الليل ، فرجعوا الى منازلهم .

وبلغهم فى حال رجوعهم أن خازندار رضوان أغا تخلف عند الدراويش بالتكية فقبضوا عليــه وقطعوا دماغه .

ولم يزل محمد بيك الصعيدى حتى وصــل اخميم وصحبته الهوارة وقتل ما بها من الكشاف ونهب البلاد وفعــل أفعالا قبيحة ، ثم ذهب الى أسيوط فأرسل الى قائمقام جرجا فتصرف فى جميع تعلقاته وأرسلها اليه نقودا ، ونزل مختفيــا الى بحرى ،ومر من انبابه نصف الليل. ولم يزل سائرا الى دميــاط ، ونزل فى مركب أفرنجي وطلع الى حلب ،ووصل خبره الى السردار ، فجمع السردارة والعسكر ولحقوه على البرج فلم يدركوه . ثم انه ركب من حلب وذهب الى دار السلطنة من البر . وكان أيــوب بيك ومحمــد أغا متفرقة وكتخــدا الجاويشية سليمان أغا وحسن الوالى وصلوا قبله وقابلوا الوزير ، وأعلموه بقصتهم ، وعرضوا عليه الفتوى وعرض الباشا والقاضى ، فأكرمهم وأنزلهم فى مكان ورتب لهم تعيينا ، ثم أتاهم محمد بيك ، وقابل معهم الوزير أيضا فخلع عليه وولاه منصبا . وأما رضوان أغا فانه تخلف ببلاد الشام ومحمد أغا الكور صحبته .

فى ٧ منه (٢٣ يوليه ١٧١١ م) :

تقلد محمد بيك بن اسماعيل بيك بن ايواظ بيك الصنجقية ، ثم انهم اجتمعــوا فى بيت قائمقام ، وكتبوا عرضحال بصورة ما وقع ، وطلبوا ارسال باشا واليا على مصر ، وذكروا فيه أن الخزنة تصل صحبة محمــد بيك الدالى ، وانقضت الفتنة وما حصل بها من الوقائع . واستمر خليل باشا بمصر حتى حضر والى باشا وحاسبوه .

رجب

فى أواخره (أوائل سبتمبر ١٧١١ م) :

تولى على مصر والى باشا فوصلها وطلع الى القلعة .

رمضان

(اكتوبر – نوفمبر ١٧١١ م) :

فيه : جلس رجل رومى يعظ الناس بجامع المؤيد ، فكثر عليه الجمع ، وازدحم المسجد ، وأكثرهم أتراك . ثم انتقل من الوعظ ، وذكر ما يفعله أهل مصر بضرائح الأولياء ، وايقاد الشموع والقناديل على قبور الأولياء ، وتقبيل أعتابهم ، وفعل ذلك كفر يجب على الناس تركه ، وعلى ولاة الأمور السعى فى ابطال ذلك . وذكر أيضا قول الشعرانى فى طبقاته ان بعض الأولياء اطلع على اللوح المحفوظ ، أنه لا يجوز ذلك ، ولا تطلع الأنبياء — فضلا عن الأولياء — على اللوح المحفوظ ، وأنه لا يجوز بناء القباب على ضرائح الأولياء والتكايا ، ويجب هدم ذلك . وذكر أيضا وقوف الفقراء بباب زويلة فى ليالى رمضان .

فلما سمع حزبه ذلك خرجوا بعد صلاة التراويح ، ووقفوا بالنبابيت والأسلحة ، فهرب الذين يقفون بالباب ، فقطعوا الجوخ والأكر المعلقة وهم يقولون : أين الأولياء ؟ . فذهب بعض الناس الى العلماء بالأزهر وأخبروهم بقول ذلك الواعظ ، وكتبوا فتوى وأجاب عليها الشيخ أحمد النفراوى (١) والشيخ أحمد الخليفى (٢) بأن كرامات الأولياء لاتنقطع بالموت ، وأن انكاره اطلاع الأولياء على اللوح المحفوظ لا يجوز ، ويجب على الحاكم زجره عن ذلك . وأخذ بعض الناس تلك الفتوى ودفعها الى الواعظ وهو فى مجلس وعظه . فلما قرأها غضب وقال : يا أيها الناس ، ان علماء بلدكم أفتوا بخلاف ما ذكرت لكم ، وانى أريد أن أتكلم معهم وأباحثهم فى مجلس قاضى العسكر . فهل منكم من يساعدنى على ذلك وينصر الحق ؟ فقال له الجماعة : نحن معك لا نفارقك . فنزل عن الكرسى ، واجتمع عليه من العامة زيادة عن ألف نفس ، ومر بهم من وسط القاهرة الى أن دخل بيت القاضى قريب العصر ، فانزعج القاضى ، وسألهم عن مرادهم فقدموا له الفتوى ، وطلب منه احضار المفتيين والبحث معهما ، فقال القاضى : اصرفوا هؤلاء الجموع ثم نحضرهم ونسمع دعواكم . فقالوا : ما تقول فى هذه الفتوى ؟ قال : هى باطلة . فطلبوا منه أن يكتب لهم حجة ببطلانها . فقال : ان الوقت قد ضاق ، والشهود ذهبوا الى منازلهم . وخرج الترجمان ، فقال لهم ذلك فضربوه ، واختفى القاضى بحريمه ، فما وسع النائب الا أنه كتب لهم حجة حسب مرادهم .

٢٠ منه (١ نوفمبر ١٧١١ م) :

اجتمع الناس وقت الظهر بالمؤيد لسماع الوعظ على عادتهم ، فلم يحضر لهم الواعظ ، فأخذوا يسألون عن المانع من حضوره ، فقال بعضهم : أظن أن القاضى منعه من الوعظ . فقام رجل منهم وقال : أيها الناس ، من أراد أن ينصر الحق فليقم معى ، فتبعه الجم الغفير فمضى بهم الى مجلس القاضى .

فلما رآهم القاضى ومن فى المحكمة طارت عقولهم من الخوف ، وفر من بها من الشهود ، ولم يبق الا القاضى فدخلوا عليه ، وقالوا له : أين

---

(١) ولد ببلدة نفرة ونشأ بها . وانتهت اليه الرياسة فى مذهبه واخذ عنه الاعيان . توفى سنة ١١٢٥ هـ (١٧١٣ م)

(٢) العلامة الشيخ ابو العباس احمد الشهير بالخليفى الضرير اصله من الشرق وقدم جده ابو الخير واقام بمنية موسى من اعمال المنوفية . وولد بها الشيخ ونشأ . وكان فقيها نحويا . توفى فى سنة ١١٢٧ هـ (١٧١٥ م) .

شيخنا ؟ فقال : لاأدرى . فقالوا له : قم واركب معنا الى الديوان ، ونكلم الباشا فى هذا الأمر ، ونسأله أن يحضر لنا أخصامنا الذين أفتوا بقتل شيخنا ، وتتباحث معهم فان أثبتوا دعواهم نجوا من أيدينا والا قتلناهم . فركب القاضى معهم مكرها وتبعوه من خلفه وأمامه الى أن طلعوا الى الديوان فسأله الباشا عن سبب حضوره فى غير وقته . فقال: انظر الى هؤلاء الذين ملأوا الديوان والحوش فهم الذين أتوا بى ، وعرفه عن قصتهم ، وما وقع منهم بالأمس واليوم ، وأنهم ضربوا الترجمان وأخذوا منى حجة قهرا ، وأتوا اليوم وأركبونى قهرا .

فأرسل الباشا الى كتخدا الينكجرية وكتخدا العزب ، وقال لهما : اسألوا هؤلاء عن مرادهم . فقالوا : نريد احضار النفراوى والخليفى ليبحثا مع شيخنا فيما أفتيا به عليه ، فأعطاهم الباشا بيورلديا على مرادهم ونزلوا الى المؤيد ، وأتوا بالواعظ وأصعدوه الى الكرسى فصار يعظهم ويحرضهم على اجتماعهم فى غد بالمؤيد ويذهبون بجمعيتهم الى القاضى وحضهم على الانتصار للدين وقمع الدجالين وافترقوا على ذلك .

وأما الباشا فانه لما أعطاهم البيورلدى ، أرسل بيورلديا الى ابراهيم بيك وقيطاس بيك يعرفهم ماحصل وما فعله العامة من سوء الأدب ، وقصدهم تحريك الفتن وتحقيرنا نحن والقاضى . وقد عزمت أنا والقاضى على السفر من البلد .

فلما قرأ الأمراء ذلك لم يقر لهم قرار وجمعوا الصناجق والأغوات ببيت الدفتردار وأجمعوا رأيهم على أن ينظروا هذه العصبة من أى وجاق ويخرجوا من حقهم وينفى ذلك الواعظ من البلد ، وأمروا الأغا أن يركب ، ومن رآه منهم قبض عليه وأن يدخل جامع المؤيد ويطرد من يسكنه من السفط .

فلما كان صبيحة ذلك اليوم ركب الأغا وأرسل الجاويشية الى جامع المؤيد فلم يجدوا منهم أحدا ، وجعل يفحص ويفتش على أفراد المتعصبين ، فمن ظفر به أرسله الى باب أغاته فضربوا بعضهم ونفوا بعضهم وسكنت الفتنة .

شوال

(نوفمبر ــ ديسمبر ١٧١١ م) :

قلدوا أحمد بيك الأعسر (١) — تابع ابراهيم بيك — صنجقية ، وزادوه كشوفية البحيرة . وكان قانصوه بيك ، قبل وصول الباشا ، رسم باخراج تجريدة الى هوارة المفسدين الذين أتوا الى مصر صحبة محمد بيك الصعيدى ، ورجعوا صحبته وأخربوا أخميم وقتلوا الكشاف وأمير التجريدة محمد بيك قطامش وصحبته ألف عسكرى ، وأعطوا كل عسكرى ثلاثة آلاف نصف فضة من مال البهار سنة تاريخه ، وأن يكون محمد بيك حاكم جرجا عن سنة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين ، وقضى أشغاله وبرز خيامه الى الآثار ، ثم طلب الوجه القبلى الى أن وصل الى أسيوط فقبض على كل من وجده من طرف محمد بيك الصعيدى وقتله ، ومنهم حسين أوده باشا بن دقماق . ثم انتقل الى منفلوط وهربت طوائف الهوارة بأهلها الى الجبل الغربى ، وأتت اليه هوارة بحرى صحبة الأمير حسن فأخبروه بما وقع لهم ، وساروا صحبته الى جرجا ، فنزل بالصيوان وأبرز فرمانا قرىء بحضرة الجمع باهراق دم هوارة قبلى ، وأمر بالركوب عليهم الى اسنا ، وتسلط عليهم هوارة بحرى ونهبوا مواشيهم وأغنامهم ومتاعهم وطواحينهم ، واشتفوا منهم ، وكل من وجده منهم قتلوه .

ولم يزل فى سيره حتى وصل قنا وقوص ثم رجع الى جرجا .

(١) من مماليك ابراهيم بيك ابى شنب القاسمى ، قتل فى سنة ١١٤٢ هـ (١٧٢٩ م) فى واقعة البهنسا .

ثم ان هوارة قبلى التجـأوا الى ابراهيم بك أبو شنب ، والتمسوا منه أن يأخذ لهم مكتوبا من قيطاس بيك بالأمان ، ومكتوبا الى حاكم الصعيد كذلك ، وفرمانا من الباشا بموجب ذلك . فأرسل الى قيطاس بيك تذكرة صحبة احمد بيك الأعسر يترجى عنده ، فأجاب الى ذلك وأرسلوا به محمد كاشف كتخدا ، وبرجوع التجريدة والعفـو عن الهوارة ، ورجع محمد كاشف والتجريدة وصحبته التقادم والهدايا ، وأرسلوا الى ابراهيم بيك مركب غلال وخيولا مثمنة وأغناما .

فى أواخره (أوائل ديسمبر ١٧١١ م) :

ورد أغا من الدولة وعلى يده مرسومات منها محاسبة خليل باشا واستعجال الخزينة وبيع بلاد من قتل فى أيام الفتنة وكذلك أملاكهم .

سنة ١١٢٤ هجرية

المحرم

فى ٣ منه (١١ فبراير ١٧١٢ م) :

ورد مرسـوم سلطانى بطلب ثلاثة آلاف من العساكر المصرلية الى الغزو .

فى ٨ منه (١٦ فبراير ١٧١٢ م) :

تشـاجر رجل شريف مع تركى فى سـوق البندقانيين . فضرب التركى الشريف فقتله ، ولم يعلم أين ذهب ، فوضع الأشراف المقتول فى تابوت وطلعوا به الى الديوان وأثبتوا القتل على القاتل .

فى ١٠ منه (١٨ فبراير ١٧١٢ م) :

قامت الأشراف وقفـلوا أسـواق القـاهرة ، وصاروا يرجمون أصحاب الدكاكين بالحجارة ، ويأمرونهم بقفـل الدكاكين ، وكل من لقـوه من الرعيـة أو من أمير يضربونه ، ومكثوا على ذلك يومهم . وأصبحوا كذلك يوم الجمعة ؛ وأرسـلوا خبرا للأشراف القاطنين بقـرى مصر ليحضروا . واجتمعوا بالمشهد الحسينى ، ثم خرجوا وأمامهم بيرق وذهبوا الى منزل قيطاس بيك الدفتردار . فخرج عليهم أتباعه بالسلاح فطردوهم وهزموهم فلما تفاقم أمرهم تحركت عليهم العسـاكر وركب أغوات الاسـباهية الثـلاثة وأغات الينكجرية فى عَددهم وعُددهم وطافوا البلد ؛ فعند ذلك تفرقت الجمعيـة ورجـع كل الى مـكانه ونادوا بالأمن والأمان ، وفتحت الدكاكين ؛ ثم اجتمـع رأى الأمراء ، على نفى طائفة من أكابر الأشراف فتشفع فيهم المشايخ والعلماء فعفوا عنهم .

وفى هذا الشهر : وقع ثلج بقريتى سرسنا وعشما(١) من بلاد المنوفية ، كل قطعة منه مقدار نصف رطل وأقل وأكثر ، ثم نزلت صاعقة أحرقت مقـدارا عظيما من زرع الناحية وقتلت أناسا .

ربيع الأول

فى ٨ منه (١٥ ابريل ١٧١٢ م) :

سافر مصطفى بيك تابع يوسف أغا من بولاق بالعسكر صحبة المعينين للغزو ، وحضرت العساكر الذين كانوا فى سفر الموسقو صحبـة سردارهم اسماعيل بيك ، ولما عادوا الى اسلامبول بالنصر وضـعوا على رؤوسهم ريشـا فى عمائمهم سمة لهم . ودخلوا مصر وعلى رؤوسـهم تلك الريش المسماة بالشلنجات ، ومات أميرهم اسماعيل بيك باسلامبول .

فى ٢٢ منه (٢٩ ابريل ١٧١٢ م) :

قبل الغروب خرجت فرتينة بريح عاصف أظلم منها الجو ، وسقط منها بعض المنازل .

(١) الآن تابعتان لمركز الشهداء منوفيه .

ربيع الآخر

فى غرته (٨ مايو ١٧١٢ م) :

ورد أغا ومعه مرسوم مضمونه حصول الصلح بين السلطنة والموسقو ورجوع العسكر المصرى . ولما رجعوا أخذوا منهم ثلثى النفقة، وتركوا لهم الثلث . وكذلك التراقى من الجوامك التى تعطى للسردارية وأصحاب الدركات .

فى ١٨ منه (٢٥ مايو ١٧١٢ م) :

ورد قابجى باشا وعلى يده مرسوم بتقليد قيطاس بيك الدفتردار أميرا على الحج، عوضا عن يوسف بيك الجزار ، وأن يكون ابراهيم بيك بشناق المعروف بأبى شنب دفتردارا ، فامتثلوا ذلك ولبسوا الخلع . ومرسوم آخر بانشاء سفينتين ببحر القلزم لحمل غلال الحرمين ، وأن يجهزوا الى مكة مائة وخمسين كيسا من الأموال السلطانية برسم عمارة العين على يد محمد بيك بن حسين باشا . ثم ان قيطاس بيك اجتمع بالأمراء وشكا اليهم احتياجه لدراهم يستعين بها على لوازم الحاج ومهماته ، فعرضوا ذلك على الباشا وطلبوا منه أن يمده بخمسين كيسا من مال الخزينة ، ويعرض فى شأنها بعد تسليمها الى الدولة ، وان لم يمضوا ذلك يحصلوا من الوجاقات بدلا عنها .

وفى يوم الاربعاء ٢٥ منه (١ يونيو ١٧١٢ م) :

وصل من طريق الشام باشا معين لمحافظة جدة يسمى خليل باشا ، فدخل القاهرة فى كبكبة عظيمة وعساكر رومية كثيرة يقال لهم سارجة سليمان ، وجمال محملة بالأثقال يتقدمهم ثلاثة بيارق . وخرج لملاقاته الباشا وقيطاس بيك أمير الحج فى طائفة عظيمة من الأمراء والأغوات والصناجق ، وقابلوه وأنزلوه بالغيط المعروف بحسن بيك ، ومدوا هناك سماطا عظيما حافلا ، وقدموا له خيولا وساروا معه الى أن دخلوا المدينة فى موكب عظيم الى أن أنزلوه بمنزل المرحوم اسماعيل بيك — المتوفى بسفر الموسقو — بجوار الحنفى . ثم لم يزل هناك حتى سافر فى أواخر رجب من سنة تاريخه ، وخرج بموكب عظيم أيضا .

شعبان

فى منتصفه (١٧ سبتمبر ١٧١٢ م) :

تقلد أحمد بيك الأعسر على ولاية جرجا عوضا عن محمد بيك الصغير المعروف بقطامش ، ثم ورد أمر بتقليد امارة الحج لمحمد بيك قطامش عوضا عن سيده ، وطلع بالحج سنة أربع وعشرين ورجع سنة خمس وعشرين ، وذلك من فعل قيطاس بيك سرا . وتقلد ولاية جرجا مصطفى بيك قزلار .

فى ٢٠ منه (٢٢ سبتمبر ١٧١٢ م) :

تقلد محمد بيك المعروف بجركس ، تابع ابراهيم بيك أبى شنب الصنجقية ، وكذلك قيطاس تابع قيطاس بيك أمير الحج .

شوال

فى ١٠ منه (١٠ نوفمبر ١٧١٢ م) :

ورد عبد الباقى افندى وتولى كتخدائية ولى باشا ومعه تقرير للباشا على ولاية مصر .

ذو القعدة

فى ١٣ منه (١٢ ديسمبر ١٧١٢ م)

ورد أيضا مرسوم صحبة أغا معين بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصرى لسفر الموسقو لنقضهم المهادنة ، وقرىء ذلك بالديوان بحضرة الجمع ، فألبسوا حسين بيك المعروف بشلاق سردار عوضا

عن عثمان بيك بن سليمان بيك بارم ذيله ، وقضى أشغاله وسافر فى أوائل المحرم .

سنه ١١٢٥ هجرية

المحرم

فى أوله (٢٨ يناير ١٧١٣ م) :

ورد أيضا أغا باستعجال الخزينة .

صفر

(مارس ١٧١٣) :

رجع الحجاج صحبة محمد بيك قطامش ، وانتهت رياسة مصر الى قيطاس بيك ومحمد بك وحسن كتخدا النجدلى وكور عبد الله وابراهيم الصابونجى، فسولت لقيطاس بيك نفسه قطع بيت القاسمية ، وأخذ يدبر فى ذلك ، وأغرى سالم بن حبيب ، فهجم على خيول اسماعيل بيك بن ايواظ بيك فى الربيع ، وجم أذناب الخيول ومعارفها ماعدا الخيول الخاصة فانها كانت بدوار الوسية . وذهب ولم يأخذ منها شيئا .

وحضر فى صبحها أمير آخور فأخبروه ،وكان عنده يوسف بيك الجزار فلاطفه وسكن حدته ، وأشار عليه بتقليد حسن أبى دفية قائمقام الناحية ، ففعل ذلك وجرت له مع ابن حبيب أمور .

ثم انه كتب عرضحالا أيضا على لسان الأمير منصور الخبيرى يذكر فيه أن عرب الضعفاء أخربوا الوادى وقطعوا درب الفيوم ، وأرسل ذلك العرضحال صحبة قاصد يأمنه فختمه منصور وأرسله الى الباشا صحبة البكارى خفير القرافة . فلما طلع قيطاس بيك فى صبحها الى الباشا واجتمع باقى الأمراء ، وكان قيطاس بيك رتب مع الباشا أمرا سرا وأغراه وأطمعه فى القاسمية وما يؤول اليه من حلوان بلاد ابراهيم بيك ويوسف بيك وابن ايواظ بيك وأتباعهم .

فلما استقر مجلسهم دخل البكارى بالعرضحال ، فأخذه كاتب الديوان وقرأه على أسماع الحاضرين فأظهر الباشا الحدة وقال : أنا أذهب لهؤلاء المفاسيد الذين يخربون بلاد السلطان ويقطعون الطريق . فقال ابراهيم بيك : أقل ما فينا يخرج من حقهم . وانحط الكلام على ذهاب ابراهيم بيك واسماعيل بيك ويوسف بيك وقيطاس بيك وعثمان بيك ومحمد بيك قطامش ، وكان قانصوه بيك فى بنى سويف فى الكشوفية وأحمد بيك الأعسر فى اقليم البحيرة . فلما وقع الاتفاق على ذلك خلع عليهم الباشا قفاطين ، ونزلوا فأرسلوا خيامهم ومطابخهم الى تحت أم خنان ببر الجيزة ، وعدوا بعد العصر ونزلوا بخيلهم . واتفق قيطاس بيك مع عثمان بيك أنهم يعدون خلفهم بعد المغرب ، ويكونون أكلوا العشاء وعلقوا على الخيول . وعندما ينزلون الى الصيوان يتركون الخيول ملجمة ، والمماليك والطوائف بأسلحتها ، فاذا أتى الينا الثلاثة صناجق تقتلهم ثم نركب على طوائفهم وخيولهم مربوطة فنقتل كل من وقع ، ونخلص ثأر الفقارية الذين قتلهم خال ابراهيم بيك فى الطرانة .

فلما فعلوا ذلك وعدوا وأوقدوا المشاعل — وذلك وقت العشاء — ونزلوا بالصيوان ، قال ابراهيم بيك ليوسف بيك واسماعيل بيك : قوموا بنا نذهب عند قيطاس بيك . قالا له : أنت فيك الكفاية. فذهب ابراهيم بيك وهو ماش ولم يخطر بباله شىء من الخيانة . فلما دخل عندهم وسلم وجلس ، سأله قيطاس بيك عن رفقائه ، فقال : انهم جالسون محلهم ، فلم يتم ما أرادوه فيهم من الخيانة ، فعند ذلك قام محمد بيك وعثمان بيك الى خيامهما وقلعا

سلاحهم وخلعا لجامات الخيل وعلقا مخالى التبن ورجعا اليهما . فقال قيطاس بيك لابراهيم بيك : اركبوا انتم الثلاثة فى غد ، وانصبوا عند وسيم(1) ، ونحن نذهب الى جهة سقارة فنطرد العرب فيأتوز الى جهتكم . فاركبوا عليهم ، فأجابه الى ذلك . ثم قام وذهب الى رفقائه فأخبرهم بذلك ، وباتوا الى الصباح .

وفى الصباح حملوا وساروا الى جهة وسيم — كما أشار اليهم قيطاس بيك — فنزلت اليهم الزيدية بالفضور ، فسألوهم عن العرب فقالوا لهم : الوادى فى أمن وأمان بحمــد الله ... لا عرب ولا جرب ولا شر .

وأما قيطاس بيك ومن معه فانه رجع الى مصر وأرسل الى ابن حبيب بأن يجمع نصف سعدوعرب بلى ويرسلهم مع ابنه سالم يدهمون الجماعة بناحية وسيم ويقتلونهم ، فتلكأ ابن حبيب فى جمع العربان لصداقة قديمة بينه وبين ابراهيم بيك ، وحضر لهم رجل من الأجناد كان تخلف عنهم لعذر حصل له ، فأخبرهم برجوع قيطاس بيك ومن معه الى مصر ، فركب ابراهيم بيك ويوسف بيك واسماعيل بيك ونزلوا بالجيزة عند أبى هريرة (2) وصحبتهم خيالة الزيدية وباتوا هناك وعدوا فى الصباح الى منازلهم سالمين .

ربيع الأول

فى غرته (٢٨ مارس ١٧١٣ م) :

حصل طاعون وكان ابتداؤه فى القاهرة .

جمادى الآخرة

فى أواخره (يولية ١٧١٣ م) :

وصــل عابدين باشا الى الأسكندرية ، وتقلد يوسف بيك الجزار قائمقام ، وخلع على ابن سيده اسماعيل بيك .

ولما حضر الباشا الى الحى وطلع الى العادلية ، أحضر الأمراء تقــادمهم ، وقدم له اسماعيل بيك تقدمة عظيمة وأحبه الباشا واختص به ، ومال قلبه الى فرقة القاسمية فقلدهم المناصب والكشوفيات ، وحضرمرسوم بامارةالحج لاسماعيل بيك بن ايواظ بيك وعابدين باشا ، وهو الذى قتل قيطاس بيك بقراميدان . وهرب محمد بيك قطامش تابعه بعد قتل سيده الى بلاد الروم وأقام هناك مدة ثم عاد الى مصر .

وفى ولايته تقلد عبدالله كاشف ، وصارى على ، وعلى الأرمنى (1) ، واسماعيل كاشف صــناجق الأربعة ايواظية . وتقلد منهم أيضا عبد الرحمن أغا ولجه أغات جمــلية ، واســماعيل أغا كتخدا ايواظ بيك كتخداجاويشية . ومن أتباع ابراهيم بيك أبى شنب (2) : قاسم الكبير ، وابراهيم فارسكور ، وقاسم الصغير ، ومحمــد جلبى بن ابراهيم بيك أبى شنب وجركس محمد الصغير . وخمستهم صناجق. واستقر الحال ، وطلع بالحج الأمير اسماعيل بيك بن ايواظ سنة سبع وعشرين وسنة ثمان وعشرين فى أمن وأمان وسخاء ورخاء .

سنه ١١٢٨ هجرية

(٢٧ ديسمبر ١٧١٥ ـــ ١٥ ديسمبر ١٧١٦ م) :

ورد أغا من اسلامبول وعلى يده مرسوم بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصرى وعليهم أمير قادر ، وكانت النوبة على محمد بيك جركس الكبير . فلما اجتمعوا بالديوان ، وقرىء المرسوم ، خلع الباشا على محمــد بيك جركس القفطان ، ونزل الى داره فطوى القفطان وأرسله الى سيده ابراهيم بيك ،

(1) وسيم بمركز الجيزة .
(2) له مقام ومسجد بمدينة الجيزة .

(1) يعرف أيضا بالشامى من اتباع ايواظ بيك .
(2) أصله مملوك مراد بيك القاسمى وخشداش ايواظ بيك .

ويقول له : عندك خلافى صناجق كثيرة فانى قشلان (١) ، فتكدر خاطره .

ثم أرسل اليه صحبة أحمد بيك الأعسر عشرين كيسا فاستقلها ، فأعطاه أيضا وصولا بعشرة أكياس على الطرانة ، فجهز حاله وركب الى قصر الحلى بالموكب ، وأحضر عنده الحريم ، فأقام أياما فى حظه وصفائه ... والأغا المعين يستعجل السفر . وفى كل يوم يأتيه فرمان من الباشا بالاستعجال والذهاب وهو لايبالى بذلك .

ثم ان الباشا تكلم مع ابراهيم بيك فى شأن ذلك . فلما نزل الى بيته أرسل اليه أحمد بيك الأعسر وقاسم بيك الكبير فأخبراه بتفريط الباشا والاستعجال . فقال فى جوابه : جلوسى هنا أحسن من اقامتى تحت الطرانة حتى يدفعوا الى العشرة أكياس ، فلا أرتحل حتى تأتينى العشرة أكياس ، ورمى لهم الوصول . فرجع أحمد بيك الى ابراهيم بيك وأخبره بمقالته ، وورد اليه الوصول ، فما وسعه الا أنه دفع ذلك القدر اليه نقدا وقال : سوف يخرب هذا بيتى بعناده . فلما وصله ذلك نزل الى المراكب وسافر ، ثم ورد مسلم على باشا وأخبر بولايته مصر عن سنة ١١٢٩ .

سنة ١١٢٩ هجرية

(١٦ ديسمبر ١٧١٦ ــ ٤ ديسمبر ١٧١٧)

اجتمعوا بالديوان ، وتقلد ابراهيم بيك أبو شنب قائمقام ، ونزل الى بيته ، وخلع عن أحمد بيك الأعسر ، وجعله أمين السماط ، ونزل عابدين باشا من القلعة عند ما وصل الخبر بوصول على باشا الى الأسكندرية ، وسافرت اليه أرباب الخدم والعكاكيز ، وسافر عابدين باشا قبل حضور على باشا الى مصر .

وحضر على باشا ، وطلع الى القلعة على الرسم المعتاد ، واستقر فى ولاية مصر والأمور صالحة ، والفتن ساكنة ، ورياسة مصر للأمير ابراهيم بيك أبى شنب الكبير والأمير اسماعيل بيك بن ايواظ بيك ومحمد كتخدا جدك مستحفظان وابراهيم جوربجى الصابونجى عزبان وأتباع حسن جاويش القازدغلى ، وهم عثمان أوده باشا وسليمان أوده باشا تابع مصطفى كتخدا وخلافهم من رؤساء باب العزب وباقى البلكات .

فى أواخر هذه السنة ورد قابجى وعلى يده مرسوم بطلب ثلاثة آلاف من عسكر مصر وعليهم أمير لسفر الجهاد ، وكان الدور على محمد بيك بن ايواظ أخى اسماعيل بيك ، فعلم أخوه أنه خفيف العقل ، فلا يستر نفسه فى السفر ، فقلد أحمد كاشف صنجقية ، وجعله أمير العسكر ، وجعل مملوكه على الهندى كتخداه .

سنه ١١٣٠ هجرية

(٥ ديسمبر ١٧١٧ ــ ٢٣ نوفمبر ١٧١٨)

حضر محمد جركس من السفر فوجد سيده ابراهيم بيك توفى وأمير مصر اسماعيل بيك ، فتاقت نفسه للرياسة ، فضم اليه جماعة من الفقارية : مثل حسين أبو يدك ، وذى الفقار تابع عمر أغا وأصلان وقيلان ومن يلوذ بهم من أمثالهم ، واتخذ لهم سراجا قبيحا يقال له الصيفى .

وكان الدفتردار فى ذلك الوقت أحمد بيك الأعسر تابع ابراهيم بيك أبى شنب ، وكلما رأى تحرك محمد بيك جركس لاثارة الفتن يهدى عليه ويلاطفه ويطفىء نارته .

وكان ذو الفقار لما قتل سيده عمر أغا وأراد اسماعيل بيك قتله أيضا فى ذلك اليوم ، فوقع على خازندار حسن كتخدا الجلفى وحماه من القتل ، وأخرج له حسن كتخدا حصة فى قمن العروس بالمحلول عن سيده ، وهى شركة اسماعيل بيك بن ايواظ . ولم يقدر حسن كتخدا أن يذكر اسماعيل

(١) لفظ عامى معناه « فقير » .

بيك فى فائظها لعلمه بكراهته لذى الفقار ويريد قتله .

فلما مات حسن كتخدا الجلفى (١) ، وحضر محمد بيك جركس من السفر ، انضم اليه ذو الفقار المذكور وخاطب فى شأنه اسماعيل بيك ، فلم يفد ، ولم يرض أن يعطيه شيئا من فائظه . وتكرر هذا مرارا حتى ضاق خناق ذى الفقار من الفشل ، فدخل على محمد بيك جركس فى وقت خلوة ، وشكا اليه حاله ، وفاوضه فى اغتيال اسماعيل بيك ، فقال له : « افعل ماتريد » . فأخذ معه فى ثانى يوم أصلان وقيلان وجماعة خيالة من الفقارية ، ووقفوا لاسماعيل بيك فى طريق الرميلة عند سوق الغلة وهو طالع الى الديوان ، فمر اسماعيل بيك وصحبته يوسف بيك الجزار واسماعيل بيك جرجا وصارى على بيك (٢) ، فرموا عليهم بالرصاص فلم يصب منهم الا رجل قواس . ورمح اسماعيل بيك ومن بصحبته الى باب القلعة ، ونزل هناك ، وكتب عرضحالا ملخصه الشكوى من محمد بيك جركس ، وأنه جامع عنده المفسدين ويريد اثارة الفتن فى البلد وأرسله الى الباشا صحبة يوسف بيك ... فأمر على باشا بكتابة فرمان خطابا للوجاقات باحضار محمد بيك جركس وان أبى فحاربوه واقتلوه .

فلما وصل الخبر الى جركس ركب مع المنضمين اليه — فقارية وقاسمية — ووصل الى الرميلة ، فصادف الموجهين اليه ، فحاربهم وحاربوه . وقتل حسين بيك أبويدك (٣) وآخرون . وانهزم جركس ، وتفرق من حوله ، ولم يتمكن من الوصول الى داره ، فذهب على طريق الناصرية ، ولم يزل سائرا حتى وصل الى شبرا ولم يبق صحبته سوى مملوكين ، فلاقاه جماعة من عرب الجزيرة وقبضوا عليهم ، وأخذوا سلاحهم وأتوا بهم الى بيت اسماعيل بيك ابن ايواظ بيك . وكان عند أحمد كتخدا أمين البحرين (١) والصابونجى ، فأشاروا عليه بقتله فلم يرض وقال : « انه دخل بيتى » ، وخلع عليه فروة سمور ، وأعطاه كسوة ، وذهب ونفاه الى جزيرة قبرص . ورجع العسكر الذين كانوا بالسفر واستشهد أمير العسكر أحمد بيك فقلدت الدولة على كتخدا الهندى صنجقا عوضا عن مخدومه أحمد بيك ، وأعطوه نظر الخاصكية قيد الحياة ، وأطلقوا له بلاده من غير حلوان . فلما وصلوا الى مصر عمل له يوسف بيك الجزار سماطا بالحلى ، ثم ركب وطلع الى القلعة وخلع الباشا على على بيك الهندى خلعة السلامة ، ونزل الى بيت اسماعيل بيك ، وأنعم عليه بتقاسيط بلاد فائظها اثنا عشر كيسا ، واستمر صنجقا وناظرا على الخاصكية .

وفى هذه السنة : حصلت حادثة ببولاق ، وهى أن سكان حارة الجوابر تشاجروا مع بعض الجمالة أتباع أوسية أمير الحج ، فحضر اليهم أمير أخور فضربوه . ووصل الخبر الى الأمير اسماعيل بيك فأرسل اليهم أغات الينكجرية والوالى فضربوهم ، فركب الصنجق بطائفته وقتلوا منهم جماعة وهرب باقيهم ، وأخرجوا النساء بمتاعهن وسمروا الدرب من الجهتين . وكانت حادثة مهولة واستمر الدرب مقفولا ومسمرا نحو سنتين .

وفى هذه السنة أيضا : كان موسم سفر الخزينة — وأميرها محمد بيك بن ابراهيم بيك أبو شنب ، وكان وصل اليه الدور — وخرج بالموكب وأرباب المناصب والسدادرة . ولما وصل الى اسلامبول ، واجتمع بالوزير ورجال الدولة ، وشى اليهم فى حق اسماعيل بيك بن ايواظ ، وعرفهم أنه ان استمر أمره بمصر ادعى السلطنة بها وطرد النواب ، فان الأمراء وكبار الوجاقات والدفتردار وكتخدا الجاويشية صاروا كلهم أتباعه ومماليكه ومماليك

(١) كان انسانا خيرا له بر ومعروف وصدقات توفى يوم الاربعاء ٩ شوال ١١٢٤ هـ (٩ نوفمبر ١٧١٢ م)

(٢) يقال له « على بيك الاصفر » لان صارى بمعنى الاصفر وهو من اتباع ايواظ بيك .

(٣) حسين بيك ارنؤود المعروف بابى يدك . كان اصله اغا جراكسة .

(١) كان من الاعيان المشهورين ، نافذ الكلمة وافر الحرمة . عمل باش أوده باشا ثم تولى الكتخدائية وعمل أمير البحرين .

أبيه ، وعلى باشا المتولى لايخرج عن مراده فى كل شىء ، ونفى وأبعد كل من كان ناصحا فى خدمة الدولة : مثل جركس ومن يلوذ به ، وعمل للدولة أربعة آلاف كيس على ازالة اسماعيل بيك والباشا وتولية وال آخر يكون صاحب شهامة ... فأجابوه الى ذلك . وكان قبل خروجه من مصر أوصى قاسم بيك الكبير على احضار محمد بيك جركس ، فأرسل اليه وأحضره خفية واختفى عنده .

ثم ان أهل الدولة عينوا رجب باشا أمير الحج الشامى ، ورسموا له عند حضوره الى مصر أن يقبض على على باشا ويحاسبه ويقتله ، ثم يحتال على قتل اسماعيل بيك بن ايواظ وعشيرته ماعدا على بيك الهندى (١) . ورجع محمد بيك بن أبى شنب الى مصر ، وعمل دفتردارا ، وحضر مسلم رجب باشا ومعه الأمر بحبس على باشا بقصر يوسف وقائمقامية الى أحمد بيك الأعسر . وبعد أيام وصل الخبر بوصول رجب باشا الى العريش .

سنة ١١٣١ هجرية

(٢٤ نوفمبر ١٧١٨ ـ ١٣ نوفمبر ١٧١٩)

تقلد ابراهيم بيك فارسكور أمين السماط ، وطلع اسماعيل بيك أميرا بالحج ، وذلك عند وصول رجب باشا الى العريش . ثم حضر الى مصر ، وعملوا له الشنك والموكب على العادة . فلما استقر بالقلعة أحضر اليه ابن على باشا وخازنداره وكاتب خزينته والروزنامجى ، وأمرهم بعمل حسابه ، ثم قطع رأسه ظلما وسلخها وأرسلها الى الباب ، ودفن على باشا بمقام أبى جعفر الطحاوى بالقرافة ، ويعرف قبره بعلى باشا المظلوم . وأمر بضبط جميع مخلفاته ، ثم أحضر له محمد جركس خفية ، وأمر الأغا والوالى بالمناداة عليه وكل من آواه يشنق على باب داره ، ثم اختلى به وقال له : كيف العمل والتدبير فى قتل ابن ايواظ بيك وجماعته ؟ فقال له : « الرأى فى ذلك أن ترسل الى العرب يقفون فى طريق الوشاشة فانهم يرسلون يعرفونكم بذلك » .

فأرسلوا لهم عبد الله بيك . وبعد عشرة أيام أرسلوا يوسف بيك الجزار ومحمد بيك بن ايواظ بيك واسماعيل بيك جرجا وعبد الرحمن أغا ولجه أغات الجملية ، فعندما يرتحلون من البركة يقتل اسماعيل بيك الدفتردار كتخدا الجاويشية ، وعند ذلك أنا أظهر ، وتقلد امارة الحج الى محمد بيك بن اسماعيل بيك ونرسله بتجريدة الى ابن ايواظ بيك يقتلونه مع جماعته . وهذا هو الرأى والتدبير ... ففعلوا ذلك ولم يتم ، بل اختفى اسماعيل بيك ودخل الى مصر ، ثم ظهر بعد أن دبر أموره وعزل رجب باشا وأنزلوه الى بيت مصطفى كتخدا عزبان ، وفسد تدبيره ، وكتبوا عرضحال بصورة الواقع وأرسلوه الى اسلامبول . وكان رجب باشا أخذ من مال دار الضرب مائة وعشرين كيسا صرفها على التجريدة .

سنة ١١٣٣ هجرية

(٢ نوفمبر ١٧٢٠ ـ ٢١ اكتوبر ١٧٢١)

وصل محمد باشا النشانجى ، فعندما استقر بالقلعة طلب من رجب باشا المائة وعشرين كيسا . وقلد امارة الحج لمحمد بيك اسماعيل فطلع بالحج سنة ثلاث وسنة أربع وثلاثين .

ثم حضر مرسوم بالأمان والعفو لاسماعيل بيك ابن ايواظ بيك وقرىء بالديوان .

سافر رجب باشا ، وسكن الحال مع التنافر والحقد الباطنى الكامن فى نفس محمد بيك جركس وابن أستاذه محمد بيك أبى شنب لاسماعيل بيك ابن ايواظ ، وهو يسامح لهم ، ويتغافل عن أفعالهم وقبائحهم ، ويسوس أموره معهم ، وكل عقدة عقدوها بمكرهم حلها بحسن رأيه وسياسته وجودة رأيه ، وجرت بينه وبينهم أمور ووقائع ومخاصمات

(١) الأمير على بيك المعروف بالهندى هو مملوك احمد بيك تابع ايواظ بيك الكبير .

وجمعيات ومصالحات . ولم يزل اسماعيل بيك ظاهرا عليهم حتى خانوه واغتالوه بالقلعة على حين غفلة على يد ذى الفقار تابع عمر أغا وأصلان وقيلان ومن معهم . وقتلوا معه اسماعيل بيك جرجا وعبد الله أغا كتخدا الجاويشية .

سنة ١١٣٥ هجرية

ربيع الآخر

فى ١٧ منه (٢٥ يناير ١٧٢٣ م) :

ورد أغا من الديار الرومية وعلى يده مرسوم بدفع ستين كيسا الى باشة جدة ليشتروا بها مركبا هنديا لحمل غلال الحرمين عوضا عن مركب غرقت قبل هذا التاريخ . وحضر صحبة ذلك الأغا تاجر عظيم من تجار الشوام ومعه أتباعه ، ووصل الجميع على خيل البريد الى أن وصلوا الى بركة الحاج ، فنزلوا ليأخذوا لهم راحة لكونهم وصلوا أرض الأمان ، وفارقهم الأغا ... فنزل عليهم سالم بن حبيب فعراهم ، وأخذ ما معهم . وكان صحبة سالم عرب الجزيرة ومغاربة .

وسبب ذلك أنه لما طرد من دجوة (١) وذهب الى الصعيد ، فنزل اليه قيطاس بيك ، وجمع عليه عربان القبائل وحاربه وقتل أولاده ... فرجع من خلف الجبل ، وقعد بالبركة وقطع الطريق .

فلما وصل الخبر بذلك الى مصر ، نزل اليه أمير الحج وكاشف القليوبية حمزة بيك ، تابع ابن ايواظ ، وعينوا صحبتهم عرب الصوالحة — وهم نصف حرام — فنزل أمير الحج بالمسبك وجلس هناك ، وابن حبيب (٢) نازل فى المساطب التى بعد البركة وناصب صيوان كاشف شرق اطفيح ، وكان نهبه وهو متوجه الى قبلى ... فان الكاشف لما أقبل عليه سالم فرمح عليه — وكان فى قلة — فهزمه

(١) قرية صغيرة من مديرية القليوبية كان يسكنها ابن حبيب .

(٢) حبيب بن سعد أعظم المشايخ قدرا بالقليوبية خاصة والوجه البحرى عامة ، وهو كبير نصف سعد وليس لهم أصل مذكور فى قبائل العرب . وكان ظهوره فى اوائل القرن الثامن عشر .
(محمد رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ٤٥)

سالم ، وأخذ صيوانه ، ونزل البركة ، وربط خيوله هو ومن معه فى الغيطان ، فأكلوا ستة وثلاثين فدان برسيم فى ليلة واحدة .

ثم ان الباشا أرسل الى أمير الحج بالرجوع وعينوا عبد الله بيك وحمزة بيك وخليل أغا . وأرسل اسماعيل بيك صحبتهم خمسمائة جندى من أتباعه ومن البلكات ، ومعهم فرمان لجميع العرب بالتعمير فى أوطانهم ماعدا سالم بن حبيب واخوته ومن يلوذ به . وسافرت لهم التجريدة ، وارتحل ابن حبيب ، وسار الى جهة غزة ونهبت التجريدة ما فى طريقهم من البلاد ، وأرسل الباشا اليهم فرمانا بالعودة فرجعوا من غير طائل .

رجب

فى ١٣ منه (١٩ ابريل سنة ١٧٢٣ م) :

فيه : ورد أغا من الديار الرومية ، وعلى يده مرسوم وسيف وقفطان للشريف يحيى شريف مكة ، وتقرير للباشا على السنة ، وأغاوية المتفرقة لعبد الغفار أفندى ... ولم يسبق نظير ذلك ، وأن أغاوية المتفرقة تأتى من الديار الرومية .

وسبب ذلك أن حسن أفندى والد عبد الغفار (١) أفندى ، كان عنده طواشى أهداه الى السلطنة ، فأرسل ذلك الأغا أغاوية المتفرقة الى ابن سيده ، فألبسه الباشا القفطان على ذلك ، فحصل بسبب ذلك فتنة فى الوجاق . وسبب ذلك أن وجاقهم فرقتان ظاهرتان بحلاف غيره ، والظاهر منهما ستة أشخاص من الاختيارية وهم : سليمان أغا الشاطر وعلى أغا وعبد الرحمن أغا القاشقجى وخليل أغا وابراهيم كاتب المتفرقة سابقا وكبيرهم محمد أغا السنبلاوين (٢) وهم من طرف محمد بيك جركس . لكن لما ظهر اسماعيل بيك انحطت كلمتهم ، وظهرت كلمة الذين من طرف اسماعيل بيك .

(١) أغا بن حسن افندى تقلد فى أيام ابن ايواظ اغاوية المتفرقة بموجب مرسوم ورد من الدولة .

(٢) كان اغات وجاق المتفرقة وصاحب وجاهة ومات مقتولا باغراء محمد بيك جركس .

فلما تولى عبد الغفار الأغاوية لحق أولئك الحقد والحسد ، وتناجوا فيما بينهم على أن يملكوا الباب فاجتمعوا بأنفارهم وملكوا الباب ، فهرب عبد الغفار أغا الى بيت اسماعيل بيك ، وكان عنده الجماعة الآخرون ، فدخل عليهم عبد الغفار أغا واخبرهم بما حصل . فأشار عليهم اسماعيل بيك أن يذهبوا الى بيت أحمد جلبي ويجعلوه محل الحكم . وأرسل أولئك الطرف فطلبوا محمد أغا أبطال وباكير أغا تابع اسماعيل بيك الكبير ، ومصطفى أغا — وكانوا منفيين من بابهم الى العزب وكانوا كبراءهم — وخرجوا منهم فى واقعة جركس فأبوا من الحضور اليهم ، فلما أبوا عليهم عملوا القاشقجى باش اختيار عوضا عن أبطال ، وعزلوا وولوا على مرادهم .

وطلع فى صبحها اسماعيل بيك الى الديوان ، وصحبته على بيك ، وأمير الحج ، وأخبروا الباشا بفعل القاشقجى . فأرسل الباشا اثنين أغوات ، ومن كل وجاق اثنين اختيارية لينظروا الخبر ، ففزعوا عليهم ، فرجعوا وأخبروا الباشا والأمراء ، فأرسل لهم فرمانا بنفيهم الى الكشيدة ، فأبوا وصمموا على عدم ذهابهم الى الكشبدة وأقام الأمراء عند الباشا الى الغروب . ثم انهم نزلوا ووعدوا الباشا أنهم فى غد يفصلون هذا الأمر ، وان لم يمتثلوا حاربناهم .

فلما كان فى ثانى يوم عملوا جمعية ، واتفقوا على توزيع الستة أنفار على الستة وجاقات ، وكتبوا من الباشا ست فرمانات لكل فرد منهم فرمان ، فكان كذلك ، وتفرقوا فى الوجاقات .

نزل اسماعيل بيك بن ايواظ الى بيته بعد اقامته فى باب العزب ثلاثة أيام فى طائفته ومماليكه وصناجقه ، بحيث أن أوائل الطائفة دخلوا الى البيت قبل ركوبه من باب العزب . وكان خلفه نحو المائتين بالطرابيش الكشف ، وتمم الأمر على مراده .

ثم تحقق الخبر ، فظهر له أن أصل هذه الفتنة من اسماعيل أغا بن الدالى ، فطلع فى ثانى يوم الى الديوان ، وألبس اسماعيل أغا أغاوية العزب .

وفيه من الحوادث فى أيام محمد باشا : أن فى أول الحماسين طلع الناس على جرى العادة فى ذلك لاستنشاق النسيم فى نواحى الخلاء ، وخرج سرب من النساء الى ناحية الأزبكية ، وذهب منهن طائفة الى غيط الأعجام تجاه قنطرة الدكة ... فحضر اليهن جماعة سراجون وبأيديهم السيوف من جهة الخليج — وهم سكارى — وهجموا عليهن ، وأخذوا ثيابهن وما عليهن من الحلى والحلل .

ثم أن الخفراء وأوده باشا القنطرة حضروا اليهن بعد ذهاب أولئك السراجين ، فأخذوا ما بقى ، وكملوا بقية النهب . وجميع من كان هناك من النساء من الأكابر . ومن جملة ماضاع حزام جوهر ، وبشت جوهر ، قالوا ان الحزام قيمته تسعة أكياس والبشت خمسة أكياس .

ومن جملة من كان هناك آمنه الجنكية ، وصحبتها امرأة من الأكابر ، فعروهما ، وأخذوا ما عليهما ، وكان لها ولد صغير ، وعلى رأسه طاقية عليها جواهر وبنادقة وزوج أساور جوهر وخلخال ذهب بندقى قديم وزنه أربعمائة مثقال . ومن جملة ما أخذوا لباس شبيكة من الحرير الأصفر ، والقصب الأصفر ، وفى كل عين من الشبيكة لؤلؤة ، فى كل لؤلؤة شريط مخيش ، والدكة كذلك . وأخذوا أزرهن وفرجياتهن ، وأرسلن الى بيوتهن فأتين بثياب يستترن بها ، وذهبن .

وكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث .

ثم ان فى ثانى يوم قدموا عرضحالا الى الباشا ، وأخذوا على موجبه فرمانا الى أغات الينكجرية على أنه يتوجه — وصحبته الوالى وأوده باشا البوابة — فذهبوا الى محل الواقعة ، وأحضروا أهل الخطة ، فشهدوا على أن هذه الفعلة من الخفراء بيد أوده باشا مركز القنطرة ، وهو الذى

*رسل السراجين والحمارة . فقبضوا على الخفراء والأوده باشا ، وسئلوا فأنكروا ؛ فحبس الأوده باشا فى بابه ؛ والخفراء فى العرقانة ، وأمر الباشا الوالى بعقابهم ؛ فلما رأوا آلة العذاب أقروا أن ذلك من فعل الأوده باشا ، فأخذوا منه مالا كثيرا ونفوه الى أبى قير .

ونادى الأغا والوالى على النساء لا يذهبن الى الغيطان بعد اليوم ولا يركبن الحمير .

شعبان (مايو سنة ١٧٢٣ م) :

ورد عرضحال من مكة بأن يحيى الشريف ، وعلى باشا والى جدة ، وعسكر مصر الذين عينوا صحبة أحمد بيك المسلمانى ، وأهل مكة ، تحاربوا مع الشريف مبارك شريف مكة سابقا — وكان معه سبعة آلاف من العرب اليمانية — ووقع بينهم مقتلة عظيمة . وسقط على باشا من على ظهر جواده الا أن أحمد بيك أدركه وأنقذه بجواده ، وقتل من العرب زيادة عن ألفين وخمسمائة ، ومن العسكر نحو الخمسين . وكان الباشا قتل من الأشراف اثنى عشر شخصا ، وكانوا فى جيرة الشريف يحيى .

وقلد محمد بيك خازنداره رضوان صنجقية ، وجعله أمين السماط ، وأخذ الخاصكية من على بيك الهندى وأعطاها لرضوان المذكور ، وأبطل الخط الشريف الذى بيده بالخاصكية قيد حياته .

ذو القعدة (اغسطس سنة ١٧٢٣ م) :

تقلد الصنجقية على أغا الأرمنى الذى عرف بأبى العزب ؛ وكذلك على أغا صنجقية وأمين العنبر وحاكم جرجا ، وكمل بذلك صناجق مصر أربعة وعشرين صنجقا ، وكانوا فى المعتاد القديم اثنين وعشرين ، وكتخدا الباشا ، وقبطان الأسكندرية .

سنة ١١٣٦ هجرية

(١ اكتوبر ١٧٢٣ — ١٩ سبتمبر ١٧٢٤)

تحيلوا على قتل عبد الله بيك ومحمد بيك بن ايواظ وابراهيم بيك بن الجزار فى أيام ولاية محمد باشا، وقلدوا ذا الفقار قاتل اسماعيل بيك(١) الصنجقية وكشوفية المنوفية ، وانضم اليه من كان خاملا من الفقارية وبدأ أمرهم فى الظهور .. فممن انضم اليه مصطفى بيك بلفيه ، ومحمد بيك أمير الحج — وهو ابن اسماعيل بيك الفقارى — واسماعيل بيك الدالى وقيطاس بك الأعور ، واسماعيل بيك ابن سيده ، ومصطفى بيك قزلار وخلافهم ... اختيارية وأغوات من الوجاقلية ونظم أموره ، وقضى لوازمه وأشغاله ، وجعل مصطفى أفندى الدمياطى كاتب تركى ، وعزم على السفر الى المنوفية وركب فى موكب حافل وصحبته من ذكر من الفقارية .

وكان رجب كتخدا ومحمد جاويش الداودية متوجهين الى بيت محمد بيك جركس — وكان لهما الكلمة دون القازدغلية (٢) — فصادفا موكب ذى الفقار ، فوقفا ونظرا الى الراكبين معه من الفقارية فتغير خاطرهما على جركس . ولما دخلا على جركس نظر اليهما فرآهما منفعلين فسألهما عن سبب انفعالهما . فأخبراه بما رأيا ، وقالا : « ان دام هذا الحال قتلنا الفقارية » . فقال : « يكون خيرا » ثم أمر الصيفى بقتل أصلان وقيلان ، فوظب (جهز) معه سراجا يثق به ، وأمره أن يقف فى سلالم المقعد . فعندما علم بحضورهما أحدث الصيفى مشاجرة مع ذلك السراج ، وفزع عليه بالطبنجة ، فهرب السراج من أمامه ، فجرى الصيفى خلفه . فأخرج ذلك السراج طبنجته أيضا ورفع زنادها . فقال أصلان : « عيب ! » فأفرغها فيه . وفرغ أيضا الصيفى طبنجته فى قيلان ، وذلك بسلالم المقعد ببيت جركس ، ومسح الخدم الدم ، وأخذوا خيولهما وأرسلوا المقتولين الى بيوتهما فى تابوتين .

ثم ان محمد بيك جركس طلع الى القلعة ، وطلب من الباشا فرمانا بتجريدة يرسلها الى ذى الفقار

(١) أصله جلبى من اشراقات اسماعيل بيك بن ايواظ .

(٢) استاذهم ابراهيم كتخدا ، كان جاويش الينكجرى ثم تولى الكتخدائية وانفصل منها بعد ثلاثة اشهر .

ومن معه من الفقارية ، فامتنع الباشا وقال : « رجل خاطر بنفسه بمعرفتكم واطلاعكم . كيف انى أعطيكم بعد ذلك فرمانا بقتله ؟ » . فقام جركس ونزل الى بيته ، ولم يطلع بعد ذلك الى الديوان ، وأهملوا الدواوين والباشا . فلما ضاق خناق الباشا أبرز مرسوما برفع صنجقية جركس ، وكتب فرمانات للمشايخ والوجاقلية بذلك يمنعهم من الذهاب اليه .

سنة ١١٣٧ هجرية

(٢٠ سبتمبر ١٧٢٤ — ٨ سبتمبر ١٧٢٥)

فى أواخر هذه السنة بلغ هذا الخبر الى جركس ، فتدارك الأمر ، وعمل جمعيات ، ورتب أمورا ، واجتمعوا بالرميلة وحوالى القلعة ، وعزلوا الباشا وأنزلوه وأسكنوه فى بيت ابن الدالى ... فكانت مدته أربع سنوات . وأرسلوا له محمد بيك بن أبى شنب فخلع عليه ، وجعلوه قائمقام ، وأخذوا منه فرمانا بالتجريدة على ذى الفقار ، وجعلوا ابراهيم بيك فارسكور أمير العسكر وكاشف المنوفية .

ووصل الخبر الى ذى الفقار بيك بما حصل من مصطفى بيك بلفيه ، فوزع طوائفه فى البلاد ودخل الى مصر خفية الى بيت أحمد أوده باشا مطربلز .

فلما سافر ابراهيم بيك بالتجريدة لم يجده ، فضبط موجوداته ، وتحقق من المخبرين أنه دخل الى مصر ، وأرسل الخبر بذلك لجركس .، فأمر لهلوبة الوالى والصيفى بالفحص والتفتيش عليه ، وأرسلوا عرضحال محضرا بما لمقوه وبنزول الباشا .

وكان محمد باشا أرسل قبل ذلك مكاتبات لرجال الدولة بما حصل بالتفصيل . فلما وصل عرض المصريين عينوا على باشا واليا جديدا الى مصر بتدبير مكيدة وصحبته قبودان وقابجى بطلب الأربعة الآلاف كيس التى جعلها محمد بيك بن أبى شنب حلوانا على بلاد الشواربية .

سنة ١١٣٨ هجرية

جمادى الآخرة

فى ٧ منه (١٠ فبراير ١٧٢٦ م) :

كان هروب جركس وخروجه من مصر ، وكتبوا فرمانات لسائر الجهات باهدار دم محمد بيك جركس أينما وجد ، لأنه عاص ، ومفسد ، وأهل شر ... وذلك حسب طلب المصريين .

ثم أن محمد باشا والى مصر خلع على جماعة ، وقلدهم أمريات ... وسكن الحال ، وانتهت الرياسة بمصر الى ذى الفقار بيك وعلى بيك الهندى . وحضر محمد بيك قطامش الى مصر من الديار الرومية فلم يتمكن من الدفتردارية ، لأن على بيك الهندى تقلدها .

فاتفق أن جمعا من فرقة القاسمية كانوا يجتمعون فى كل ليلة عند واحد منهم يعملون حظا ويشربون شرابا . فاجتمعوا فى ليلة عند على بيك أبى العذب فلما أخذ الشراب من عقولهم تأوه مصطفى بيك بن ايواظ وقال : يموت العزيز ، أخو الكبير والصغير ، ويصير الهندى مملوكنا سلطان مصر ، ونأكل من تحت يده والباشا فى قبضته — وكان النيل قريب الوفاء — فقال على بيك : « أنا أقتل الباشا يوم جبر البحر » . وكل واحد من الجماعة التزم بقتل واحد ، وقرأوا الفاتحة . وكان معهم مملوك أصله من مماليك عبد الله بيك ، ولما قتل سيده هرب الى الهندى ، وأقام فى خدمته أياما . فلما تقلد مصطفى بيك الصنجقية أخذه من على بيك الهندى . فلما سمع منهم ذلك القول ذهب الى على بيك الهندى وأخبره ، فأرسله الى ذى الفقار فأخبره أيضا ، فبعثه الى الباشا فأخبره .

فلما كان يوم الديوان ، وطلع على بيك أبو العذب ، فقبض عليه الباشا وقتله تحت ديوان قايتباى وأحاط بداره ونهب ما فيها ، وأرسل فى الوقت فرمانا الى الأغا بالقبض على باقى الجماعة ،

فقبضوا على مصطفى بيك بن ايواظ وأركبوه حمارا — وصحبته مقدمه — وأحضروه الى الباشا فأمر بقتله ، وقتل معه مقدمه أيضا ، واختفى الباقون . وأخذ ذو الفقار فرمانا بنفى هانم بنت ايواظ بيك ، وأم محمد بيك بن أبى شنب ، ومحظية على بيك ... فمانع عثمان جاويش القازدغلى فى ذلك واستقبحه ، وضمن غائلتهن ، وألزمهن أن لا يخرجن من بيوتهن ورتب لهن كفايتهن .

فلما حصل ذلك ضعف جانب القاسمية ، وانفرد على بيك الهندى — وكان ذو الفقار أرسل الى الشام — فأحضر رضوان أغا ومحمد أغا الكور فجعلوا رضوان أغا أغات الجملية — ومحمد بيك الجزار غائب باقليم المنوفية — فعند ذلك اغتنموا الفرصة ، وتحرك محمد بيك قطامش فى طلب الدفتردارية ، فدبروا أمرهم مع يوسف جربجى عزبان البركاوى ورضوان أغا وعثمان جاويش القازدغلى ، وقتلوا على بيك الهندى وذا الفقار قانصوه ، وأرسلوا الى محمد بيك الجزار تجريدة — وأميرها اسماعيل بيك قيطاس وهو باقليم المنوفية — وقلدوا مصطفى أفندى الدمياطى صنجقية وجعلوه حاكم جرجا ، وقبضوا على سليمان بيك أبى شنب ، وقضى اسماعيل بيك أشغاله وسافر بالتجريدة الى المنوفية ، وأخذ صحبته عربان نصف سعد ، وساروا الى محمد بيك الجزار ، وكان لما وصل الخبر ، أخذ ما يعز عليه وترك الوطاق وارتحل الى جسر سديمة ، فلحقوه هناك وحاربوه وحاربهم وقتل بينهم أجناد وعرب وحمى نفسه الى الليل ، ثم أخذ معه مملوكين وبعض احتياجات ، ونزل فى مركب ، وسار الى رشيد ، وترك أربعة وعشرين مملوكا ، فأخذوا الهجن وساروا ليلا مبحرين حتى جاوزوا وطاق اسماعيل بيك ، وتخلف عنهم مملوك ماشى ، فذهب الى وطاق اسماعيل بيك قيطاس وعرفه بمكانهم ، فأرسل اليهم كتخداه بطائفة فردوهم وأخذهم عنده فأقاموا فى خدمته .

سنه ١١٤٠ هجرية

(١٩ أغسطس ١٧٢٧ ـ ٦ أغسطس ١٧٢٨)

ولم يزل محمد بيك فى سيره حتى دخل الى رشيد واختفى فى وكالة ، ووصل خبره الى حسين جربجى الخشاب ، فقبض عليه وقتله بعد أن استأذن فى ذلك ، وتقلد فى نظير ذلك الصنجقية وكشوفية البحيرة .

ثم حضر محمد بيك جركس من غيبته ببلاد الافرنج ، وطلع على درنه وأرسل مركبه التى وصل فيها الى الاسكندرية ، وحضر اليه أمراؤه الذين تركهم من قبل جهة قبلى ، فركب معهم ونزل الى البحيرة ليصل الى الاسكندرية ، فصادفه حسين بيك الخشاب ففر منه ، وغنم جركس خيامه وخيوله وجماله ، ثم رجع الى الفيوم ، ونزل على بنى سويف . ثم ذهب الى القطيعة قرب جرجا ، واجتمع عليه القاسمية المشردون ، فحاربه حسين بيك حاكم جرجا والسدارة ، وقتل حسن بيك وطائفته ، واستولى على وطاقهم وعازقهم ووصلت أخباره الى مصر فجمع ذو الفقار بيك جمعية ، وأخرج فرمانا بسفر تجريدة .. فسافر اليه عثمان بيك وعلى بيك قطامش وعساكره فتلاقوا معه ببوادى البهنسا ، فكانت الهزيمة على التجريدة ، واستولى محمد بيك جركس ومن معه على عرضيهم وخيامهم ، وحال بينهم الليل ، ورجع المهزومون الى مصر .. فجمع ذو الفقار الأمراء واتفقوا على التشهيل واخراج تجريدة أخرى ، فاحتاجوا الى مصروف ، فطلبوا فرمانا من الباشا بمبلغ ثلثمائة كيس من الميرى عن السنة القابلة ، فامتنع عليهم ، فركبوا عليه وأنزلوه وقلدوا محمد بيك قطامش قائمقام ، وأخذوا منه فرمانا بمطلوبهم ، وجهزوا أمر التجريدة،واهتموا فيها اهتماما زائدا ، ورتبوا

أشغالهم ، وخرجوا . وجرت أمور وحروب ، وقتل من جماعة جركس سليمان بيك ، ثم وقعت الهزيمة على جركس .

سنه ١١٤٢ هجرية

(٢٧ يولية ١٧٢٩ ـــ ١٦ يولية ١٧٣٠)

وصل الى مصر باكير باشا ، وطلع الى القلعة ، فمكث أشهرا وعزله العساكر فى أواخر السنة . وحصل بمصر فى أيام هذه التجاريد ضنك عظيم ، وثار جماعة القاسمية المختفون بالمدينة ودبروا مكرهم — ورئيسهم فى ذلك الوقت سليمان أغا أبو دفية — ودخل منهم طائفة على ذى الفقار بيك وقت العشاء فى رمضان وقتلوه . وكان محمد بيك جركس جهة الشرق ينتظر موعدهم معه ، فقضى الله بموت جركس خارج مصر ، وموت ذى الفقار داخلها . ولم يشعر أحدهما بموت الآخر — وكان بينهما خمسة أيام ــ وثار أتباع ذى الفقار بالقاسمية ، وظهروا عليهم وقتلوهم وشردوهم ، ولم يقم منهم قائم بعد ذلك الى يومنا هذا .

وانقرضت دولة القاسمية من الديار المصرية .

وظهرت دولة الفقارية ، وتفرع منها طائفة القازدغلية .

سنه ١١٤٣ هجرية

(١٧ يولية ١٧٣٠ ـــ ٥ يولية ١٧٣١)

وبهذا كان انقراض فرقة القاسمية ، وظهور آمر الفقارية ، وخلع السلطان أحمد من السلطنة ، وولاية محمود خان . ووالى مصر اذ ذاك عبد الله الكبورلى — نسبة الى كهور بلدة بالروم — وحضر الى مصر فى السنة الخالية ، وكان من أرباب الفضائل ، وله ديوان شعر جيد .. وكان انسانا خيرا صالحا منقادا الى الشريعة ، أبطل المنكرات والخمامير ومواقف الخواطى والبوظ من بولاق وباب اللوق وطولون ومصر القديمة ، وجعل للوالى والمقدمين عوضا عن ذلك فى كل شهر كيسا من كشوفيات الباشاوات ، وكتب بذلك حجة شرعية وفيها لعن كل من تسبب فى رجوع ذلك .

سنه ١١٤٤ هجرية

(٦ يولية ١٧٣١ ـــ ٢٣ يونية ١٧٣٢)

فى أواخر هذه السنة عزل عبد الله باشا ، وأمراء مصر فى هذا العام محمد بيك قطامش ، وتابعه على بيك قطامش ، وعثمان جاويش القازدغلى ، ويوسف كتخدا البركاوى ، وعبد الله كتخدا القازدغلى ، وسليمان كتخدا القازدغلى ، وحسن كتخدا القازدغلى ، ومحمد كتخدا الداودية ، وعلى بيك ذو الفقار ، وعثمان بيك ذو الفقار ، خشداشه.

سنة ١١٤٥ هجرية

(٢٤ يونية ١٧٣٢ ـــ ١٣ يونية ١٧٣٣)

وصل مسلم محمد باشا السلحدار فأخبر بولاية محمد باشا السلحدار ، وقدم من البصرة .

سنة ١١٤٦ هجرية

(١٤ يولية ١٧٣٣ ـــ ٢ يونية ١٧٣٤)

استمر محمد باشا واليا على مصر ، ثم عزل وتولى عثمان باشا الحلبى . ووصل المسلم بقائمقامية الى على بيك ذو الفقار ، فطلع الى الديوان ، ولبس القفطان من عثمان باشا ونزل الى

بيته وحضر اليه الأمراء وهنوه ، وخلع على اسماعيل بيك أبى قلنج أمين السماط ، ووصل عثمان باشا الى العريش ، وتوجهت اليه الملاقاة وأرباب الخدم، وحضر الى العادلية وعملوا له شنكا وطلع الى القلعة وخلع الخلع .

وورد قابجى باشا بالسكة وابطال سكة الذهب الفندقلى ، وضرب الزر محبوب كامل وصرفه مائة نصف فضة وعشرة أنصاف ، وكذلك سكة النصف محبوب وصرفه خمسة وخمسون ، وزاد فى الفندقلى الموجود بأيدى الناس اثنى عشر نصف فضة فصار يصرف بمائة نصف وستة وأربعين نصفا . وحضر مرسوم أيضا بتعيين صنجق للوجه القبلى بتحرير النصارى واليهود وما عليهم من الجزية فى كل بلد العال (١) : أربعمائة نصف وعشرين نصفا ، والوسط : مائتين وسبعين ، والدون (٢) مائة ، فتشاوروا فيمن ينزل بصحبة الأغا والكاتب من الأمراء الصناجق لتحرير بلاد قبلى . فقال حسين بيك الخشاب : « أنا مسافر بمنصب جرجا وينزل بصحبتى الأغا المعين ، وانظروا من يذهب الى بحرى » . فقال محمد بك قطامش « كل أقليم يتقيد بتحريره الكاشف المتولى عليه ومعه الأغا والكاتب » . فاتفق الرأى على ذلك .

سنة ١١٤٧ هجرية

شعبان

(يناير ١٧٣٥ م) :

عمل اسماعيل بيك بن محمد بيك الدالى مهما لزواج ولده ، ودعا عثمان باشا الى منزله الذى ببركة الفيل . وعندما حضر الباشا واستقر به الجلوس وضع بين يديه منديلا فيه ألف دينار برسم تفرقة البقاشيش على الخدم وأرباب الملاعيب ، وقدم له تقادم : خيول وهدايا وجواد .

رمضان

(فبراير ١٧٣٥ م) :

فى أوائله ظهر بالجامع الأزهر رجل تكرورى وادعى النبوة ، فأحضروه بين يدى الشيخ أحمد العماوى (١) ، فسأله عن حاله . فأخبره أنه كان فى شربين فنزل عليه جبريل وعرج به الى السماء ليلة سبع وعشرين رجب ، وأنه صلى بالملائكة ركعتين ، وأذن له جبريل . ولما فرغ من الصلاة أعطاه جبريل ورقة وقال له : أنت نبى مرسل ، فانزل وبلغ الرسالة وأظهر المعجزات . فلما سمع الشيخ كلامه قال له : « أنت مجنون » . فقال : « لست بمجنون وانما أنا نبى مرسل » . فأمر بضربه فضربوه وأخرجوه من الجامع ، ثم سمع به عثمان كتخدا فأحضره وسأله ، فقال مثل ما قاله للشيخ العماوى ، فأرسله الى المارستان . فاجتمع عليه الناس والعامة رجالا ونساء ، ثم أنهم أخفوه عن أعين الناس . ثم طلبه الباشا فسأله فأجابه بمثل كلامه الأول ، فأمر بحبسه فى العرقانة ثلاثة أيام .

ثم جمع العلماء وسألوه فلم يتحول عن كلامه ، فأمروه بالتوبة فامتنع وأصر على ما هو عليه فأمر الباشا بقتله فقتلوه بحوش الديوان وهو يقول « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » . ثم أنزلوه وألقوه بالرميلة ثلاثة أيام .

ذوالحجة

٢٤ منه (١٧ مايو ١٧٣٥ م) :

أشيع فى الناس بمصر بأن القيامة قائمة يوم

(١) لفظ عامى معناه « الجيد »

(٢) لفظ عامى معناه « الردىء »

(١) الامام العالم استاذ المحققين ، مالكى . كان فقيها محدثا نحويا منطقيا ، توفى فى ٧ جمادى الاولى ١١٥٥ هـ (١٠ يوليو ١٧٤٢ م) .

الجمعة سادس عشرين الحجة (١٩ مايو ١٧٣٥ م) وفشا هذا الكلام فى الناس قاطبة حتى فى القرى والأرياف ، وودع الناس بعضهم بعضا ، ويقول الانسان لرفيقه : « بقى من عمرنا يومان » . وخرج الكثير من الناس والمخاليع (١) الى الغيطان والمتنزهات ، ويقول لبعضهم البعض : دعونا نعمل حظا ونودع الدنيا قبل أن تقوم القيامة .

وطلع أهل الجيزة نساء ورجالا ، وصاروا يغتسلون فى البحر . ومن الناس من علاه الحزن وداخله الوهم ، ومنهم من صار يتوب من ذنوبه ويدعو ويبتهل ويصلى ، واعتقدوا ذلك ووقع صدقه فى نفوسهم ، ومن قال لهم خلاف ذلك ، أو قال : هذا كذب ، لا يلتفتون لقوله ، ويقولون هذا صحيح ! وقاله فلان اليهودى وفلان القبطى ، وهما يعرفان فى الجفور والزايرجات ولا يكذبان فى شىء يقولانه .

وقد أخبر فلان منهم على خروج الريح الذى خرج فى يوم كذا ، وفلان ذهب الى الأمير الفلانى وأخبره بذلك وقال له : احبسنى الى يوم الجمعة وان لم تقم القيامة فاقتلنى .. ونحو ذلك من وساوسهم . وكثر فيهم الهرج والمرج الى يوم الجمعة المعين المذكور فلم يقع شىء . ومضى يوم الجمعة ، وأصبح يوم السبت فانتقلوا يقولون : فلان العالم قال ان سيدى أحمد البدوى والدسوقى والشافعى تشفعوا فى ذلك وقبل الله شفاعتهم ، فيقول الآخر : اللهم انفعنا بهم فاننا يا أخى لم نشبع من الدنيا وشارعون لعمل حظ ، ونحو ذلك من الهذيانات .

سنه ١١٤٨ هجرية

(٢٤ مايو ١٧٣٥ ـــ ١١ مايو ١٧٣٦)

فيها عزل عثمان باشا بعد أن أقام فى ولاية مصر سنة واحدة وخمسة أشهر وتولى بعده باكير باشا وهى ولايته الثانية .

شوال

فى ٢٤ منه (٢٧ مارس ١٧٣٦ م) :

قدم باكير باشا من جدة الى السويس من القلزم ، لأنه كان واليا عليها بعد انفصاله من مصر . ولما ركب بالموكب كان خلفه من أتباعه نحو الثلاثين خيالا ملبسة بالزروخ المذهبة ، وله من الأولاد خمسة ركبوا أمامه فى الموكب ، وصرخت العامة فى وجهه من جهة فساد المعاملة ، وهى الاخشا والمرادى والمقصوص والفندقلى ... فان الاخشا صار بستة عشر جديدا ، والمرادى باثنى عشر ، والمقصوص بثمانية جدد . وصار صرف الفندقلى بثلثمائة نصف ، والجنزرلى بمائتين ، وغلت بسبب ذلك الأسعار ، وصار الذى كان بالمقصوص بالديوانى .. فلم يلتفت الباشا لذلك .

ذو القعدة

(مارس ـــ ابريل ١٧٣٦) .

ورد أغا وعلى يده مرسوم بطلب سفر ثلاثة آلاف عسكرى لمحافظة بغداد وأن يكون العسكر من أصحاب العتامنة ، ولا يرسلوا عسكرا من فلاحى القليوبية والجيزة والبحيرة وشرق أطفيح والمنصورة . فقلدوا أمير السفر مصطفى بيك أباظه حاكم جرجا سابقا ، وسافر حسن بك الدالى بالخزينة وارتحل من العادلية فى منتصف الحجة ، وكان خروجه بالموكب فى أوائل رجب .

ذو الحجة

فى يوم الخميس ٥ منه (١٧ ابريل ١٧٣٦ م) :

ركب مصطفى بيك بموكب السفر وسافر فى المحرم .

(١) الرقعاء .

في ١٠ منه (٢٢ ابريل ١٧٣٦ م):

فيه: يوم الأضحية، قبل أذان العصر، خرجت ريح سوداء غربية أظلمت منها الدنيا وحجبت نور الشمس، فغرق منها مراكب، وسقطت أشجار — ومن جملتها شجرة جميز عظيمة بناحية الشيخ قمر — وهدمت دور قديمة، وشجرة اللبخة بديوان مصر القديمة. ثم أعقبها بعد العشاء مطر عظيم ووصل أيوب بيك أمير سفر العجم، وطلع الى الديوان وألبسه الباشا قفطان القدوم والسدادرة وأصحاب الدركات. وكانت مدة غيابه سنتين وثلاثة أشهر.

وفي أيامه: ورد آغا وعلى يده مراسيم وأوامر: منها ابطال مرتبات أولاد وعيال، ومنها ابطال التوجيهات وأن المال يقبض الى الديوان ويصرف من الديوان، وأن الدفاتر تبقى بالديوان ولا تنزل بها الافندية الى بيوتهم فلما قرىء ذلك قال القاضي. «أمر السلطان لا يخالف ويجب اطاعته». فقال الشيخ سليمان المنصوري: «ياشيخ الاسلام: هذه المرتبات فعل نائب السلطان، وفعل النائب كفعل السلطان، وهذا شيء جرت به العادة في مدة الملوك المتقدمين، وتداولته الناس وصار يباع ويشرى، ورتبوه على خيرات ومساجد وأسبلة، ولا يجوز ابطال ذلك، واذا بطل بطلت الخيرات، وتعطلت الشعائر المرصد لها ذلك، فلا يجوز لأحد يؤمن بالله ورسوله أن يبطل ذلك، وان أمر ولي الأمر بابطاله لا يسلم له ويخالف آمره، لأن ذلك مخالفة للشرع، ولا يسلم للامام في فعل ما يخالف الشرع ولا لنائبه أيضا». فسكت القاضي، فقال الباشا: «هذا يحتاج الى المراجعة». ثم قال الشيخ سليمان: «وأما التوجيهات ففيها تنظيم وصلاح وأمر في محله»، وانفض الديوان على ذلك.

ووقع الطاعون المسمى بطاعون كو، ويسمى أيضا الفصل العائق يأخذ على الرائق، ومات به كثير من الأعيان وغيرهم بحيث مات من بيت عثمان كتخدا القازدغلي فقط مائة وعشرون نفسا، وصارت الناس تدفن الموتى بالليل في المشاعل

ووقع في أيامه الفتنة التي قتل فيها عدة من الأمراء وسببها: أن صالح كاشف زوج هانم بنت ايواظ بيك كان ملتجئا الى عثمان بيك ذي الفقار، وتزوج بنت ايواظ بيك بعد يوسف بيك الخائن — وكان من القاسمية — فحرضته على طلب الامارة والصنجقية، وتأخذ له فائظ عشرين كيسا، وكلم عثمان بيك في شأن ذلك فوعده ببلوغ مراده، وخاطب محمد بيك قيطاس المعروف بقطامش — وهو اذ ذاك كبير القوم في ذلك — فلم يجبه، وقال له: تريد أن تفتح بيتا للقاسمية فيقتلونا على غفلة .. هذا لا يكون أبدا ما دمت حيا. وكان عثمان بيك المذكور آخذ كشوفية المنصورة فأنزل فيها صالح كاشف قائمقام. فلما كمل السنة ورجع، تحركت الهمة الى طلب الصنجقية، وعاود عثمان بيك في الخطاب، وهو كذلك تكلم مع محمد بيك فصمم على الامتناع فوقع على الأغوات والاختيارية فلم يجب ولم يرض، ووافقه على الامتناع على بيك تابع المذكور وخليل افندي. فذهب صالح كاشف الى عثمان كتخدا القازدغلي (١) واتفق معه على قتل الثلاثة، وقال له: اعمل تدبيرا في قتلهم. فذهب الى رضوان بيك أمير الحج سابقا وسليمان بيك الفراش، فاتفق معهما على قتل الثلاثة في بيت محمد بيك الدفتردار باطلاع باكير باشا. وعرفوا محمد بيك بذلك فرضي وكتب فرمانا بالجمعية في بيت الدفتردار بسبب الحلوان والخزينة ... فركبوا بعد العصر الى بيت

(١) تابع حسن جاويش القازدغلي، والد عبد الرحمن كتخدا صاحب العماير. اشتهر ذكره ونما صيته. وعمر الجامع المعروف به بالازبكية، وبنى زاوية العميان بالأزهر.

محمدبيكقطامش ، وركبوا معه الى بيت الدفتردار، وصحبتهم على بيك وصالح بيك وخليل افندى وأغات الجملية وعلى صالح جربجى واختيار من الأسباهية ويوسف كتخدا البركاوى ، وحضر عثمان بيك ذو الفقار وعثمان كتخدا القازدغلى وأحمد كتخدا الخربوطلى وكتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة وعلى جلبى الترجمان . فلما تكاملت الجمعية أمر محمد بيك قطامش بكتابة عرضحال ، وقال للكاتب : اكتب كذا وكذا ، فطلع الى خارج — وصحبته كتخدا الجاويشية ومتفرقة باشا — وجلس يكتب فى العرض وقد قرب الغروب ، فأرادوا الانصراف فوقف الدفتردار وقال : « هاتوا شربات » وكان ذلك القول هو الاشارة مع صالح كاشف وعثمان كاشف مملوك سليمان بيك ، ففتحوا باب الخزانةوخرج منها جماعة بطرابيش وهم شاهروالسلاح . فوقفمحمد بيك قطامشعلىأقدامه وقال : « هى خونة » فضربه الضارب بالقرابينة فى صدره ، ووقع الضرب ، وهاج المجلس فى دخنة البارود وظلام الوقت .. فلم يعلم القاتل من المقتول. وعندما سمع كتخدا الجاويشية أول ضربة ، وهو جالس مع الأفندى الكاتب ، نزل مسرعا وركب ، وعلى الترجمان ألقى بنفسه من شباك الجنينة وعثمان بيك ذو الفقار أصابه سيف فقطع شاشه وقاووقه ، ودفعه صالح كاشف فنجا بنفسه الى أسفل ، وركب حصان بعض الطوائف وخرج من باب البركة . وأصيب باش اختيارمستحفظان البرلى بجراحة قوية ، فأرسلوه الى منزله ومات بعد ثلاثة أيام .

ثم أوقدوا الشموع وتفقدوا المقتولين ، واذا هم محمد بيك قطامش ، وعلى بيك تابعه وصالح بيك ، وعثمان بيك كتخدا القازدغلى واحمد كتخدا الخربطلى (١) ويوسف كتخدا البركاوى(٢)وخليل أفندى ، وأغات الجملية وعلى صالح جربجى والأسباهى تتمة عشرة ، وباش اختيار الذى مات بعد ذلك فى بيته .. فعروا المقتولين من ثيابهم وقطعوا رءوسهم ، وأتوا بهم جامع السلطان حسن فوجدوه مغلوقا فأحرقوا ضرفة الباب الذى جهة سوق السلاح ووضعوا الرءوس العشرة على البسطة ، ووضعوا عند كل رأس شيئا من التبن ، وظنوا أنهم غالبون . وطلع صالح كاشف الى الباشا من باب الميدان فخلع عليه الصنجقية ، فطلب منه دراهم يفرقها فى العسكر المجتمعين اليه فقال له : « انزل لأشغالك وأنا أرسل اليك ما تطلب » . فنزل الى السلطان حسن فوجد محمد كتخدا الداودية حضر بأتباعه وجماعته هناك يظن أنهم غالبون . وعندما بلغ الخبر سليمان كتخدا الجلفى ركب فى جماعته بعد المغرب ، وطلع الى باب العزب وكان كتخدا الوقت اذ ذاك احمد كتخدا الشراق يوسف كتخدا البركاوى ، فطرق الباب . فقال التفكجية : « من هذا ؟ » فعرفهم عن نفسه . فقال الكتخدا : « قولوا له أنت توليت الكتخدائية وتعرف القانون ، وان الباب لا يفتح بعد الغروب ، فان كان له حاجة يأتى فى الصباح » .

وأما عثمان بيك فانه لما خرج من باب البركة وشاشه مقطوع لم يزل سائرا الى باب الينكجرية فوجده ملآن جاويشية وواجب رعايا ونفر . وطلع عندهم عمر جلبى بن على بيك قطامش فأخذه حسن جاويش النجدلى ، ومعه طائفة ، وطلع بهالى الباشا — بعد نزول صالح كاشف — فخلع عليه صنجقية أبيه ، وأعطاه فرمانا بالخروج من حق الذين قتلوا الأمراء وحرقوا باب المسجد ونزل .

(١) هو الذى عمر الجامع المعروف بالفاكهانى بعطفة خوشقدم بخط العقادين .

(٢) كان أصله جربجيا بباب العزب .

فرد على كتخدا الوقت وصحبته حسن جاويش النجدلى ومعهم بيرق وأنفار وواجب رعايا من المحجر خلف جامع المحمودية وبيت الحصرى وزاوية الرفاعى .

سنة ١١٤٩ هجرية

فى هذه السنة عزل باكير باشا وتولى مكانه مصطفى باشا .

رجب

الجمعة ٥ منه (٩ نوفمبر ١٧٣٦ م) :

ليلة مولد الرفاعى : عملوا متريز على باب الدرب قبالة باب السلطان حسن ، وضربوا عليهم بالرصاص ، وكذلك من باب العزب وبيت الأغا وكان أغات العزب عبد اللطيف أفندى وروزنامجى مصر سابقا . وأما صالح بيك فانه انتظر وعد الباشا فلم يرسل له شيئا ، فأخذ رضوان بيك وعثمان كاشف ومملوك سليمان بيك واختفوا فى خان الخليلى ، واختفى أيضا محمد بيك اسماعيل . ومحمد كتخدا الداودية ندم على مافعل ، فركب بجماعته وذهب الى بيت مصطفى بيك الدمياطى فوجده مقفولا فطرق الباب فلم يجبه أحد . فذهب الى بيت ابراهيم بيك بلفيه ودخل هناك .

ولما بطل الرمى من السلطان حسن هجم حسن جاويش فلم يجد به أحدا . ولما طلع النهار ذهبوا الى بيت الدفتردار فنهبوه ، ونهبوا أيضا بيت رضوان بيك ، وذهبوا الى سليمان بيك فقتلوه وقطعوا رأسه ، ونهبوا البيت وأتوا الى الباب .

ثم أن السبعة وجاقات اجتمعوا فى بيت على كتخدا الجلفى وقالوا له : « أنت بيت سر يوسف كتخدا البركاوى ، ولا يفعل شيئا الا باطلاعك ، وعندك خبر بقتل امرائنا وأعياننا والشاهد على ذلك مجىء خشداشك سليمان كتخدا بعد المغرب بطائفته يملك باب العزب » . فحلف بالله العظيم لم يكن عنده خبر بشىء من ذلك ، ولا بمجىء سليمان كتخدا الى الباب . ولكن أى شىء جاء بمحمد كتخدا الداودية الى السلطان حسن .

ثم انهم أنزلوا باكير باشا وعزلوه وطيبوا عليه حلوان بلاد المقتولين ، وكتبوا عرض محضر وسفروه صحبة سبعة أنفار فحضر مصطفى أغا أمير اخور كبير ومعه مرسوم من الدولة بضبط متروكات المقتولين فمكث بمصر شهرين .

ثم ورد أمر بولايته على مصر وتوجيه باكير باشا الى جدة .

سنة ١١٥٢ هجرية

(١٠ ابريل ١٧٣٩ — ٢٨ مارس ١٧٤٠)

أقام مصطفى باشا واليا بمصر الى هذه السنة .

تولى بعده سليمان باشا الشامى الشهير بابن العظم . ولما استقر فى ولاية مصر أراد ايقاع فتنة بين الأمراء . فضم اليه عمر بيك بن على بيك قطامش . فأرسل اليه من يأمنه على سره . واتفق معه على قتل عثمان بيك ذى الفقار وابراهيم بيك قطامش وعبد الله كتخدا القازدغلى وعلى كتخدا الجلفى ، وهم اذ ذاك أصحاب الرياسة بمصر . ووعده نظير ذلك امارة مصر والحج ، وأن يعطيه من بلادهم فائظ عشرين كيسا . فجمع عمر بيك خليل أغا وأحمد كتخدا عزبان وابراهيم جاويش قازدغلى ، واختلى بهم وعرفهم بالمقصود ، وتكفل أحمد كتخدا بقتل على كتخدا وخليل أغا بعثمان بيك وابراهيم جاويش بعبد الله كتخدا ، واذا انفرد ابراهيم بيك أخذوه بعد ذلك بحيلة وقتلوه فى الديوان .

ثم ان أحمد كتخدا أغرى بعلى كتخدا لاظ

ابراهيم فقتل على كتخدا عند بيت أقبرى وهو طالع الى الديوان . وبلغ الخبر عثمان بيك ، فتدارك الأمر ، وفحص عن القضية حتى انكشف له سرها وعمل شغله وقتل أحمد كتخدا . وعندما قتل على كتخدا ظن الباشا تمام المقصد ، فأراد أن يملك باب الينكجرية بحيلة ، وأرسل مائتى تفكجى ومعهم مطرجى وجوخدار — وهم مستعدون بالأسلحة — فمنعهم التفنجكية من العبور . وطلب الكتخدا شخصين من أعيانهم يسألهما عن مرادهم، فقالا : أن الباشا « مقصر فى حقنا ولم يعطنا علائفنا» فأرسل معهم باش جاويش بالسلام على الباشا من الاختيارية والوصية بهم . فقبل ذلك ولم يتمكن من مراده .

ثم ان حسين بيك الخشاب طلع الى باب العزب ، وتحيل فى نزول أحمد كتخدا من الباب وملك هو الباب . واجتمعوا بعد ذلك وأمروا الباشا بالنزول الى قصر يوسف ، فركب وأراد أن يدخل الى باب الينكجريةفرفعوا عليه البنادقفدخل الى قصر يوسف فوجده خرابا . فأخذ حسن جاويش النجدلى خاطر الينكجرية على نزوله ببيت الأغا .

وانتقل الأغا الى السرجى فأقام الباشا الى أن نزل ببيت البيرقدار وسافر بعد ذلك .

سنة ١١٥٣ هجرية

جمادى الأولى

(يوليو — اغسطس ١٧٤٠ م) :

كانت ولاية سليمان باشا على مصر الى شهر جمادى الأولى من هذه السنة .

ثم تولى بعده الوزير على باشا حكيم أوغلى — وهى توليته الأولى بمصر — فدخل مصر فى جمادى الأولى . ومكث الى عاشر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين ومائة وألف (٢٤ يولية ١٧٤١ م) .

سنة ١١٥٤ هجرية

جمادى الأولى

١٠ منه (٢٤ يوليو ١٧٤١ م) :

نزل سليمان باشا الى بيت البيرقدار ، وعمل على باشا أول ديوان بقرا ميدان بحضرة الجم الغفير ، وقرىء مرسوم الولاية بحضرة الجميع . ثم قال الباشا : « أنا لم آت الى مصر لأجل اثارة فتن بين الأمراء واغراء ناس على ناس ، وانما أتيت لأعطى كل ذى حق حقه . وحضرة السلطان أعطانى المقاطعات ، وأنا أنعمت بها عليكم فلا تتعبونى فى خلاص المال والغلال » . وأخذ عليهم حجة بذلك وانفض المجلس .

ثم انه سلم على الشيخ البكرى وقال له : « أنا بعد غد ضيفك » . ثم ركب وطلع الى السراية ، وأرسل الى الشيخ البكرى هدية وأغناما وسكرا وعسلا ومربيات . ونزل اليه فى الميعاد وأمر ببناء رصيف الجنينة التى فى بيتهم ، وكان له فيه اعتقاد عظيم لرؤيا منامية رآها فى بعض سفراته .

وكانت أيامه أمنا وأمانا ، والفتن ساكنة ، والأحوال مطمئنة .

ثم عزل ونزل الى قصر عثمان كتخدا القازدغلى بين بولاق وقصر العينى .

ثم تولى يحيى باشا ، ودخل الى مصر وطلع الى القلعة فى موكبه على العادة ، وطلع اليه على باشا وسلم عليه . ونزل هو الآخر وسلم على على باشا بالقصر . ودعاه عثمان بيك ذو الفقار وعمل له وليمة فى بيته . وقدم له تقادم كثيرة وهدايا . ولم يتفق نظير ذلك فيما تقدم أن الباشا نزل الى بيت أحد من الأمراء فى دعوة ، وانما كان الأمراء يعملون لهم الولائم بالقصور فى الخلاء مثل قصر العينى أو المقياس .

سنة ١١٥٦ هجرية

رجب

فى ٢٠ منه (٩ سبتمبر ١٧٤٣ م) :

أقام يحيى باشا فى ولاية مصر (١) الى آن عزل فى هذا التاريخ .

تولى بعده محمد باشا اليدكشى وحضر الى مصر وطلع الى القلعة .

وفى أيامه كتب فرمان بابطال شرب الدخان فى الشوارع وعلى الدكاكين وأبواب البيوت .

ونزل الأغا والوالى فنادوا بذلك . وشددوا فى الانكار والنكال بمن يفعل ذلك من عال أو دون وصار الاغا يشق البلد فى التبديل كل يوم ثلاث مرات ، وكل من رأى فى يده آلة الدخان عاقبه وربما أطعمه الحجر الذى يوضع فيه الدخان بالنار .

وفى أيامه أيضا قامت العسكر بطلب جراياتهم وعلائفهم من الشون ، ولم يكن بالشون أردب واحد . فكتب الباشا فرمانا بعمل جمعية فى بيت على بيك الدمياطى الدفتردار ، لينظروا الغلال فى ذمة أى من كان يخلصونها منه . فلما كانوا فى ثانى يوم اجتمعوا ، وحضر الروزنامجى وكاتب الغلال والقلقات وأخبروا أن بذمة ابراهيم بيك قطامش أربعين ألف أردب . والمذكور لم يكن فى الجمعية وانتظروه فلم يأت ، فأرسلوا له كتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة ، فامتنع من الحضور فى الجمهور . وقال : « الذى له عندى حاجة يأتى الى عندى » ، فرجعوا وأخبروهم بما قال . فقال العسكر : « نذهب اليه ونهدم بيته على دماغه » فقام وكيل دار السعادة وأخذ معه من كل بلك اثنين اختيارية وذهبوا الى ابراهيم بيك قطامش . فقال له الوكيل : « أى شىء هذا الكلام ؟ » والعسكر قائمة على اختياريتها . قال : « والمراد أى شىء وليس عندى غلال ؟ » قال له الوكيل : « نجعلها مثمنة بقدر معلوم » فثمنوا القمح بستين نصف فضة الأردب والشعير بأربعين . فقال ابراهيم بيك : « يصبروا حتى يأتينى شىء من البلاد » . قال الوكيل : « العسكر لا يصبروا ويحصل من ذلك أمر كبير » . فجمعوا مبلغ اليكون فبلغ ثمانين كيسا . فرهن عند الوكيل بلدين لأجل معلوم ، وكتب بذلك تمسك وأخذ التقاسيط ، ورجع الوكيل الى محل الجمعية ، وأحضر مبلغ الدراهم .. وكل من كان عليه غلال أورد بذلك السعر . وهذه كانت أول بدعة ظهرت فى تثمين غلال الأنبار للمستحقين .

فى ٢١ منه (١٠ سبتمبر ١٧٤٣ م) :

الثلاثاء : حصلت فتنة بين عثمان بيك شيخ البلد والبكوات انتهت بفرار عثمان بيك الى سوريا ومنها الى الآستانة فولى بروحه حتى توفاه الله وقد أحرقت الأهالى بيت عثمان بيك واقتسموا أمواله وتركته بمصر . وبعد مقتلة عظيمة بين البكوات تولى ابراهيم كخيا مشيخة البلد ، وسمى رضوان بيك أميرا للحج (١) .

سنة ١١٥٨ هجرية

(٣ فبراير ١٧٤٥ — ٢٣ يناير ١٧٤٦)

استمر محمد باشا فى ولاية مصر حتى عزل فى هذه السنة . ووصل مسلم محمد باشا راغب .

وتقلد ابراهيم بيك بلفيه قائمقام . وخلع عليه محمد باشا القفطان ، وعلى محمد بيك أمين السماط . ثم ورد الساعى من اسكندرية فأخبر بورود حضرة محمد باشا راغب الى ثغر الاسكندرية . فنزل أرباب العكاكيز لملاقاته ، وحضروا صحبته

(١) حكم يحيى باشا مصر لمدة سنتين .

(١) نقلنا أخبار هذا اليوم من « التوفيقات الالهامية » .

الى مصر • وطلع الى القلعة ، وحصل بينـه وبين حسين بيك الخشاب محبة ومودة ، وحلف له أنه لايخونه • ثم أسر اليـه أن حضرة السلطان يريد قطع بيت القطامشة والدمايطة • فأجاب الى ذلك ، واختلى بابراهيم جاويش وعرفه بذلك • فقال له الجاويش : « عنـدك توابع عثمـان بيك قرقاش وذو الفقار كاشف ، وهم يقتلون خليل بيك وعلى بيك الدمياطى فى الديوان » • فقال له : « يحتاج يكون صحبتهم أناس من طرفك ، والا فليس لهم جسارة على ذلك » فقال له : « أنا أتكلم مع عثمان آغا أبى يوسف يطلب شرهم لأنه من طرفى » .

فلما كان يوم الديوان ، وطلع حسين بيك الخشاب وقرقاش وذو الفقار وجمـاعته ، وطلع على بيك الدمياطى وصحبته محمد بيك ، وطلع فى أثرهم خليل بيك أمير الحج وعمر بيك بلاط ، فجلسوا بجانب المحاسبة ، فحضر عثمان أغا أغات المتفرقة عند خليل بيك ، فقال له : « لماذا لم تدخل عند الباشا ؟ » . فقال له : « قد تركناه لك » • فقال : « كأنى لم أعجبك » • واتسـع بينهمـا الكلام ، فسحب أبو يوسف النمشـة وضرب خليـل بيك • واذا بالجماعة كذلك أسرعوا وضربوا عمر بيك بلاط فقتلوه ، ودخلوا برأسيهما الى الباشا • فقام على بيك الدمياطى ومحمد بيك ونزلا ماشيين ودخلا الى نوبة الجاويشية • فأرسـل الباشا للاختيارية يقول لهم : « انهمـا مطلوبان للدولة وأخـذهما وقطع رأسيهما أيضا » • وكتبـوا فـرمانا الى الصناجق والأغوات واختيارية السـبعة وجاقات بأن ينزلوا بالبيارق والمدافع الى ابراهيم بيك وعمر بيك وسليمان بيك الألفى . وكان سليمان بيـك دهشور مسافرا بالخزينة فنزلت البيارق والمدافع ، فضربوا أول مدفع عند قنطرة سنقر • فحمل الثلاثة أحمالهم وخرجوا بهجنهم وعازقهم الى جهة قبلى ،

ودخل العساكر الى بيت ابراهيم بيـك فنهبوه ، وكذلك بيت خليـل بيك ، وذهبوا الى بيت على بيك فوجدوا فيه صنجقا من الصناجق ملـكه بما فيه ، ولم يتعرضوا ليوسف بيك ناظـر الجـامع الأزهر ، ورفعوا صنجقية محمد بيك صنجق ستة . وماتت ستة أيضا وذهب الى طندتا وعمـل فقـيرا بضريح سيدى أحمد البدوى •

ولما رجع سليمان بيك دهشور من الروم . رفعوا صنجقيتـه ، وأمروه بالاقامة برشـيد : وقلدوا عثمان كاشف صنجقيـة ، وكذلك كجك أحمـد كاشف ، وقلدوا محمد بيك أباظة اشراق حسين بيك الخشاب دفتردارية مصر • وانقضت تلك الفتنة .

ثم ان الباشـا قال لحسـين بيك الخشاب : « مرادى ان نعمل تدبيرا فى قتل ابراهيم جاويش قازدغلى ورضوان كتخـدا الجلفى ، وتصير أنت مقدام مصر وعظيمها » • فاتفق معـه على ذلك ، وجمع عنده على بيك جرجا وسليمان بيك — مملوك عثمان بيك ذى الفقـار — وقرقاش وذا الفقـار كاشف .. ودار القال والقيل ، وسـعى المنافقون ، وعلم ابراهيم جاويش ورضوان كتخـدا مايراد بهما ، فحضر ابراهيم جاويش عند رضوان كتخدا ، وامتـلأ باب الينكرجية وباب العزب بالعسـكر والأودة باشية .

واجتمعت الصناجق والأغوات السبعة فى سبيل المؤمنين ، والاسباهية بالرميلة ، وأرسلوا يطلبون فرمانا من الباشا بالركوب على بيت حسـين بيك الخشـاب الذى جمع عنـده المفاسيد أعداءنا ، وقصده قطعنا •

فلما طلع كتخـدا الجاويشـية ومتفرقة باشا الى راغب باشـا وطلبوا منـه فـرمانا بذلك • فقال الباشا : « رجل نفذ أمر مولانا السلطان ، وخاطر بنفسه ، ولم ينكسر عليه مال ولا غلال . كيف أعطيكم فرمانا بقتله ؟ الصلح أحسـن

من يكون ؟ فرجعوا وردوا عليهم بجواب الباشا ، فأرسلوا له من كل بلك اثنين اختيارية يتعرضحل فان أبى فقولوا له « ينزل ويولى قائمقام ونحن نعرف خلاصنا مع بعضنا » فنزل بكامل أتباعه من قراميدان لما صار فى الرميلة ، فأراد أن ينزل على شيحون الى بيت حسين بيك الخشاب يكن معه فيه واذا بالعزب المرابطين فى السلطان حسن ضربوه بالنار ، فقتل أغا من أغواته

فتحول على بيت آفردى الى بيت ذى عرجان تجاه المظفر . فأرسلوا له ابراهيم بيك بلفية — صحبة كتخدا الجاوشية — خلع عليه قفطان القائمقامية ورجع الى بيته ، وأخذوا منه فرمانا بجر المدافع والبارق من ناحية الصليبة وسارت الصناجق تتقدمهم عمر بيك أمير الحاج ومحمد بيك الدالى وابراهيم بيك بلفيه ويوسف بيك قطامش وحمزه بك وعثمان بك أبو سيف وأحمد بيك كحك محمد واسماعل بيك جلفى وعثمان بيك وأحمد بيك قازدغلة ورضوان بيك خازندار عثمان كتخدا قاردغلى كان ، واحتاطوا ببيت حسين بيك الخشاب ومحمدبيك أباظه من الأربع جهات .

فحارب بالبندق من الصبح الى الظهر حتى وزع مايعز عليه . وحمل أثقاله وطلع من باب السر على زين العباد وذهب الى جهة الصعيد فدخل العسكر الى بيته فلم يجدوا فيه شيئا ولا الحريم

سنه ١١٦١ هجرية

(٢ يناير ١٧٤٨ — ٢١ ديسمبر ١٧٤٨)

فى آخر هذه السنة(١)هرب ابراهيم بيك قيطاس الى الصعيد . وعمر بيك بن على بيك وصحبته طائفة من الصناجق هربوا الى أرض الحجاز .

كانت مدة محمد باشا راغب فى ولاية مصر سنتين ونصفا

ثم سافر الى الديار الرومية وتولى الصدارة ، وكان انسانا عظيما عالما محققا ، وكان أصله رئيس الكتاب

سنة ١١٦٢ هجرية

المحرم

غرته (٢٢ ديسمبر ١٧٤٨ م) :

وصل أحمد باشا — المعروف بكور وزير — فطلع الى ثغر الاسكندرية ، ووصلت السعاة ببشائر قدومه ، فنزلت اليه الملاقاة وأرباب العكاكيز وأصحاب الخدم ، مثل كتخدا الجاويشية ، وآغات المتفرقة ، والترجمان ، وكاتب الحوالة وغيرهم .

واجتمع فى رشيد براغب باشا ، وسافر فى المركب التى حضر فيها أحمد باشا .

وحضر الى مصر ، وطلع بالموكب المعتاد الى القلعه ، وضربوا له المدافع والشنك من أبراج الينكجرية ، وعمل الديوان ، وخلع الخلع على الأمراء والأعيان والمشايخ

وخلصت رياسة مصر وامارتها الى ابراهيم جاويش ورضوان كتخدا ، وقلد ابراهيم جاويش مملوكه على أغا — وهو الذى عرف بالغزاوى — صنجقا ، وكذلك حسين أغا — وهو الذى عرف بكشكش (١) — وكذلك قلد رضوان كتخدا أحمد أغا خازنداره صنجقا ، فصار لكل واحد منهما ثلاثة صناجق : وهم عثمان وعلى وحسين

(١) فى هذه السنة قامت فتنة بين الدمايطة ورئيسهم على بيك الدمياطى وبين القطامشة ورئيسهم ابراهيم بيك قطامش ، وبعد حروب انتصرت الدمايطة على اخصامهم .

(التوفيقات الالهامية)

(١) كان ذائع الصيت واسع الحيلة . سافر أميرا للحج اربع مرات دون ان يؤدى عوائد العربان .

الابراهيمية ، واسماعيل وأحمد ومحمدالرضوانية ، ثم ان ابراهيم جاوبش عمل كتخدا الوقت ثلاثة أشهر وانفصل عنها .

وحضر عبد الرحمن كتخدا القازدغلى من الحجاز وعمل كتخدا الوقت بباب مستحفظان سنتين . وشرع فى عمل الخيرات وبناء المساجد وأبطل الخمامير .

أقام فى ولاية مصر الى عاشر شوال سنة ثلاث وستين ومائة وألف (١٢ سبتمبر ١٧٥٠ م) . وكان من أرباب الفضائل وله رغبة فى العلوم الرياضية .

ولما وصل الى مصر استقر بالقلعة ، وقابله صدور العلماء فى ذلك الوقت ، وهم : الشيخ عبد الله الشبراوى — شيخ الجامع الأزهر — والشيخ سالم النفراوى ، والشيخ سليمان المنصورى ••• فتكلم معهم وناقشهم وباحثهم ، ثم تكلم معهم فى الرياضيات فأحجموا وقالوا : لا نعرف هذه العلوم ! فتعجب وسكت •••

••• ودخل الشيخ الشبراوى عند الباشا يحادثه ، فقال له الباشا : المسموع عندنا بالديار الرومية أن مصر منبع الفضائل والعلوم ، وكنت فى غاية الشوق الى المجىء اليها • فلما جئتها وجدتها كما قيل «تسمع بالمعيدى خير من أن تراه !»

فقال الشيخ : هى ، يا مولانا ، كما سمعتم : معدن العلوم والمعارف •

فقال : وأين هى ••• وأنتم أعظم علمائها ؟ وقد سألتكم عن مطلوبى من العلوم ، فلم أجد عندكم منها شيئا . وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول والوسائل : ونبذتم المقاصد .

فقال له الشيخ : نحن لسنا أعظم علمائها ، وانما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند أرباب الدولة والحكام • وغالب أهل الأزهر لايشتغلون بشىء من العلوم الرياضية الا بقدر الحاجة الموصلة الى علم الفرائض والمواريث ، كعلم الحساب والغبار .

فقال له (الباشا) : وعلم الوقت كذلك من العلوم الشرعية ، بل هو من شروط صحة العبادة . كالعلم بدخول الوقت ، واستقبال القبلة ، وأوقات الصوم ، والأهلة ، وغير ذلك .

فقال (الشيخ) : نعم • معرفة ذلك من فروض الكفاية ••• اذا قام به البعض ، سقط عن الباقين • وهذه العلوم تحتاج الى لوازم وشروط وآلات وصناعات وأمور ذوقية ، كرقة الطبيعة ، وحسن الوضع ، والخط والرسم والتشكيل ، والأمور العطاردية ! وأهل الأزهر بخلاف ذلك••• غالبهم فقراء وأخلاط مجتمعة من القرى والآفاق ، فيندر فيهم القابلية لذلك .

فقال (الباشا) : وأين البعض !

فقال (الشيخ) : موجودون فى بيوتهم ••• يسعى اليهم .

ثم أخبره عن الشيخ الوالد (أى الشيخ حسن الجبرتى والد المؤلف) ، وعرفه عنه ، وأطنب فى ذكره •

فقال : ألتمس منكم ارساله عندى .

فقال : يا مولانا ، انه عظيم القدر ، وليس هو تحت أمرى •••

فقال : وكيف الطريق الى حضوره ؟

قال : تكتبون له ارسالية مع بعض خواصكم ، فلا يسعه الامتناع .

ففعل ذلك ، وطلع اليه ، ولبى دعوته ، وسر برؤيته ، واغتبط به كثيرا . وكان يتردد اليه يومين فى الجمعة ، هما السبت والأربعاء . وأدرك منه مأموله بالبر والاكرام الزائد الكثير ، ولازم المطالعة عليه مدة ولايته . وكان يقول : لو لم أغنم من مصر الا اجتماعى بهذا الأستاذ .. لكفانى !

ومما اتفق له — لما طالع « ربع الدستور » وأتقنه — طالع بعد « وسيلة الطلاب ، فى استخراج الأعمال بالحساب » ، وهو مؤلف دقيق للعلامة المردينى . فكان الباشا يحتلى بنفسه ، ويستخرج منه ما يستخرجه بالطرق الحسابية ، ثم يستخرجه من « التجييب » ، فيجده مطابقا

فاتفق له عدم المطابقة فى مسألة من المسائل ، فاشتغل ذهنه وتحير فكره الى أن حضر اليه الأستاذ فى الميعاد ، فأطلعه على ذلك ، وعلى السبب فى عدم المطابقة ، فكشف له علة ذلك بديها .. فلما انجلى وجهها على مرآة عقله ، كاد يطير فرحا ، وحلف أن يقبل يده ، ثم أحضر له فروة من ملبوسه السمور ، باعها المرحوم بثمانمائة دينار ، ثم اشتغل عليه برسم المزاول والمنحرفات حتى أتقنها ، ورسم على اسمه عدة منحرفات ، على ألواح كبيرة من الرخام صناعة وحفرا بالازميل ، كتابة ورسما ، وعمل له تاريخا منظوما نقشه عليها ، وهو هذا :

مزولة متقنة نظيرها لا يوجد
راسمها حاسبها هذا الوزير الأمجد
تاريخها : أتقنها وزير مصر أحمد
٥٥٧ ٢٢٣ ٣٣٠ ٥٣
= ١١٦٣ هجرية (١)

ونصب واحدة من هذه المزاول بالجامع الأزهر فى ركن الصحن على يسار الداخل ، وأخرى بسطح جامع الامام الشافعى ، وأخرى بمشهد السادات الوفائية ، وغير ذلك

وكان المرحوم الشيخ عبد الله الشبراوى كلما تلاقى مع المرحوم الوالد نقول له : سترك الله كما سترتنا عند هذا الباشا . فانه لولا وجودك كنا جميعا عنده حمير !

رحم الله الجميع .

سنة ١١٦٨ هجرية

(١٨ اكتوبر ١٧٥٤ — ٦ اكتوبر ١٧٥٥)

فى هذه السنة أخذ أتباع ابراهيم كتخدا يدبرون فى اغتيال رضوان كتخدا ، وازالته ، وسعت فيهم عقارب الفتن .

فتنبه رضوان كتخدا لذلك ، فاتفق مع أغراضه وملك القلعة والأبواب والمحمودية وجامع السلطان حسن . واجتمع اليه جمع كثير من أمرائه وغيرهم ومن انضم اليهم ، وكاد يتم له الأمر . فسعى عبد الرحمن كتخدا والاختيارية فى اجراء الصلح ، وطلع بعضهم الى رضوان كتخدا ، وقالوا له : هؤلاء أولاد أخيك . وقد مات وتركهم فى كنفك مثل الأيتام ، وأنت أولى بهم من كل أحد ، وليس من المروءة والرأى أن تناظرهم أو تخاصمهم ، فانك صرت كبير القوم وهم فى قبضتك أى وقت . فلا تسمع كلام المنافقين .

فلم يزالوا به حتى انخدع لكلامهم وصدقهم واعتقد نصحهم ، لأنه كان سليم الصدر . ففرق الجمع ونزل الى بيته الذى بقوصون . فاغتنموا عند ذلك الفرصة ، وبيتوا أمرهم ليلا ، وملكوا القلعة والأبواب والجهات وهو فى غفلته ، آمن فى بيته ، مطمئن من قبلهم ، ولا يدرى ما خبىء له . . فلم يشعر الا وهم يضربون عليه بالمدافع ، وكان المزين يحلق له رأسه ، فسقطت على داره الجلل ، فأمر بالاستعداد ، وطلب من يركن اليهم ، فلم يجد أحدا ، ووجدهم قد أخذوا حوله الطرق والنواحى ، فحارب فيهم الى قريب الظهر

وخامر عليه أتباعه ، فضربه مملوكه صالح

(١) كان هذا النوع من التاريخ بالنظم مألوفا لدى أدباء ذلك العصر . وأساسه أن لحروف الابجدية فى حسابهم نظائر رقمية : فالألف تناظر واحدا ، وهكذا حتى الياء من حروف « أبجد هوز حطى » ، فتناظر الياء عشرة . والكاف تناظر عشرين ، وهكذا حتى القاف من حروف « كلمن سعفص ق » ، فتناظر القاف مائة . والراء تناظر مائتين ، وهكذا حتى الغين من حروف « رشت ثخذ ضظغ » ، فتناظر الغين ألفا .

الصغير برصاصة من خلف الباب الموصل لبيت الراحة فأصابته فى ساقه ، وهرب مملوكه الى الأخصام ، وكانوا وعدوه بامرية ان هو قتل سيده . فلما حضر اليهم وأخبرهم بما فعله ، أمر على بيك بقتله ، وقال : هذا خائن ، وليس فيه خير ! فشفعوا فيه ، وأمروا بنفيه .

ولما أصيب رضوان كتخدا طلب الخيول وركب فى خاصته ، وخرج من نقب نقبه فى ظهر البيت ، وتألم من الضربة لأنها كسرت عظم ساقه ، فسار الى جهة البساتين ، وهو لا يصدق بالنجاة . فلم يتبعه أحد ، ونهبوا داره . ثم ركب وسار الى جهة الصعيد ، فمات بشرق أولاد يحيى ، ودفن هناك ، فكانت مدته — بعد قسيمه — قريبا من ستة أشهر .

ولما مات تفرقت صناجقه ومماليكه فى البلاد ، وسافر بعضهم الى الحجاز من ناحية القصير ، ثم ذهبوا من الحجاز الى بغداد ، واستوطنوها ، وتناسلوا وماتوا ، وانقضت دولتهما فكانت مدتهما نحو سبع سنوات . . ومصر فى تلك المدة هادئة من الفتن والشرور ، والاقليم البحرى والقبلى أمن وأمان ، والأسعار رخية ، والأحوال مرضية ، واللحم الضانى المجروم من عظمه رطله بنصفين ، والجاموسى بنصف ، والسمن البقرى عشرته بأربعين نصف فضة ، واللبن الحليب عشرته بأربعة أنصاف ، والرطل الصابون بخمسة أنصاف ، والسكر المنعاد كذلك ، والمكرر قنطاره بألف نصف ، والعسل القطر قنطاره بمائة وعشرين نصفا وأقل ، والرطل البن القهوة باثنى عشر نصفا ، والتمر يجلب من الصعيد فى المراكب الكبار ويصب على ساحل بولاق مثل عرم الغلال ، ويباع بالكيل والأرادب . والأرز اردبه بأربعمائة نصف ، والعسل النحل قنطاره بخمسمائة نصف ، وشمع العسل رطله بخمسة وعشرين نصفا ، وشمع الدهن بأربعة أنصاف ، والفحم قنطاره بأربعين نصفا ، والبصل قنطاره بسبعة أنصاف . . وقس على ذلك .

وقد أدركت بقايا تلك الأيام ، وذلك أن مولدى كان فى سنة ١١٦٧ (١٧٥٣ — ١٧٥٤ ميلادية) . ولما صرت فى سن التمييز رأيت الأشياء على ما ذكر الا قليلا . وكنت أسمع الناس يقولون : الشىء الفلانى زاد سعره عما كان فى سنة كذا ، وذلك فى مبادى دولة ابراهيم كتخدا وحدوث الاختلال فى الأمور .

وكانت مصر اذ ذاك محاسنها باهرة ، وفضائلها ظاهرة ، ولأعدائها قاهرة . . يعيش رغدا بها الفقير ، وتتسع للجليل والحقير .

وكان لأهل مصر سنن وطرائق فى مكارم الأخلاق لا توجد فى غيرها . منها أن فى كل بيت من بيوت جميع الأعيان مطبخين : أحدهما أسفل رجالى ، والثانى فى الحريم . فيوضع فى بيوت الأعيان السماط فى وقتى العشاء والغداء مستطيلا فى المكان الخارج ، مبذولا للناس ، ويجلس بصدره أمير المجلس وحوله الضيفان ، ومن دونهم مماليكه وأتباعه . ويقف الفراشون فى وسطه يفرقون على الجالسين ، ويقربون اليهم ما بعد عنهم من القلايا والمحمرات . ولا يمنعون فى وقت الطعام من يريد الدخول أصلا ، ويرون أن ذلك من المعايب ، حتى أن بعض ذوى الحاجات عند الأمراء اذا حجبهم الخدام انتظروا وقت الطعام ودخلوا فلا يمنعهم الخدم فى ذلك الوقت . فيدخل صاحب الحاجة ، ويأكل ، وينال غرضه من مخاطبة الأمير لأنه اذا نظر على سماطه شخصا لم يكن رآه قبل ذلك ، ولم يذهب بعد الطعام ، عرف ان له حاجة فيطلبه ويسأله عن حاجته ، فيقضيها له . وان كان محتاجا واساه بشىء .

ولهم عادات وصدقات فى أيام المواسم ، مثل أيام أول رجب ، والمعراج ، ونصف شعبان ، وليالى

رمضان . والأعياد ، وعاشوراء ، والمولد الشريف ... يطبخون فيها الأرز باللبن والزردة ، ويملأون من ذلك قصاعا كثيرة ويفرقون منها على من يعرفونه من المحتاجين .

ولهم غير ذلك صدقات وصلات لمن يلوذ بهم ويعرفون منه الاحتياج ، وذلك خلاف ما يعمل ويفرق من الكعك المحشو بالسكر والعجمية ، والشريك .. على المدافن والترب فى الجمع والمواسم.

وكذلك أهل القرى والأرياف فيهم من مكارم الأخلاق ما لا يوجد فى غيرهم من أهل قرى الأقاليم . فان أقل من فيهم اذا نزل به ضيف — ولو لم يعرفه — اجتهد وبادر بقراه فى الحال ، وبذل وسعه فى اكرامه ، وذبح له ذبيحة فى العشاء ، وذلك ما عدا مشايخ البلاد والمشاهير والمقادم .. فان لهم مضايف واستعدادات للضيوف ومن ينزل عليهم من السفار والأجناب ، ولهم مساميح وأطيان فى نظير ذلك خلفا عن سلف

سنة ١١٧١ هجرية

رجب

(مارس ١٧٥٧ م) :

استمر مصطفى باشا فى ولاية مصر الى هذا التاريخ .

وفى تلك السنة نزل مطر كثير سالت منه السيول وأعقبه الطاعون المسمى « بقارب شيحه الذى أخذ المليح والمليحة » ، مات به الكثير من الناس المعروفين وغيرهم ما لا يحصى .

ومات فى تلك السنة الحاج احمد بن محمد الشرايبى ، وكان من أعيان التجار المشتهرين كأسلافه ، وبيته المشهور بالازبكية ، بيت المجد والفخر والعز ، ومماليكهم وأولاد مماليكهم من أعيان مصر .

ومنهم يوسف بيك الشرايبى ، وكان فى غاية الغنى والرفاهية والنظام ومكارم الأخلاق ، والاحسان للخاص والعام ، ويتردد الى منزلهم العلماء والفضلاء ، ومجالسهم مشحونة بكتب العلم النفيسة : للاعارة والتغيير ، وانتفاع الطلبة ، ولا يكتبون عليها وقفية ، ولا يدخلونها فى مواريثهم ، ويرغّبون فيها ، ويشترونها بأغلى ثمن ، ويضعونها على الرفوف والخزائن والخَوَرْنَقَات ، وفى مجالسهم جميعا ، فكل من دخل الى بيتهم من أهل العلم الى أى مكان يقصد الاعارة (يعنى الاستعارة) أو المراجعة وجد بغيته ومطلوبه فى أى علم كان من العلوم ، ولو لم يكن الطالب معروفا ! ولا يمنعون من يأخذ الكتاب بتمامه : فان رده فى مكانه رده ، وان لم يرده واختص به أو باعه لايسأل عنه . وربما بيع الكتاب عليهم واشتروه مرارا ! ويعتذرون عن الجانى بضرورة الاحتياج !

وخبزهم وطعامهم مشهور بغاية الجودة والاتقان والكثرة . وهو مبذول للقاصى والدانى ، مع السعة والاستعداد .

ومن أوضاعهم وطرائفهم أنهم لايتزوجون الا من بعضهم البعض ، ولا تخرج من بيتهم امرأة الا للمقبرة !

فاذا عملوا عرسا أولموا الولائم، وأطعموا الفقراء والقراء على نسق اعتادوه . وتنزل العروس من حريم أبيها الى مكان زوجها بالنساء الخلص والمغانى والجنك (الراقصات) ، تزفها ليلا بالشموع ... وباب البيت مغلوق عليهن ، وذلك عندما يكون الرجال فى صلاة العشاء بالمسجد الأزبكى المقابل لسكنهم .

وبيتهم يشتمل على اثنى عشر مسكنا ، كل مسكن بيت متسع على حدته .

وكان الأمراء بمصر يترددون اليهم كثيرا من غير سبق دعوة . وكان رضوان كتخدا يتفسح عند

الحاج أحمد الشرايبى فى كثير من الأوقات ، مع الكمال والاحتشام ، ولا يصحبه فى ذلك المجلس الا اللطفاء من ندمائه .

واذا قصده الشعراء بمدح لايأتونه فى الغالب الا فى مجلسه لينالوا فضيلتين ، ويحرزوا جائزتين !

وكان من سنتهم أنهم يجعلون عليهم كبيرا منهم ، وتحت يده الكاتب والمستوفى والجابى ، فيجمع لديه جميع الايراد من الالتزام والعقار والجامكية ، ويسدد الميرى ، ويصرف لكل انسان راتبه على قدر حاله وقانون استحقاقه ، وكذلك لوازم الكساوى للرجال والنساء فى الشتاء والصيف ، ومصروف الجيب فى كل شهر . وعند تمام السنة يعمل الحساب ، ويجمع ما فضل عنده من المال ، ويقسمه على كل فرد بقدر استحقاقه وطبقته .

واستمروا على هذا الرسم والترتيب مدة مديدة، فلما مات كبارهم وقع بينهم الاختلاف ، واقتسموا الايراد ، واختص كل فرد منهم بنصيبه يفعل به ما يشتهى ، وتفرق الجمع ، وقلت البركة ، وانعزل المحبون ، وصار « كل حزب بما لديهم فرحون » .

* * *

ومات فى تلك السنة أيضا الرجل الفاضل النبيه ، الذكى المتفنن ، المتقن الفريد ، الأسطى ابراهيم السكاكينى .

كان انسانا حسنا عطارديا ، يصنع السيوف والسكاكين ، ويجيد سقيها وجلاءها ، ويصنع قراباتها ، ويسقطها بالذهب والفضة . ويصنع المقاشط الجيدة الصناعة والسقى والتطعيم ، والبركارات للصنعة ، وأقلام الجدول الدقيقة الصنعة المخرمة ، وغير ذلك .

وكان يكتب الخط الحسن الدقيق بطريقة متسقة معروفة من دون الخطوط ، لاتخفى . وكتب بخطه ذلك كثيرا مثل مقامات الحريرى وكتب أدبية ورسائل فى الرياضيات والرسميات وغير ذلك .

وبالجملة فقد كان فريدا فى ذاته وصفاته وصناعته ، لم يخلف بعده مثله ..

وكان حانوته تجاه جامع المردانى ، بالقرب من درب الصباغ .

سنه ١١٧٢ هجرية

(٤ سبتمبر ١٧٥٨ ــ ٢٤ اغسطس ١٧٥٩)

أخذ الطاعون ينقر فى تلك السنة . وكان قوة عمله فى رجب وشعبان .

وولد للسلطان مصطفى مولود فى تلك السنة ، وورد الأمر بالزينة فى تلك الأيام ، فكانت أبرد من يخ [1] . وهذا المولود هو السلطان سليم المتولى الآن (أى زمن الجبرتى) .

ولما قتل حسين بيك القازدغلى : المعروف بالصابونجى ، وتعين فى الرياسة بعده على بيك الكبير ، أحضر خشداشينه المنفيين واستقر أمرهم .

سنه ١١٧٣ هجريه

(٢٥ اغسطس ١٧٥٩ ــ ١٢ اغسطس ١٧٦٠)

تقلد على بك الكبير امارة الحج فبيت مع سليمان بيك الشابورى وحسن كتخدا الشعراوى وخليل جاويش حيضان مصلى ، وأحمد جاويش المجنون ، واتفق معهم على قتل عبد الرحمن كتخدا فى غيبته ، وأقام عوضه فى مشيخة البلد خليل بيك الدفتردار . فلما سافر استشعر عبد الرحمن كتخدا بذلك فشرع فى نفى الجماعة المذكورين ، فأغرى

(١) هو خليط الثلج المجروش بالملح . ومن اقوالهم : « شيئان مثل يخ : شيخ يتصابى ، وصبى يتمشيخ ! » .

بهم على بيك بلوط قبن ... فنفى خليل جاويش حيضان مصلى واحمد جاويش الى الحجاز من طريق السويس على البحر ، ونفى حسن كتخدا الشعراوى وسليمان بيك الشابورى — مملوك خشداشه — الى فارسكور .

فلما وصل على بيك ، وهو راجع بالحج الى العقبة ، وصل اليه الخبر .. فكتم ذلك ، وأمر بعمل شنك يوهم من معه بأن الهجان أتاه بخبر سار . ولم يزل سائرا الى أن وصل الى قلعة نخل ، فانحاز الى القلعة ، وجمع الدويدار وكتخدا الحج والسدادرة ، وسلمهم الحجاج والمحمل ، وركب فى خاصته وسار الى غزة .. وسار الحجاج من غير أمير الى أن وصلوا الى أجرود ، فأقبل عليهم حسين بيك كشكش ومن معه يريد قتل على بيك ، فلم يجده فحضر بالحجاج ، ودخل بالمحمل الى مصر ، واستمر على بيك بغزة نحو ثلاثة أشهر وأكثر ، وكاتب الدولة بواسطة باشا الشام فأرسلوا اليه واحد أغا ، ووعدوه ومنوه وتحيلوا عليه حتى استصفوا ما معه من المال والأقمشة وغير ذلك .

ثم حضر الى مصر بسعاية نسيبه على كتخدا الخربطلى وأغراضه . ومات بعد وصوله الى مصر بثمانية أيام . يقال ان بعض خشداشينه شغله بالسم حين كان يطوف عليهم للسلام .

وفى تلك السنة حضر مصطفى باشا واليا على مصر ونزل الى القبة متوجها الى جدة فأقام هناك .

سنة ١١٧٤ هجرية

(١٣ اغسطس ١٧٦٠ — ١ اغسطس ١٧٦١)

استمر مصطفى باشا واليا الى آخر هذه السنة .

وحضر فى آخرها أيضا أحمد باشا كامل المعروف بصبطلان ، وكان ذا شهامة وقوة مراس ، فدقق فى الأحكام ، وصار يركب وينزل ويكشف على الأنبار والغلال ، فتعصب عليه الأمراء ، وأصعدوا مصطفى باشا المعزول ، وعرضوا فى شأنه الى الدولة .. وسافر بالعرض الشيخ عبد الباسط السنديونى ، ووجه مصطفى باشا خازنداره الى جدةوكيلا عنه .

ولما وصل العرض الى الدولة — وكان الوزير اذ ذاك محمد باشا راغب — فوجهوا أحمد باشا المنفصل الى ولاية قندية ومصطفى باشا الى حلب ، ووجهوا باكير باشا والى حلب الى مصر ، وأقام نحو شهرين ومات ، ودفن بالقرافة .

وتقلد فى امارة الحج حسين بيك كشكش ، وقد وقف له العرب فى مضيق ، وحضر اليه كبراؤهم ، وطلبوا مطالبهم وعوائدهم ، فأحضر كاتبه الشيخ خليل كاتب الصرة والصراف وأمرهم بدفع مطلوبات العرب ، فذهبوا معه الى خيمته وأحضر المال وشرع الصراف يعد لهم الدراهم ، فضرب عند ذلك مدفع الشيل . فقال لهم حينئذ : « لا يمكن فى هذا الوقت فاصبروا حتى ينزل الحج فى المحطة يحصل المطلوب » .

وسار الحج حتى خرج من ذلك المضيق الى الوسع ، ورتب مماليكه وطوائفه ، وحضر العرب — وفيهم كبيرهم هزاع — فأمر بقتلهم ، فنزلوا عليهم بالسيوف فقتلوهم عن آخرهم ، وفيهم نيف وعشرون كبيرا منمشايخ العربانالمشهورين خلاف هزاع المذكور . وأمر بالرحيل وضربوا المدفع وسار الحج ، وتفرق قبائل العرب ونساؤهم يصرخون بطلب الثأر ... فتجمعت القبائل من كل جهة ، ووقفوا بطريق الحجاج وفى المضايق ، وهو يسوق عليهم من أمام الحج وخلفه ، ويحاربهم ويقاتلهم بمماليكه وطوائفه حتى وصل الى مصر بالحج سالما ، ومعه رؤوس العربان محملة على الجمال ، ودخل المدينة بالمحمل والحجاج منصورا مؤيدا .

فاجتمع عليه الأمراء من خشداشينه وغيرهم وقال له على بيك بلوط قبن : « انك أفسدت علينا العرب ، وأخربت طريق الحج ، ومن يطلع بالحج فى العام القابل بعد هذه الفعلة التى فعلتها ؟ » . فقال : « أنا الذى أسافر بالحج فى العام القابل ومنى للعرب أصطفل » . فطلع أيضا فى السنة الثانية ، وتجمع عليه العرب ، ووقفوا فى كل طريق ومضيق وعلى رؤوس الجبال ، واستعدوا له بما استطاعوا من الكثرة من كل جهة ... فصادمهم وقاتلهم وحاربهم ، وصار يكر ويفر ، ويحلق عليهم من أمام الحج ومن خلفه حتى شردهم وأخافهم وقتل منهم الكثير . ولم يبال بكثرتهم مع ماهو فيه من القلة ، فانه لم يكن معه الا نحو الثلثمائة مملوك خلاف الطوائف والأجناد وعسكر المغاربة . وكان يبرز لحربهم حاسرا رأسه مشهورا حسامه ، فيشتت شملهم ويفرق جمعهم ، فهابوه وانكمشوا عن ملاقاته ، وانكفوا عن الحج ... فلم تقم للعرب معه بعد ذلك قائمة ، فحج أربع مرات أميرا بالحج آخرها سنة ست وسبعين ومائة وألف (١٧٦٢ م) . ورجع سنة سبع وسبعين ومائة ألف (١٧٦٣ م) . ولم يتعرض له أحد من العرب ذهابا وايابا بعد ذلك .

وكذلك أخاف العربان الكائنين حوالى مصر ويقطعون الطريق على المسافرين والفلاحين ويسلبون الناس ، فكان يخرج اليهم على حين غفلة فيقتلهم ، وينهب مواشيهم ، ويرجع بغنائمهم ورؤوسهم فى أشناف (١) على الجمال ... فارتدعوا وانكفوا عن أفاعيلهم ، وأمنت السبل وشاع ذكره بذلك .

وفى هذه المدة ظهر شأن على بيك بلوط قبن ، واستفحل أمره ، وقلد اسماعيل بيك الصنجقية وجعله اشراقه ، وزوجه هانم بنت سيده وعمل لها مهما عظيما احتفل به للغاية ببركة الفيل — وكان ذلك فى أيام النيل — فعملوا على معظم البركة أخشابا مركبة على وجه الماء يمشى عليها الناس للفرجة، واجتمع بها أرباب الملاهى والملاعيب وبهلوان الحبل وغيره من سائر الأصناف والفرج والمتفرجون والبياعون من سائر الأصناف والأنواع . وعلقوا القناديل والوقدات على جميع البيوت المحيطة بالبركة — وغالبها سكن الأمراء والأعيان ، أكثرهم خشداشين بعضهم البعض ومماليك ابراهيم كتخدا أبى العروس — وفى كل بيت منهم ولائم وعزائم وضيافات وسماعات وآلات وجمعيات . واستمر هذا الفرح والمهم مدة شهر كامل ، والبلد مفتحة ، والناس تغدو وتروح ليلا ونهارا للحظ والفرجة من جميع النواحى .

ووردت على على بيك الهدايا والصلات من اخوانه الأمراء والأعيان والاختيارية والوجاقلية والتجار والمباشرين والأقباط والافرنج والأروام واليهود ، والمدينة عامرة بالخير ، والناس مطمئنة ، والمكاسب كثيرة ، والأسعار رضية ، والقرى عامرة . وحضرت مشايخ البلدان ، وأكابر العربان ، ومقادم الأقاليم والبنادر بالهدايا والأغنام والجواميس والسمن والعسل ، وكل من الأمراء الابراهيمية كأنه صاحب الفرح ، والمشار اليه من بينهم صاحب الفرح : على بيك .

وبعد تمام الشهر زفت العروس فى موكب عظيم شقوا به من وسط المدينة بانواع الملاعيب والبهلوانات والجنك والطبول ومعظم الأعيان والجاويشية والملازمين والسعاة والأغوات أمام الحريمات ، وعليهم الخلع والتخاليق المثمنة ،وكذلك المهاترة والطبالون ، وغيرهم من المقدمين والخدم والجاويشية والركبدارية والعروس فى عربة .

وكان الخازندار لعلى بيك فى ذلك الوقت محمد

(١) جمع « شنفة » وهى شبكة مصنوعة من حبال غليظة تحمل فيها الاشياء على الجمال .

بيك أبو الذهب ماشى بجانب العربة وفى يده عكاز، ومن خلفها أولاد خزنات الأمراء ، ملبسين بالزرد والخرد ، واللثامات الكشميرى ، مقلدين بالقسى والنشاب ، وبأيديهم المزاريق الطوال ، وخلف الجميع النوبة التركية والنفيرات .

فمن ذلك الوقت اشتهر أمر على بيك ، وشاع ذكره ، ونما صيته ، وقلد أيضا مملوكه على بيك المعروف بالسروجية . ولما كان عبد الرحمن كتخدا ابن سيدهم ومركز دائرة دولتهم ، انضوى الى ممالأته ومال هو الآخر الى صداقته ، ليقوى به على أرباب الرياسة من اختيارية الوجاقات ، وكل منهما يريد تمام الأمر لنفسه حتى أن عبد الرحمن كتخدا لما أراد نفى الجماعة المتقدم ذكرهم بيت مع بعض المتكلمين وصوروا على أحمد جاويش المجنون مايقتضى نفيه . ثم عرضوا ذلك على عبد الرحمن كتخدا فمانع فى ذلك ، وأظهر الغيظ ، وأصبح فى ثانى يوم اجتمع عنده الاختيارية والصناجق على عادتهم ، فلما تكامل حضور الجميع تكلم عبد الرحمن كتخدا فقال : « ان على بيك سافر الى الحجاز ولا بد من كبير تجتمع فيه الكلمة » ، فقال له : « الرأى ماتراه » . فقال على بيك : « هذا يكون شيخ البلد وكبيرها ، وأنا أول من أطاعه وآخر من عصاه » . فقالوا « سمعنا وأطعنا ونحن كذلك » .

وأصبح عبد الرحمن كتخدا غاديا الى بيت على بيك ، وكذلك باقى الأمراء والاختيارية . وصار الجميع والديوان فى بيته من ذلك اليوم ، ولبس الخلعة من الباشا على ذلك .

ثم انهم طلعوا أيضا فى ثانى يوم الى الديوان ، واجتمعوا بباب الينكجرية ، وكتبوا عرضحال بنفى أحمد جاويش وخليل جاويش وسليمان بيك الشابورى . فقال عبد الرحمن كتخدا : « واكتبوا معهم حسن كتخدا الشعراوى أيضا » فكتبوه وأخرجوا فرمانا بذلك ونفوهم . واستمروا فى نفيهم وعمل أحمد جاويش وقادا بالحرم المدنى ، وخليل جاويش أقام أيضا بالمدينة ، والشابورى وحسن كتخدا جهة فارسكور والسرو ورأس الخليج .

وأخذ على بيك يمهد لنفسه ، واستكثر من شراء المماليك ، وشرع فى مصادرة الناس ، ويتحيل على أخذ الأموال من أرباب البيوت المدخرة والأعيان المستورين مع الملاطفة ، وادخال الوهم على البعض بمثل النفى والتعرض الى الفائظ ببعض المقتضيات ونحو ذلك .

جمادى الأولى

فى ١٩ منه (٢٧ ديسمبر ١٧٦٠ م) :

هبت ريح عظيمة شديدة نكباء غربية غرق منها بالأسكندرية ثلاثة وثلاثون مركبا فى مرسى المسلمين وثلاثة مراكب فى مرسى النصارى ، وضجت الناس ، وهاج البحر هياجا شديدا ، وتلف بالنيل بعض مراكب ، وسقطت عدة أشجار .

سنة ١١٧٧ هجرية

(١٢ يوليه ١٧٦٣ ــ ٣٠ يونيه ١٧٦٤)

طلع على بيك أميرا بالحج .

فيها تمكن على بيك من استلام مشيخة البلد فى القاهرة (١) .

سنه ١١٧٨ هجرية

(١ يوليه ١٧٦٤ ــ ١٩ يونيه ١٧٦٥)

رجع على بيك بالحج فى أوائل هذه السنة فى أبهة عظيمة ، وأرخى مملوكه محمد الخازندار لحيته على زمزم . فلما رجع قلده الصنجقية

(١) نقلنا هذا الخبر من التوفيقات الالهامية .

— وهو الذى عرف بأبى الذهب — ثم قلد مملوكه أيوب أغا ورضوان قرابته وابراهيم شلاق بلفيه وذا الفقار وعلى بيك الحبشى صناجق أيضا .

وانقضت تلك السنة وأمر على بيك يتزايد ، وشهلوا أمور الحج على العادة ، وقبضوا الميرى ، وصرفوا العلوفات والجامكية والصرة وغلال الحرمين والأنبار . وخرج المحمل على القانون المعتاد ، وأميره حسن بيك رضوان .

ولما رجعوا من البركة بعد ارتحال الحج ، طلع على بيك وخشداشينه وأغراضه ، وملكوا أبواب القلعة ، وكتبوا فرمانا ، وأخرجوا عبد الرحمن كتخدا (١) وعلى كتخدا الخربطلى وعمر جاويش الداودية ورضوان جربجى الرزاز وغيرهم منفيين فأما عبد الرحمن كتخدا فأرسلوه الى السويس ليذهب الى الحجاز ، وعينوا للذهاب معه صالح بيك ليوصله الى السويس ، ونفوا باقى الجماعة الى جهة بحرى .

وارتجت مصر فى ذلك اليوم ، وخصوصا لخروج عبد الرحمن كتخدا ، فانه كان أعظم الجميع وكبيرهم وابن سيدهم ، وله الصولة والكلمة والشهرة ، وبه ارتفع قدر الينكجرية على العزب ، وكان له عزوة كبيرة ومماليك وأتباع وعساكر مغاربة وغيرهم ، حتى ظن الناس وقوع فتنة عظيمة فى ذلك اليوم ، فلم يحصل شىء من ذلك سوى مانزل بالناس من البهتة والتعجب ثم أرسل الى صالح بيك فرمانا بنفيه الى غزة فوصل اليه الجاويش فى اليوم الذى نزل فيه عبد الرحمن كتخدا فى المركب وسافر ، وذهب صالح بيك الى غزة فأقام بها مدة قليلة ، ثم أرسلوا له جماعة ونقلوه من غزة وحضروا به الى ناحية بحرى وأجلسوه برشيد ، ورتب له على بيك مايصرفه ، وجعل له فائظ فى كل سنة عشرة أكياس ، فأقام برشيد مدة . حتى حضرت أخبار وصول الباشا الجديد

سنة ١١٧٩ هجريه

(٢٠ يونيه ١٧٦٥ — ٨ يونيه ١٧٦٦)

حضر حمزة باشا الى ثغر الأسكندريه ، فأرسلوا الى صالح بيك جماعة يعيبونه من رشيد ويذهبون به الى دمياط يقيم بها ، وذلك لئلا يجتمع بالباشا فلما وصلت اليه الأخبار بذلك ركب بجماعته ليلا ، وسار الى جهه البحيرة ، وذهب من خلف جبل الفيوم الى جهة قبلى فوصل الى منة ابن حصيب ، فأقام بها ، واجتمع عليه أناس كثيرة من الذين شردهم على بيك ونفاهم فى البلاد . وبنى له أبنية ومتاريس وكان له معرفة وصداقة مع شيخ العرب همام وأكابر الهوارة وأكثر البلاد الجاريه فى التزامه جهة قبلى ، واجتمع عليه الكثير منهم ، وقدموا له التقادم والذخيرة وما يحتاج اليه ولما حضر حمزة باشا الى مصر طلع القلعة فعرضوا له أمر صالح بيك ، وأنه قاطع الطريق ومانع وصول الغلال والميرى ، وأخذوا فرمانا بالتجريد عليه وتقلد حسين بيك كشكش حاكم جرجا وأمير التجريدة (١) ، وشرعوا فى التشهيل والخروج .. فسافر حسين بيك كشكش ، وصحبته محمد بيك أبو الذهب وحسن بيك الأزبكاوى ، فالتطموا مع صالح بيك لطمة صغيرة ، ثم توجه وعدى الى شرق أولاد يحيى وكان حسين بيك شبكه — مملوك حسين بيك كشكش — نفاه على بيك الى قبلى ، فلما ذهب

---

(١) كان اكبر منافس لعلى بيك ، واشتد ساعد على بيك بعد نفى عبد الرحمن كتخدا وانصاره ، فاخذ يثير الفتن ويغرى البعض على البعض الآخر حتى اضعف شوكة الاقوياء .

(١) استصدر على بيك امرا من الباشا بالتجريد على صالح بيك بحجة انه قاطع الطريق ومانع وصول الغلال والميرى ثم عهد برياسة التجريدة الى حسين بيك كشكش ومساعديه محمد بيك ابى الذهب وحسن بيك الازبكاوى ، وكان غرضه من ذلك بذر الشقاق بين حسين بيك وصالح بيك .

(رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ٣٦)

صالح بيك الى قبلى . انضم اليه وركب معه لما توجه حسين بيك بالتجريدة وعدى صالح بيك شرق أولاد يحيى (١) انفصل عنه وحضر الى سيده حسين بيك . وانضم اليه كما كان .

ورجع محمد بيك وحسن بيك الى مصر وتخلف حسين بيك كشكش يريد الذهاب الى منصبه جرجا . وأقام فى البر . فأرسل اليه على بيك فرمانا معه الى جهة غزة . فلم يمتثل لذلك ، وركب فى مماليكه وأتباعه وأمرائه وحضر الى مصر ليلا فوجد الباب الموصل لجهة قناطر السباع مغلوقا ، فضربه فلم يفتحوه فكسره ودخل وذهب الى بيته . وبقى الأمر بينهم على المسالمة أياما ، فأراد على بيك أن يشغله بالسم بيد عبد الله الحكيم ، وقد كان طلب منه معجونا للباءة ، فوضع له السم فى المعجون . وأحضره له ، فأمره أن يأكل منه أولا فتشكك واعتذر فأمر بقتله . وكان عبد الله الحكيم هذا نصرانيا روميا يلبس على رأسه قلبق سمور . وكان وجيها ، جميل الصورة ، فصيحا متكلما يعرف التركية والعربية والرومية والطليانية .

وعلم حسين بيك أنها من غريمه على بيك ، فسكنت بينهما الوحشة ، وأضمر كل منهما لصاحبه السوء . وتوافق على بيك مع جماعته على غدر حسين بيك أو اخراجه فوافقوه ظاهرا . واشتغل حسين بيك على اخراج على بيك ، وعصب خشداشينه وغيرهم . وركبوا عليه المدافع ... فكرنك فى بيته وانتظر حضور المتوافقين معه ، فلم يأته منهم أحد وتحقق نفاقهم عليه . فعند ذلك أرسل اليهم يسألهم عن مرادهم فحضر اليه منهم من يأمره بالركوب والسفر . فركب وأخرجوه منفيا الى الشام ومعه مماليكه وأتباعه . وذلك فى أواخر شهر رمضان سنة ١١٧٩ . وأقام بالعادلية ثلاثة أيام حتى عملوا حسابه وحساب أتباعه ، وهم محيطون بهم من كل جهة بالعسكر والمدافع حتى فرغوا من الحساب ، واستخلصوا مابقى على طرفهم ثم سافروا الى جهة غـزة .

وكانت العادة فيمن ينفى من آمـراء مصر أنه اذا خرج الى خارج فعلوا معـه ذلك ، ولا يذهب حتى يوفى جميع مابتأخر بذمته من ميرى وخلافه . وان لم يكن معـه مايوفى ذلك باع أثـاث داره ومتاعه وخيوله ولا يذهب الا خالص الذمة .

وسافر صحبة على بيك أمراؤه ، وهم : محمد بيك وأيوب بيك ورضوان بيك وذو الفقـار بيك وعبـد الله أغا الوالى وأحمـد جاويش وسليمـان جاويش وغيطاس كتخدا وباقى أتباعه .

واستقر خليل بيك كبير البلد مع قسيمه حسين بيك كشكش وباقى جماعتهم وحسن بيك جوجو ، وعزلوا عبد الرحمن أغا ، وقلدوا قاسم أغا الوالى أغات مستحفظان . وورد الخبر من الجهة القبلية بأن صالح بيك رجع من شرق أولاد يحيى الى المنيا واستقر فيها وحصنها . فعند ذلك شرعوا فى تشهيل تجريدة وبرزوا الى جهة البساتين .

وفى تلك الأيام رجع على بيك ومن معـه على حين غفلة ، ودخل الى مصر فنزل ببيت حسين بيك كشـكش ، ومحمـد بيك نزل عنـد عثمان بيك الجرجاوى ، وأيوب بيك دخـل منزل ابراهيم أغا الساعى ... فاجتمع الأمراء بالآثار ، وعملوا مشورة فى ذلك ، فاقتضى الرأى بأن يرسلوه الى جـدة ، وقال بعضهم : « اسمعوا نصحى واقتلوه وارتاحوا منه فانه ان دام حيا أتعبكم ولا يبقى منكم أحدا » . فقالوا : « لايصح ! انه أخونا ودخل الى بيوتنا » فأرسـلوا له بذلك . وقال : « لا أخرج من بيت سيدى الا أن يكون جهة بحرى » . فاجتمع الرأى بأن يعطوه النوسات(١) ويذهب اليها ... فرضى بذلك

(١) أولاد يحيى قرية من قرى جرجا فى شرق النيل كانت عامرة ذات مساجد ونخيل ... (خطط على مبارك جـ ٩ ص ١٠٥) .

(١) تسمى نوسا الغيط (تابعة لمركز اجا بمديرية الدقهلية)

وذهب الى النوسات وأقام بها . وأرسلوا محمد بيك وأيوب بيك ورضوان بيك الى قبلى بناحية أسيوط وجهاتها . وكان هناك خليل بيك الأسيوطى فانضموا اليه وصادقوه . وسفروا التجريدة الى صالح بيك فهزمت ، فأرسلوا له تجريدة أخرى — وأميرها حسن بيك جوجو ، وكان منافقا — فلم يقع بينهم الا بعض مناوشات ورجعوا أيضا كأنهم مهزومون ، وأرسلوا له ثالث ركبة فكانت الحرب بينهم سجالا ، ورجعوا كذلك بعد أن اصطلحوا مع صالح بيك على أن يذهب الى جرجا .

سنة ١١٨٠ هجرية

جمادى الأولى

(اكتوبر ١٧٦٦ م) :

كان الصلح مع صالح بيك على أن يذهب الى جرجا ويأخذ مايكفيه هو ومن معه ويمكث بها ويقوم بدفع المال والغلال .

شعبان

فى ٢ منه (٣ يناير ١٧٦٧ م) :

اتهموا حسن بيك الأزبكاوى أنه يراسل على بيك وعلى بيك يراسله ، فقتلوه فى ذلك اليوم بقصر العينى ، ورسموا بنفى خشداشينه وهم : حسن بيك أبو كرش ومحمد بيك الماوردي وسليمان أغا كتخدا الجاويشية سيد الثلاثة — وهو زوج أم عبد الرحمن كتخدا ، وكان مقيما بمصر القديمة ، وقد صار مسنا — فسفروهم الى جهة بحرى ، وتخيلوا من اقامة على بيك بالنوسات ، فأرسلوا له خليل بيك السكران لأخذه وذهب به الى السويس ليسافر الى جدة من القلزم ، وأحضر له المركب لينزل له فيها .

شوال

فى ٢ منه (٣ مارس ١٧٦٧ م) :

ركب الأمراء الى قراميدان ليهنئوا الباشا بالعيد ، وكان معتاد الرسوم القديمة أن كبار الأمراء يركبون بعد الفجر من يوم العيد — وكذلك أرباب العكاكيز — فيطلعون الى القلعة ، ويمشون أمام الباشا من باب السراية الى جامع الناصر بن قلاوون فيصلون صلاة العيد ، ويرجعون كذلك ، ثم يقبلون أتكه ويهنئونه وينزلون الى بيوتهم فيهنىء بعضهم بعضا على رسمهم واصطلاحهم .

وينزل الباشا فى ثانى يوم الى الكشك بقراميدان ، وقد هيئت مجالسه بالفرش والمساند والستور ، واستعد فراشو الباشا بالتطلى والقهوة والشربات والقماقم والمباخر . ورتبوا جميع الاحتياجات واللوازم من الليل ، واصطفت الخدم والجاويشية والسعاة والملازمون ، وجلس الباشا بذلك الكشك ، وحضرت أرباب العكاكيز والخدم قبل كل أحد ثم يأتى الدفتردار وأمير الحج والأمراء الصناجق والاختيارية وكتخدا الينكجرية والعزب وأصحاب الوقت والمقادم والأودة باشية واليمقات والجربجية فيهنئون الباشا ويعيدون عليه على قدر مراتبهم بالقانون والترتيب ثم ينصرفون .

فلما حضروا فى ذلك اليوم المذكور ، وهنأ الأمراء الصناجق الباشا ، وخرجوا الى دهليز القصر يريدون النزول .. وقف لهم جماعة ، وسحبوا السلاح عليهم ، وضربوا عليهم بنادق ، فأصيب عثمان بيك الجرجاوى بسيف فى وجهه ، وحسين بيك كشكش أصيب برصاصة نفذت من شقه وسحب الآخرون سلاحهم وسيوفهم ، واحتاط بهم مماليكهم ، ونط أكثرهم من حائط البستان ونفذوا من الجهة الأخرى ، وركبوا خيولهم وهم لايصدقون بالنجاة ، وأركبوا عثمان بيك حصانه وهو يقول :

« باب العزب ! باب العزب ! » وقد قطع السيف وجهه وحنكه . وذهبوا به الى باب العزب وأنزلوه فمكث هنيهة ومات ، فشالوه الى بيته وغسلوه وكفنوه وخرجوا بجنازته ودفنوه . وانجرح أيضا اسمعيل بيك أبو مدفع ومحمود بيك وقاسم أغا ، ولكن لم يمت منهم الا عثمان بيك وباتوا على ذلك .

فلما أصبحوا اجتمعوا وطلعوا الى الأبواب وأرسلوا الى الباشا يأمرونه بالنزول فنزل الى بيت أحمد بيك كشك بقوصون . وعند نزوله ومروره بباب العزب ، وقف له حسين بيك كشكش وأسمعه كلاما قبيحا .

ثم أنهم جعلوا خليل بك بلفيه قائمقام (١) ، وقلدوا عبد الرحمن أغا مملوك عثمان بيك صنجقا عوضا عن سيده . ونسبت هذه النكتة الى حمزة باشا ، وقيل انها من على بيك الذى بالنوسات ومراسلاته الى حسن بيك جوجو ، فبيت مع أنفار من الجلفية وأخفاهم عنده مدة أيام وتواعدوا على ذلك اليوم . وذهبوا الى الكشك بقراميدان — وكانوا نحو الأربعين — فاختلفوا واتفقوا على ثانى يوم بدهليز بيت القاضى ، وتفرقوا الا أربعة منهم ثبتوا على ذلك الاتفاق وفعلوا هذه الفعلة . وبطل أمر العيد من قراميدان من ذلك اليوم وتهدم القصر وخرب ، وكذلك الجنينة ماتت أشجارها وذهبت نضارتها .

ولما حصلت هذه الحادثة أرسلوا حمزة بيك الى على بيك فوجده فى المركب بالغاطس ينتظر اعتدال الريح للسفر ، فرده الى البر وأركبه بمماليكه وأتباعه ، ورجع الى جهة مصر ومر من الجبل وذهب الى جهة شرق أطفيح ثم الى أسيوط بقبلى ، ورجع حمزة بيك الى مصر .

ثم ان على بيك اجتمعت عليه المنافى وهوارة وخلافهم ، وأراد الانضمام الى صالح بيك فنفر منه ، فلم يزل يخادعه . وكان على كتخدا الخربطلى هناك منفيا من قبله وجعله سفيرا فيما بينه وبين صالح بيك هو وخليل بيك الأسيوطى وعثمان كتخدا الصابونجى فأرسلهم فلم يزالوا به حتى جنح لقولهم ، فعند ذلك أرسل اليه محمد بيك أبو الذهب فلم يزل به حتى انخدع له واجتمع عليه بكفالة شيخ العرب همام وتحالفا وتعاقدا وتعاهدا على الكتاب والسيف ، وكتبوا بذلك حجة واتفق مع على بيك أنه اذا تم لهم الأمر أعطى لصالح بيك جهة قبلى قيد حياته ، واتفقوا على ذلك بالمواثيق الأكيدة وأرسلوا بذلك الى شيخ العرب همام فانسر بذلك ورضى به مراعاة لصالح بيك . وأمدهم عند ذلك همام بالعطايا والمال والرجال ، واجتمع عليهم المتفرقون والمشردون من الغز والأجناد والهوارة والشجعان ولموا جموعا كثيرة وحضروا الى المنيا ، وكان بها خليل بيك السكران ، فلما بلغه قدومهم ، ارتحل منها وحضر الى مصر هاربا واستقر على بيك وصالح بيك وجماعتهم بالمنيا وبنوا حولها أسوارا وأبراجا وركبوا عليها المدافع وقطعوا الطريق على المسافرين المبحرين والمقبلين . وأرسل على بيك الى ذى الفقار بيك وكان بالمنصورة وصحبته جماعة كشاف فارتحلوا ليلا وذهبوا الى المنيا . فعمل الأمراء جمعية وعزموا على تشهيل تجريدة وتكلموا وتشاوروا فى ذلك فتكلم الشيخ الحفناوى(١) فى ذلك المجلس وأفحمهم بالكلام ومانع فى ذلك وقال : « أخربتم الأقاليم والبلاد . فى أى شىء هذا الحال وكل ساعة خصام ونزاع وتجاريد ؟ على بيك هذا رجل أخوكم وخشداشكم ، أى شىء يحصل اذا أتى وقعد فى بيته واصطلحتم مع بعضكم

(١) أى يحكم لحين حضور الباشا الجديد .

(١) الشيخ محمد بن سالم الحفناوى الشافعى الخلوتى ، ولد سنة ١١٠٠ هـ ببلدة حفنا من قرى بلبيس ، هادنه الملوك وقصده الأمير والصعلوك . يقال انه مات بالسم .

وأرحتم أنفسكم والناس ؟ » . وحلف أنه لايسافر أحد بتجريدة مطلقا وان فعلوا ذلك لايحصل لهم خير أبدا . فقـالوا : « انه هو الذى يحرك الشر ويريد الانفراد بنفسه ومماليكه ، وان لم نذهب اليه أتى هو الينـا وفعل مراده فينا » . فقال لهـم الشيخ « أنا أرسل اليه مكاتبة فلا تتحركوا بشىء حتى يأتى رد الجواب » . فلم يسعهم الا الامتثال .

فكتب له الشيخ مكتوبا وبخه فيـه وزجره ونصحه ووعظه وأرسلوه اليه . فلم يلبث الشيخ بعد هـذا المجلس الا أياما ومرض ورمى بالدم . وتوفى الى رحمة الله تعالى . فيقال انهم أشـغلوه وسموه ليتمكنوا من أغراضهم

سنة ١١٨١ هجرية

ربيع الآخر

فى غرته (٢٧ أغسطس ١٧٦٧ م) :

ورود الخبر بوصول محمد باشا راقم (١) الى الاسكندرية . وحضر الى مصر وطلع الى القلعة .

جمـادى الأولى

فى ١١ منه (٥ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

اجتمعوا بالديوان وقلدوا حسن بيك رضوان دفتردار مصر .

فى ١٥ منه (٩ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

قلدوا خليل بيك بلغيه أمـير الحج وقاسم أغا صنجقا . وكتبوا فرمانا بطلوع التجريدة الى قبلى .

ولبس سـارى عسـكرها حسين بيك كشـكش وشرعوا فى التشهيل . واضطرهم الحال الى مصادرة التجار ، وأحضر خليل بيك النواخيذ وهم : ملا مصطفى وأحمد أغا الملطيلى وقرا ابراهيم وكاتب البهار ، وطلب منهم مال البهار معجـلا فاعتذروا ، فصرخ عليهم وسبهم فخرجوا من بين يديه وأخذوا فى تشهيل المطلوب وجمع المال من التجار .

وفيـه : بـرز حسـين بيك خيـامه للسفر وخرج صحبته ستة من الصناجق وهم حسن بيك جوجو وخليل بيك السكران وحسن بيك شبكة واسماعيل بيك أبو مدفع وحمـزة بيك وقاسم بيك وأسرعوا فى الارتحال

فى ٢٠ منه (١٤ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

اخرج خلفهم أيضا خليل بيك تجريدة أخرى وفيها ثلاثة صناجق ووجاقلية وعسـكر مغـاربة وسافروا أيضا فى يومها . وبعـد ثلاثة أيام ورد الخبر بوقوع الحرب بينهم ببياضة تجاه بنى سويف فكانت الهزيمة على حسين بيك ومن معه . وقتل على أغا الميجى وخلافه ، وقتـل من ذلك الطرف ذو الفقار بيك .

٢٤ منه (١٨ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

رجع المهزومون فى ثانى يـوم الكسرة ، وهم فى أسوأ حال .

٢٥ منه (١٩ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

طلعوا الى أبواب القلعـة وطلبوا من الباشا فرمانا بالتجريدة على على بيك وصالح بيك ومن معهم وطلبوا مائتى كيس من الميرى يصرفونها فى اللوازم فامتنع الباشا من ذلك

٢٦ منه (٢٠ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

حضر الخبر بوصول القـادمين الى غمازة . وكان الوجاقلية وحسن بيك جوجو ناصبين خيامهم جهة البساتين فارتحلوا ليلا وهربوا . وتخيل عزل خليل بيك وحسين بيك ومن معهمـا وتحيروا فى

(١) كان من خطة الدولة العثمانية ايقاد نار الفتنة بين البكوات فوقعت فتنة بين أمراء المماليك فقتلوا بعضهم بعضا كما حدث فى ولاية ابن العظم سنة ١١٥٢ هـ (١٧٣٩ م) . وهنا نرى راقم باشا يعضد خصوم على بيك ويساعد على ارسال حملة لمقاومته تحت رياسة حسين بيك كشكش ويجمع لهذه الحملة المال . كما نجده يقابل على بيك بعد انتصاره على جيش حسين بيك كشكش ويخلع عليه ويقره شيخا للبلد .

(حافظ عوض ــ فتح مصر الحديث ص ٢٩)

أمرهم وتحققوا الادبار والزوال . وأرسل الباشا الى الوجاقلية يقول لهم « كل وجاق يلازم بابه » .

٢٧ منه (٢١ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

حضر على بيك وصالح بيك ومن معهم الى البساتين فازداد تحيرهم وطلعوا الى الأبواب فوجدوها مغلوقة . فرجعوا الى قراميدان وجلسوا هناك ثم رجعوا .

وفى الليل تسحب كثير من الأمراء والأجناد وخرجوا الى جهة على بيك . وكان حسن بيك المعروف بجوجو ينافق الطرفين ويراسل على بيك وصالح بيك سرا ويكاتبهما . وضم اليه بعض الأمراء مثل قاسم بيك خشداشه ، واسماعيل بيك زوج هانم بنت سيدهم وعلى بيك السروجى وجن على — وهو خشداش ابراهيم بيك بلفيه — وكثير من أعيان الوجاقلية ، ويرسلون لهم الأوراق فى داخل الأقصاب التى يشربون فيها الدخان .

٢٩ منه (٢٣ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

هرب الأمراء الذين بمصر وهم خليل بيك شيخ البلد وأتباعه وحسين بيك كشكش وأتباعه وهم نحو عشرة صناجق وصحبتهم مماليكهم وأجنادهم عدة كثيرة .

وفى الصباح خرج الأعيان وغيرهم لملاقاة القادمين . ودخل فى ذلك اليوم على بيك وصالح بيك وصناجقهم ومماليكهم وأتباعهم وجميع من كان منفيا بالصعيد قبل ذلك من أمراء ووجاقلية وغيرهم . وحضر صحبتهم على كتخدا الخربطلى وخليل بيك الأسيوطى وقلده على بيك الصنجقية مجددا وضربت النوبة فى بيته ثم أعطاه كشوفية الشرقية .

جمادى الآخرة

٢ منه (٢٦ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

طلع على بيك وصالح بيك وباقى الأمراء القادمين والذين تخلفوا عن الذاهبين مثل حسين بيك جوجو واسماعيل بيك زوج هانم وجن على وعلى بيك السروجى وقاسم بيك والاختيارية والوجاقلية وغيرهم الى الديوان بالقلعة . فخلع الباشا على على بيك واستقر فى مشيخة البلد كما كان ، وخلع على صناجقه خلع الاستمرار أيضا فى اماراتهم كما كانوا ونزلوا الى بيوتهم . وثبت قدم على بيك فى امارة مصر ورئاستها فى هذه المرة ، وظهر بعد ذلك الظهور التام ، وملك الديار المصرية ، والأقطار الحجازية ، والبلاد الشامية ، وقتل المتمردين ، وقطع المعاندين ، وشتت شمل المنافقين ، وخرق القواعد ، وخرم العوائد ، وأخرب البيوت القديمة ، وأبطل الطرائق التى كانت مستقيمة .

ثم انه حضر سليمان أغا كتخدا الجاويشية وصناجقه الى مصر وعزم على نفى بعض الأعيان واخراجهم من مصر ، فعلم أنه لايتمكن من أغراضه مع وجود حسن بيك جوجو وأنه مادام حيا لايصفو له الحال . فأخذ يدبر على قتله فبيت مع أتباعه على قتله ، فحضر حسن بيك جوجو وعلى بيك جن على عند على بيك ، وجلسوا معه حصة من الليل وقام ليذهب الى بيته فركب وركب معه جن على ومحمد بيك أبو الذهب وأيوب بيك ليذهبوا أيضا الى بيوتهم لاتحاد الطريق . فلما صاروا فى الطريق التى عند بيت الشابورى خلف جامع قوصون ، سحبوا سيوفهم وضربوا حسن بيك وقتلوه وقتلوا معه أيضا جن على ورجعوا وأخبروا سيدهم على بيك .

رجب

٨ منه (٣٠ نوفمبر ١٧٦٧ م) :

أصبح على بيك مالكا للأبواب ، ورسم بنفى قاسم بيك واسماعيل بيك أبى مدفع وعبد الرحمن

بيك واسماعيل بيك كتخدا عزبان ومحمد كتخدا زنور ومصطفى جاويش تابع مصطفى جاويش الكبير مملوك ابراهيم كتخدا وخليل جاويش درب الحجر .

شوال

فى ١١ منه (أول مارس ١٧٦٨ م) :

آخرج أيضا نحو الثلاثين شخصا من الأعيان ونفاهم فى البلاد . وفيهم ثمانية عشر أميرا من جماعة الفلاح (١) وفيهم على كتخدا وأحمد كتخدا الفلاح وابراهيم كتخدا مناو وسليمان آغا كتخدا جاووشان الكبير وصناجقه حسن بيك أبو كرش ومحمدبيك الماوردى وخلافهم مقادم وأوده باشية ، فنفى الجميع الى جهة قبلى . وأرسل سليمان أغا كتخدا الجاويشية الى السويس ليذهب الى الحجاز من القلزم واستمر هناك الى أن مات .

وفيه : قبض على بيك على الشيخ يوسف بن وحيش وضربه علقة قوية ونفاه الى بلدة حناج (٢) فلم يزل بها الى أن مات . وكان من دهاة العالم ، وكان كاتبا عند عبد الرحمن كتخدا القازدغلى ، وله شهرة وسمعة فى السعى وقضاء الدعاوى والشكاوى والتحيلات والمداهنات والتلبيسات وغير ذلك .

(١) جماعة الفلاح أستاذهم الحاج صالح الفلاح من قرية الراهب بالمنوفية . ولد (١١٦٧ هـ) وتربى بسرل على كتخدا الجلفى ولم يزل ينتقل فى الاطوار حتى صار من ارباب الاموال واشترى المماليك والعبيد والجوارى يزوجهم من بعضهم ويشترى لهم الدور والايراد ويدخلهم الوجاقات والبلكات بالمصانعات والرشوات لارباب الحل والعقد والمتكلمين وتنقلوا حتى تلبسوا بالمناصب الجليلة كتخداءات واختيارية وامراء طبلخانات وجاويشية واودباشية وصار لهم أتباع ومماليك .
(رفعت رمضان – على بيك الكبير ص ١٦)

(٢) قرية تابعة الآن لمركز بسيون غربية .

ذو الحجة

(ابريل ١٧٦٨) :

فيه وصلت أخبار عن حسين بك كشكش (١) وخليل بيك ، أنهم لما وصلوا الى غزة جمعوا جموعا ، وأنهم قادمون الى مصر . فشرع على بيك فى تشهيل تجريدة عظيمة ، وبرزوا وسافروا .

ثم ورد الخبر بعد ثلاثة أيام أنهم عرجوا الى جهة دمياط ، ونهبوا منها شيئا كثيرا ، ثم حضروا الى المنصورة ونهبوا منها كذلك . فأرسل على بيك يأمر التجريدة بالذهاب اليهم ، وأرسل لهم أيضا عسكرا من البحر ، فتلاقوا معهم عند الديرص والجراح من أعمال المنصورة عند سمنود . فوقع بينهم وقعة عظيمة ، وانهزمت التجريدة وولوا راجعين ، وقتل فى هذه المعركة سليمان جربجى باش اختيار جمليان ، وأحمد طنان جراكسة ، وعمر أغا جاووشان أمين الشون — وكانوا صدور الوجاقات .

ولم يزالوا فى هزيمتهم الى دجوة . فلما وصل الخبر بذلك الى على بيك اهتم لذلك ونزل الباشا وخرج الى قبة باب النصر خارج القاهرة ، وجمع الوجاقلية والعلماء وأرباب السجاجيد ، وأمر الباشا بأن كل من كان وجاقليا أو عليه عثامنة يشهل نفسه ويطلع الى التجريدة أو يخرج عنه بدلا .

واجتهد على بيك فى تشهيل تجريدة عظيمة أخرى ، وكبيرها محمد بيك أبو الذهب ، وسافروا فى أوائل المحرم ، واجتمعوا بالتجريدة الأولى .. وسار الجميع خلف حسين بيك وخليل بيك ومن معهم . وكانوا عدوا الى بر الغربية بعد أن هزموا التجريدة . فلو قدر الله أنهم لما كسروا التجريدة ساقوا خلفهم ، كما فعل على بيك وصالح بيك ،

(١) عاد من غزة بعد ثمانية اشهر فى جيش من فرسان المماليك والدروز ومشاة المغاربة (رفعت رمضان – على بيك الكبير ص ٣١)

لدخلوا الى مصر من غير مانع .. ولكن لم يرد الله تعالى لهم ذلك .

سنة ١١٨٢ هجرية

المحرم

الخميس ٢ منه (١٩ مايو ١٧٦٨ م) (١) :

سافرت التجريدة المعينة الى بحرى بسبب الأمراء المتقدم ذكرهم ، وهم حسين بيك وخليل بيك ومن معهم . وقد بذل جهده على بيك حتى شهل أمرها ولوازمها فى أسرع وقت ، وأميرها وسر عسكرها محمد بيك أبو الذهب .

فلما وصلوا الى ناحية دجوة وجدوهم عدوا الى مسجد الخضر ، فعدوا خلفهم .. فوجدوهم قد ذهبوا الى طندتا وكرلكوا بها ، فتبعوهم الى هناك وأحاطوا بالبلدة من كل جهة .

منتصفه : (١ يونيو ١٧٦٨ م) :

وقعت الحرب بينهم ، ولم تزل قائمة بين الفريقين حتى فرغ ما عندهم من الجبخانة والبارود ... فعند ذلك أرسلوا الى محمد بيك وطلبوا منه الأمان ، فأعطاهم الأمان وارتفع الحرب بين الفريقين . وكاتبهم محمد بيك وخادعهم ، والتزم لهم باجراء الصلح بينهم وبين مخدومه على بيك ، فانخدعوا له وصدقوه ، وانحلت عزائمهم ، واختلفت آراؤهم ، وسكن الحال تلك الليلة .

ثم ان محمد بيك أرسل فى ثانى يوم الى حسين بيك يستدعيه ليعمل معه مشورة . فحضر عنده بمفرده وصحبته خليل بيك السكران تابعه فقط . فلما وصلوا الى مجلسه لم يجدوه . فعندما استقر بهما الجلوس دخل عليهما جماعة وقتلوهما (١) .

وحضر فى اثرهما حسن بيك شبكة ولم يعلم ما جرى لسيده . فلما قرب من المكان أحس قلبه بالشر فأراد الرجوع فعاقه رجل سائس يسمى مرزوق وضربه بنبوت فوقع الى الأرض فلحقه بعض الجند واحتز رأسه . فلما علم بذلك خليل بيك الكبير ومن معه ، ذهبوا الى ضريح سيدى أحمد البدوى والتجئوا الى قبره ، واشتد بهم الخوف ، وعلموا أنهم لاحقون باخوانهم ، فلما فعلوا ذلك لم يقتلوهم . وأرسل محمد بيك يستشير سيده فى أمر خليل بيك ومن معه فأمر بنفيه الى ثغر الاسكندرية وخنقوه بعد ذلك بها .

الجمعة ١٧ منه (٣ يونيو ١٧٦٨ م) :

رجع محمد بيك وصالح بيك والتجريدة ، ودخلوا المدينة من باب النصر فى موكب عظيم ، وأمامهم الرؤوس محمولة فى صوان من فضة ، والخدم يقولون « صلوا على محمد » ، وصالح بيك ظاهر بوجهه الانقباض والتعبيس ، وعدتها ستة رؤوس . وهى : رأس حسين بيك وخليل بيك السكران وحسن بيك شبكة وحمزة بيك واسماعيل بيك أبى مدفع وسليمان أغا الوالى .

صفر

١٤ منه (٣٠ يونيه ١٧٦٨ م) :

حضر نجاب الحج واطمأن الناس .

١٧ منه (٣ يوليو ١٧٦٨ م) :

وصل الحجاج بالسلامة ، ودخلوا المدينة — — وأمير الحج خليل بيك بلفيه — وسر الناس

---

(١) فى هذه السنة طلب الباب العالى ١٢ الف نفر لمحاربة الروسيا فأولعت المماليك والباشا الفتن فى حق على بيك فورد فرمان شاهانى بقتله وارسال راسه الى الاستانة لكنه لم يفد حيث علم بذلك على بيك وتربص لحامل الفرمان ورفقائه الاربعة وقتلوا بأمره واعلن استقلال مصر وكتب الى أمير مكا بذلك .
(التوفيقات الالهامية)

(١) يذكر الاستاذ رفعت رمضان انه قتل فى هذه المكيدة مع حسين بك خمسة من صناجقه ايضا .

بسلامة الحجاج ، وكانوا يظنون تعبهم بسبب هذه الحركات والوقائع .

١٨ منه (٤ يوليو ١٧٦٨ م) :

أخرج على بيك جملة من الأمراء من مصر ، ونفى بعضهم الى الصعيد وبعضهم الى الحجاز ، وأرسل البعض الى الفيوم ، وفيهم محمد كتخدا — تابع عبد الله كتخدا — وقرا حسن كتخدا وعبد الله كتخدا تابع مصطفى باش اختيار مستحفظان ، وسليمان جاويش ومحمد كتخدا الجردلى وحسن افندى الباقرجى وبعض أوده باشيه وعلى جربجى وعلى افندى الشريف جمليان .

وفيه : صرف على بيك الجامكية .

وفيه : آرسل على بيك وقبض على أولاد سعد الخادم بضريح سيدى أحمد البدوى ، وصادرهم ، وأخذ منهم أموالا عظيمة لايقدر قدرها ، وأخرجهم من البلدة ، ومنعهم من سكناها ومن خدمة المقام الأحمدى . وأرسل الحاج حسن عبد المعطى وقيده بالسدنة عوضا عن المذكورين ، وشرع فى بناء الجامع والقبة والسبيل والقيسارية العظيمة ، وأبطل منها مظالم أولاد الخادم والحمل والنشالين والحرمية والعيارين وضمان البغايا والخواطىء وغير ذلك .

ربيع الأول

٩ منه (٢٤ يولية ١٧٦٨ م) :

حضر قابجى من الديار الرومية بمرسوم وقفطان وسيف لعلى بيك من الدولة .

وفيه : وصلت الأخبار بموت خليل بيك الكبير بثغر الاسكندرية مخنوقا .

١٢ منه (٢٧ يوليه ١٧٦٨ م) :

نزل الباشا الى بيت على بيك باستدعائه ، فتغدى عنده ، وقدم له تقادم وهدايا .

ربيع الآخر

١٨ منه (١ سبتمبر ١٧٦٨ م) :

اجتمع الأمراء بمنزل على بيك على العادة — وفيهم صالح بيك — وقد كان على بيك بيت مع أتباعه على قتل صالح بيك . فلما انقضى المجلس وركب صالح بيك، ركب معه محمد بيك وأيوب بيك ورضوان بيك وأحمد بيك بشناق ، المعروف بالجزار ، وحسن بيك الجداوى ، وعلى بيك الطنطاوى ... وأحدق الجميع بصالح بيك ، ومن خلفهم الجند والمماليك والطوائف .. فلما وصلوا الى مضيق الطريق عند المفارق بسويقة عصفور ، تأخر محمد بيك ومن معه عن صالح بيك قليلا ، وأحدث له محمد بيك حماقة مع سائسه ، وسحب سيفه من غمده سريعا وضرب صالح بيك [1] وسحب الآخرون سيوفهم ، ما عدا أحمد بيك بشناق ، وكملوا قتلته ووقع طريحا على الأرض . ورمح الجماعة الضاربون وطوائفهم الى القلعة . وعندما رأى مماليك صالح بيك وأتباعه مانزل بسيدهم خرجوا على وجوههم .

ولما استقر الجماعة القاتلون بالقلعة ، وجلسوا مع بعضهم يتحدثون ، عاتبوا أحمد بيك بشناق على عدم ضربه معهم صالح بيك ، وقالوا له : « لماذا لم تجرد سيفك وتضرب مثلنا ؟ » فقال : « بل ضربت معكم » . فكذبوه ، فقال له بعضهم : « أرنا سيفك » ، فامتنع وقال : « ان سيفى لا يخرج من غمده لأجل الفرجة » ، ثم سكتوا .. وأخذ فى نفسه منهم ، وعلم أنهم سيخبرون سيدهم بذلك فلا يأمن غائلته .

---

(١) وبموت صالح بيك تخلص على بيك من آخر منجق كان يحتمل ان ينافسه فى شياخة البلد ، واستقرت الامور وسلمت امنتها لعلى بيك الذى اصبح شيخ البلد وسيدها الفعلى .

وذلك أن أحمد بيك (١) هذا لم يكن مملوكا لعلى بيك ، وانما كان أصله من بلاد بشناق ... حضر الى مصر فى جملة أتباع على باشا الحكيم عندما كان واليا على مصر فى سنة تسع وستين ومائة وألف (١٧٥٥ م) فأقام فى خدمته الى سنة احدى وسبعين ومائة وألف (١٧٥٧ م) . وتلبس صالح بيك بأمارة الحج فى ذلك التاريخ ، فاستأذن أحمد بيك المذكور على باشا فى الحج وأذن له ، فحج مع صالح بيك وأكرمه وأحبه وألبسه زى المصريين ورجع صحبته . وتنقلت به الأحوال ، وخدم عند عبد الله بيك على ، ثم خدم عند على بيك فأعجبته شجاعته وفروسيته فرقاه فى المناصب حتى قلده الصنجقية وصار من الأمراء المعدودين ، فلم يزل يراعى منة صالح بيك السابقة عليه .

فلما عزم على بيك على خيانة صالح بيك وغدره خصصه بالذكر ، وأوصاه أن يكون أول ضارب فيه لما يعلمه فيه من العصبية له ، فقيل له : ان أحمد بيك أسر ذلك الى صالح بيك وحذره غدر على بيك اياه فلم يصدقه لما بينهما من العهود والأيمان والمواثيق . ولم يحصل منه ما يوجب ذلك ولم يعارضه فى شىء ، ولم ينكر عليه فعلا . فلما اختلى صالح بك بعلى بيك أشار اليه بما بلغه ، فحلف له على بيك بأن ذلك نفاق من المخبر ولم يعلم من هو .

(١) يقول الاستاذ رفعت رمضان (ص ٣٤) : الثابت ان على بيك تحمل بسبب ذلك عداء احمد بيك بشناق (الشهير بالجزار) . وبيان ذلك أن على بيك حرض الجزار فيمن حرضهم على قتل صالح بيك . ولما كان الجزار من اخلص الناس لصالح بيك ــ لفضل الاخير عليه أيام كان منفيا بالصعيد ــ فقد اعتذر لعلى بيك فكظم هذا غيظه وتصنع امامه اكباره لشهامته واكد له انه انما كان يختبر اخلاصه واستشف احمد نيات على بيك الحقيقية فاسرع واسرها الى صالح بيك الذى انكرها ظاهرا واستنكرها باطنا لما كان بينه وبين على بيك من المواثيق . كما أن على بيك اسرع يغطى الموقف فهنأ صالح بيك باخلاص الجزار ونوه عليه قائلا : ينبغى لك يا أخى أن تختبر رجالك أيضا لئلا يكون بينهم خيانة وانا قد اختبرت الجزار فوجدته نصوحا .

فلما حصل ما حصل ، ورأى مراقبة الجماعة له ومناقشتهم له عند استقرارهم بالقلعة ... تخيل وداخله الوهم وتحقق فى ظنه تجسم القضية . فلما نزلوا من القلعة وانصرفوا الى منازلهم ، تفكر تلك الليلة ، وخرج من مصر ، وذهب الى الاسكندرية وأوصى حريمه بكتمان أمره ما أمكنهم حتى يتباعد عن مصر فلما تأخر حضوره بمنزل على بيك وركوبه ، سألوا عنه ، فقيل لهم : انه متوعك ، فحضر اليه فى ثانى يوم محمد بيك ليعوده وطلب الدخول اليه ، فلم يمكنهم منعه فدخل الى محل مبيته فلم يجده فى فراشه ، فسأل عنه حريمه • فقالوا : لا نعلم له محلا ، ولم يأذن لأحد بالدخول عليه وفتشوا عليه فلم يجدوه .

وأرسل على بيك عبد الرحمن آغا وأمره بالتفتيش عليه وقتله ، فأحاط بالبيت — وهو بيت شكره فره — وفتش عليه فى البيت والخطة فلم يجده . وهو قد كان هرب ليلة الواقعة فى صورة جزائرلى مغربى ، وقصقص لحيته ، وسعى بمفرده الى شلقان ، وسافر الى بحرى ووصل السعاة يخبره الى على بيك بأنه بالاسكندرية فأرسل بالقبض عليه فوجدوه نزل بالقبطانة واحتمى بها وكان من أمره ما كان بعد ذلك ، وهو أحمد باشا الجزار الشهير الذكر الذى تملك عكا ، وتولى الشام وامارة الحج الشامى ، وطار صيته فى الممالك .

وفيه عين على بيك تجريدة على سويلم بن حبيب (١) وعرب الجزيرة ، فنزل محمد بيك بتجريدة الى عرب الجزيرة ، وأيوب بيك الى سويلم . فلما

(١) ورث سويلم بن حبيب وشقيقه سالم شهرة تردد صداها فى انحاء الوجه البحرى وانتهت اليه زعامة جميع القبائل هناك وهابه الجميع لجرأته وشدة بأسه واحاطوا اعماله بهالة من الخيال (رفعت رمضان ــ على بيك الكبير ص ٤٥)

ذهب أيوب بيك الى دجوة (١) فلم يجدوا بها أحدا وكان سويلم بائتا فى سندنهور وباقى الحبايبة متفرقين فى البلاد ، فلما وصله الخبر ركب من سندنهور وهرب بمن معه الى البحيرة ، والتجأ الى الهنادى .. ونهبوا دوائره ومواشيه ، وحضروا بالمنهوبات الى مصر . واحتج عليه بسبب واقعة حسين بيك وخليل بيك لما أتيا الى دجوة بعد واقعة الديرص والجراح قدم لهم التقادم ، وساعدهم بالكلف والذبائح ونحو ذلك . والغرض الباطنى اجتهاده فى ازالة أصحاب المظاهر كائنا ما كان .

الاثنين ١٩ منه (٢ سبتمبر ١٧٦٨ م) :

أمر على بيك باخراج على كتخدا الخربوطلى منفيا ، وكذلك يوسف كتخدا مملوكه ونفى حسن أفندى درب الشمسى واخوته الى السويس ليذهبوا الى الحجاز ، وسليمان كتخدا الجلفى ، وعثمان كتخدا عزبان المنفوخ . وكان خليل بيك الأسيوطى بالشرقية ، فلما سمع بقتل صالح بيك هرب الى غزة .

جمادى الأولى

٥ منه (١٧ سبتمبر ١٧٦٨ م) :

طلع على بيك الى القلعة ، وقلد ثلاثة صناجق من أتباعه ، وكذلك وجاقلية ، وقلد أيوب بيك تابعه ولاية جرجا وحسن بيك رضوان أمير حج .

جمادى الآخرة

(اكتوبر ــ نوفمبر ١٧٦٨ م)

قلد اسماعيل بيك الدفتردارية وصرف المواجب فى ذلك اليوم .

رجب

منتصفه (٢٥ نوفمبر ١٧٦٨ م)

وصل آغا من الديار الرومية . وعلى يده مرسوم بطلب عسكر للسفر ، فاجتمعوا بالديوان وقرأوا المرسوم . وكان على بيك أحضر سليمان بيك الشابورى من نفيته بناحية المنصورة . وكان منفيا هناك من سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف (١٧٥٨ م) .

وفى يوم الثلاثاء : عملوا الديوان بالقلعة ، ولبسوا سليمان بيك الشابورى أمير السفر الموجه الى الروم ، وأخذوا فى تشهيله . وسافر محمد بيك أبو الذهب بتجريدة — ومعه جملة من الصناجق والمقاتلين — لمنابذة شيخ العرب همام . فلما قربوا من بلاده ترددت بينهم الرسل ، واصطلحوا معه على أن يكون لشيخ العرب همام من حدود برديس ولا يتعدى حكمه لما بعدها ، واتفقوا على ذلك . ثم بلغ شيخ العرب أنه ولد لمحمد بيك مولود ، فأرسل له بالتجاوز عن برديس أيضا انعاما منه للمولود ، ورجع محمد بيك ومن معه الى مصر .

وفيه : قبض على بيك على الشيخ أحمد الكتبى المعروف بالسقط وضربه علقة قوية ، وأمر بنفيه الى قبرص . فلما نزل الى البحر الرومى ذهب الى اسلامبول ، وصاهر حسن أفندى قطه مسكين المنجم ، وأقام هناك الى أن مات . وكان المذكور من دهاة العالم يسعى فى القضايا والدعاوى ، يحيى الباطل ، ويبطل الحق بحسن سبكه وتداخله .

فى ١٧ منه (٢٧ نوفمبر ١٧٦٨ م) :

حصلت قلقة من جهة والى مصر محمد باشا . وكان أراد أن يحدث حركة فوشى به كتخداه عبد الله بيك الى على بيك ، فأصبحوا وملكوا الأبواب والرميلة والمحجر وحوالى القلعة ، وأمروه

(١) دجوة قرية صغيرة من مديرية القليوبية واقعة على الضفة الشرقية لفرع دمياط وكانت مركز عرب أولاد حبيب .
(على مبارك ـ الخطط ج ١ ص ١٠١)

بالنزول . فنزل من باب الميدان الى بيت أحمد بيك كشك ، وأجلسوا عنده الجرسجية ..

شعبان

د غرته (١١ ديسمبر ١٧٦٨ م) :

تقلد على بيك قائمقامية عوضا عن الباشا .

الخميس ٥ منه (١٥ ديسمبر ١٧٦٨ م) :

أرسل على بيك عبد الرحمن أغا مستحفظان الى رجل من الأجناد يسمى اسماعيل أغا من القاسمية وأمره بقتله ، وكان اسماعيل هذا منفيا جهة بحرى، وحضر الى مصرقبل ذلك وأقام ببيته جهة الصليبة ، وكان مشهورا بالشجاعة والفروسية والاقدام . فلما وصل الأغا حذاء بيته وطلبه ، ونظر الى الأغا واقفا بأتباعه ينتظره . علم أنه يطلبه ليقتله كغيره ، لأنه تقدم قتله لأناس كثيرة على هذا النسق بأمر على بيك ! فامتنع من النزول ، وأغلق بابه ، ولم يكن عنده أحد سوى زوجته ، وهى أيضا جارية تركية ، وعمر بندقيته وقرابينته وضرب عليهم ، فلم يستطيعوا العبور اليه من الباب ، وصارت زوجته تعمر له وهو يضرب حتى قتل منهم أناسا وانجرح كذلك . واستمر على ذلك يومين وهو يحارب وحده ! وتكاثروا عليه وقتلوا من أتباعه — وهو ممتنع عليهم — الى أن فرغ منه البارود والرصاص، ونادوه بالأمان فصدقهم ونزل من الدرج . فوقف له شخص وضربه وهو نازل من الدرج ، وتكاثروا عليه وقتلوه وقطعوا رأسه ظلما رحمه الله تعالى .

فى ١٩ منه (٢٩ ديسمبر ١٧٦٨ م) :

صرفت المواجب على الناس والفقراء .

فى ٢٨ منه (٧ يناير ١٧٦٩ م) :

خرج موكب السفر الموجه الى الروم فى تجمل زائد .

رمضان

فى ١٠ منه (١٨ يناير ١٧٦٩ م) :

قبض على بيك على المعلم اسحق اليهودى ، معلم الديوان ببولاق ، وأخذ منه أربعين ألف محبوب ذهب وضربه حتى مات . وكذلك صادرأناسا كثيرة فى أموالهم من التجار مثل العشوبى والكمين وغيرهما . وهو الذى ابتدع المصادرات وسلب الأموال من مبادىء ظهوره واقتدى به من بعده .

شوال

(فبراير ١٧٦٩ م) :

وفيه : هيأ على بيك هدية حافلة وخيولا مصرية جيادا ، وأرسلها الى اسلامبول للسلطان ورجال الدولة . وكان المتسفر بذلك ابراهيم أغا سراج باشا ، وكتب مكاتبات الى الدولة ورجالها ، والتمس من الشيخ الوالد (١) أن يكتب له أيضا مكاتبات لما يعتقده من قبول كلامه واشارته عندهم ومضمون ذلك الشكوى من عثمان بيك ابن العظم والى الشام ، وطلب عزله عنها بسبب انضمام بعض المصريين المطرودين اليه ومعاونته لهم ، وطلب منه أن يرسل من طرفه أناسا مخصوصين . فأرسل الشيخ عبد الرحمن العريشى ومحمد افندى البردلى فسافروا مع الهدية وغرضه بذلك وضع قدمه بالقطر الشامى أيضا .

ذوالقعدة

فى ١٢ منه (٢٠ مارس ١٧٦٩ م) :

رسم بنفى جماعة من الأمراء أيضا ، وفيهم ابراهيم أغا الساعى اختيار متفرقة ، واسماعيل أفندى جاويشان وخليل أغا باشجاويشان جمليان وباشجاويش تفكجيان ومحمد أفندى جراكسة ورضوان بيك تابع حسن بيك رضوان والزعفرانى.

(١) يقصد والد الجبرتى

فأرسل منهم الى دمياط ورشيد واسكندرية وقبلى، وأخذ منهم دراهم قبل خروجهم ، واستولى على بلادهم وفرقها فى أتباعه . وكانت هذه طريقته فيمن يخرجه : يستصفى أموالهم أولا ، ثم يخرجهم ويأخذ بلادهم واقطاعهم فيفرقها على مماليكه وأتباعه الذين يؤمرهم فى مكانهم . ونفى أيضا ابراهيم كتخدا جدك وابنه محمد الى رشيد ، وكان ابراهيم هذا كتخداه ثم عزله وولاه الحسبة ، فلما نفاه ولى مكانه فى الحسبة مصطفى أغا .

سنة ١١٨٣ هجريه

المحرم

(مايو ١٧٦٩ م) :

فيه : أخرج على بيك عثمان أغا الوكيل من مصر منفيا الى جهة الشام ، وكذلك أحمد أغا أغات الجوالى وأغات الضربخانة الى جهة الروم . وكان أحمد أغا هذا رجلا عظيما ذا غنية كبيرة وثروة زائدة ، فصادره على بيك فى ماله وأمره بالخروج من مصر ، فأحضر المطربازية والدلالين والتجار وأخرج متاعه وذخائره وباعها بسوق المزاد بينهم ، فبيع موجوده من أمتعة وثياب وجواهر وتحف وأسلحة وكتب وأشياء نفيسة وهو ينظر اليها ويتحسر ، ثم سافر الى جهة الاسكندرية .

وفيه : تولى محمد باشا الذى كان بقصر عبد الرحمن كتخدا بشاطىء النيل، ولعله مات مسموما، ودفن بالقرافة الصغرى عند مدافن الباشوات بالقرب من الامام الشافعى .

ونزل الحج ودخل الى مصر مع أمير الحج خليل بيك بلفيا فى أمن وأمان .

صفر

(يونيو ١٧٦٩ م) :

وصل باشا من طريق البر ، وطلع الأمراء الى العادلية لملاقاته ، ونصبوا خيامهم ودخل بالموكب .

وفيه : أخرج على بيك حسن بيك رضوان وأتباعه الى مسجد وصيف ثم نقل منها الى المحلة الكبرى فأقام سنين .

وفيه : أرسل على بيك تجريدة الى سويلم ابن حبيب والهنادى بالبحيرة وباش التجريدة اسماعيل بيك . وذلك أن ابن حبيب لما رحل من دجوة ، ذهب الى البحيرة وانضم الى عرب الهنادى. وكان المتولى على كشوفية البحيرة عبد الله بيك ، تابع على بيك ، فحاربوه وحاربهم حتى قتل عبد الله بيك المذكور فى المعركة ونهبوا متاعه ووطاقه .

وكان أحمد بيك بشناق لما خرج من مصر هاربا ، بعد قتل صالح بيك ، ذهب الى الروم فصادف هناك جماعة من الهربانين ، ومنهم يحيى السكرى وعلى أغا المعمار وعلى بيك الملط وغيرهم، وزيفوا بسبب المغرضين لعلى بيك بدار السلطنة فنزلوا فى مركبين الى درنة فوصلوها متفرقين ، فالتى وصلت أولا بها يحيى السكرى وعلى المعمار والملط ، فركبوا عندما وصلوا الى درنة ، وذهبوا الى الصعيد ووصلت المركب الأخرى بعد أيام وبها أحمدبيك بشناق فطلع الى عندالهنادى . فلما وصل اسماعيل بيك ومن معه بالتجريدة تحاربوا مع الحبابية ووصلت المركب الأخرى بعد أيام وبها أحمد بيك بشناق فطلع الى عند الهنادى . فلما وصل اسماعيل بيك ومن معه بالتجريدة فتحاربوا مع الحبايبة والهنادى — ومعهم أحمد بيك بشناق — ثلاثة أيام . وكان سويلم بن حبيب منعزلا فى خيمة صغيرة عند امرأة بدوية بعيدا عن المعركة ، فذهب بعض العرب وعرف الأمراء بمكانه ، فكبسوه وقتلوه وقطعوا رأسه ورفعوها على رمح .. واشتهر ذلك فارتفع الحرب من بين الفريقين وتفرق الهنادى وعرب الجزيرة والصوالحة وغيرهم ، وراحت كسرة على الجميع ، ولم يقم لهم قائم من ذلك اليوم .

وتغيب أحمد بيك بشناق فلم يظهر الا بعد مدة ببلاد الشام .

وفيه : تقلد أيوب بيك على منصب جرجا ، وخرج مسافرا ومعه عدة كبيرة من العساكر والأجناد ، فوصلوا الى قرب أسيوط . فوردت الأخبار باجتماع الأمراء المنافى وتملكهم أسيوط وتحصنهم بها .

وكان من أمرهم أنه لما ذهب محمد بيك أبوالذهب الى جهة قبلى لمنابذة شيخ العرب همام(١) كماتقدم ، وجرى بينهما الصلح على أن يكون لهمام من حدود برديس (٢) وتم الأمر على ذلك ورجع محمد بيك الى مصر ، وأرسل على بيك يقول له : « انى أمضيت ذلك بشرط أن تطرد المصريين الذين عندك ، ولا تبقى منهم أحدا بدائرتك فجمعهم وأخبرهم بذلك . وقال لهم : « اذهبوا الى أسيوط واملكوها قبل كل شىء فان فعلتم ذلك كان لكم بها قوة ومنعة ، وأنا أمدكم بعد ذلك بالمال والرجال » فاستصوبوا رأيه وبادروا وذهبوا الى أسيوط — وكان بها عبد الرحمن كاشف من طرف علىبيك وذىالفقار كاشف — وقد كانوا حصنوا البلدة وجهاتها ، وبنوا كرانك والبوابة ، وركب عليها المدافع .. فتحيل القوم ليلا وزحفوا الى البوابة ، ومعهم أنخاخ وأحطاب ، جعلوا فيها الكبريت والزيت ، وأشعلوها وأحرقوا الباب ، وهجموا على البلدة ، فلم يكن له بهم طاقة لكثرتهم وهم جماعة صالح بيك وباقى القاسمية ، وجماعة الخشاب ، وجماعة الفلاح ، وجماعة مناو ، ويحيى السكرى وسليمان الجلفى وحسن كاشف ترك وحسن بيك أبو كرش ومحمد بيك الماوردى وعبد الرحمن كاشف من خشداشين صالح بيك — وكان من الشجعان — ومحمد كتخدا الجلفى وعلى بيك الملط — تابع خليل بيك — وجماعة كشكش وغيرهم ، ومعهم كبار الهوارة وأهالى الصعيد — فملكوا أسيوط وتحصنوا بها ، وهرب من كان فيها .

وردت الأخبار بذلك الى على بيك فعين للسفر ابراهيم بيك بلفيا ومحمد بيك أبو شنب وعلى بيك الطنطاوى ، ومن كل وجاق جماعة وعساكر ومغاربة ، وأرسل الى خليل بيك القاسمى المعروف بالأسيوطى فأحضره من غزة ، وطلع هو وابراهيم بيك — تابع محمد بيك — بعساكر أيضا، وعزل الباشا وأنزله وحبسه ببيت ايواظ بيك عند الزير المعلق . ثم سافر محمد بيك أبو الذهب ورضوان بيك وعدة من الأمراء والصناجق ، وضم اليهم ماجمعه وجلبه من العساكر المختلفة الأجناس من دلاة ودروز ومتاولة وشوام ، وسافر الجميع براً وبحرا حتى وصلوا الى أيوب بيك ، وهو يرسل خلفهم فى كل يوم بالامداد والجبخانات والذخيرة والبقسماط ، وذهب الجميع الى أن وصلوا قرب أسيوط ، ونصبوا عرضيهم عند جزيرة منقباط ، وتحققوا وصول محمد بيك ومن معه ، وفرحوا بذلك لأنهم كانوا رأوا فى زايرجات الرمل سقوطه فى المعركة ، ثم اجمعوا رأيهم على أن يدهموهم آخر الليل ، فركبوا فى ساعة معلومة ، وسار بهم الدليل فى طوق الجبل ، وقصدوا النزول من محل كذا على ناحية كذا من العرضى ، فتاه وضل بهم الدليل حتى تجاوزوا المكان المقصود بنحو ساعتين ، وأخذوا جهة العرضى فوجدوه قبليهم بذلك المقدار ، وعلموا فوات القصد ، وأن القوم متى علموا حصولهم خلفهم ملكوا البلدة من غير مانع قبل رجوعهم من المكان الذى أتوا منه ، فما

(١) هو شيخ العرب همام بن يوسف الهوارى . وبقدر ماكانت هيبة سويلم بن حبيب فى الوجه البحرى تقوم على الرهبة من طغيانه وفجوره ، كانت هيبة همام بن يوسف فى الوجه القبلى تقوم على الاعجاب بشهامته وتقدير مجموعة الصفات النادرة التى كونت شخصيته الفذة . (رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ٤٨)

(٢) كان سبق صلح سنة ١١٤٩ هـ (١٧٣٦ م) عقده همام مع ابراهيم كخيا ، مؤداه التنازل لهمام عن التزام برديس وفرشوط .

وسعهم الا الذهاب اليهم ومصادمتهم على أى وجه كان ، فلم يصلوهم الا بعد طلوع النهار .

وتيقظ القوم واستعدوا لهم فالتطموا معهم — وهم قليلون بالنسبة اليهم — ووقع الحرب ، واشتد الجلاد ، وبذلوا جهدهم فى الحرب ، ويصرخ الكثير منهم بقوله : « أين محمد بيك ! » فبرز اليهم محمد بيك أبو شنب وهو يقول : « أنا محمد بيك » .. فقصدوه وقاتلوه وقاتلهم حتى قتل ، وسقط جواد يحيى السكرى فلم يزل يقاتل ويدافع حصة طويلة حتى تكاثروا عليه وقتلوه ، وعبد الرحمن كاشف القاسمى يحارب بمـدفع يضربه وهو على كتفه . والجلت الحرب عن هزيمتهم ونصرة المصريين عليهم ، وذلك عند جبانة أسيوط (١) ، فتشتتوا فى الجهات ، والضـموا الى كبار الهـوارة ، وملك المصريون أسيوط ، ودفنوا القتلى ومحمد بيك أبو شنب ، واغتم محمد بيك أبو الذهب لموته ، وفرح لوقوع الزايرجة عليه ومفاداته له لأنه كان يعلم ذلك أيضا .

وأقاموا بأسيوط أياما ، ثم ارتحلوا الى قبلى بقصد محاربة همام والهوارة . واجتمع كبار الهوارة مع من انضم اليهم من الأمراء المهزومين .. فراسل محمد بيك اسماعيل أبو عبد الله — وهو ابن عم همام — واستماله ومناه ، وواعده برياسـة بلاد الصعيد عوضا عن شيخ العرب همام ، حتى ركن الى قوله ، وصدق تمويهاته ، وتقاعس وتثبط عن القتال وخذل طوائفه .

ولمـا بلغ شيخ العرب همام ماحصـل ورأى فشل القوم ، خرج من فرشوط ، وبعد عنها مسافة ثلاثة أيام ومات مكمودا مقهورا ، ووصل محمد بيك ومن معه الى فرشوط فلم يجـدوا مانعـا فملكوها ونهبوها وأخذوا جميع ماكان بدوائر

(١) وكانت معركة أسيوط من أحسم المواقع فى تاريخ على بيك ، وهى التى أكدت له النصر ، فأصبح سيد الوجهين وصاحب النفوذ المطلق فى جميع انحاء مصر .

(رفعت رمضان — على بيك الكبير — ص ٥٢) .

همام وأقاربه وأتباعه من ذخائر وأموال وغلال ، وزالت دولة شيخ العرب همام من بلاد الصعيد من ذلك التاريخ كأنها لم تكن .

ورجع الأمراء الى مصر ومحمـد بيك أبو الذهب ، وصـحبته درويش بن شـيخ العرب همام ، فانه لمـا مات أبوه ، وانكسر ظهر القوم بموته ، وعلموا أنهم لانجاح لهم بعده .. أشاروا على ابنه بمقابلة محمد بيك وانفصلوا عنه وتفرقوا فى الجهات ، فمنهم من ذهب الى درنة ، ومنهم من ذهب الى الروم ، ومنهم من ذهب الى الشـام . وقابل درويش بن همام محمد بيك ، وحضر صحبته الى مصر ، وأسـكنه فى مكان بالرحبـة المقابلة لبيته ، وصار يركب ويذهب لزيارة المشاهد ويتفرج على مصر ويتفرج عليه الناس ويعدون خلفه وأمامه لينظروا ذاته ، وكان وجيهـا طويلا أبيض اللون أسود اللحيـة جميـل الصورة .. ثم ان على بيك أعطاه بلاد فرشوط والوقف بشفاعة محمد بيك ، وذهب الى وطنه فلم يحسن السير والتدبير ، وأخذ أمره فى الانحلال ، وحاله فى الاضمحلال ، وأرسل من طالبه بالأموال والذخائر فأخذوا ماوجدوه ، وحضر الى مصر والتجأ الى محمـد بيك فأكرمه وأنزله بمنزل بجواره ، فلم يزل مقيمـا به حتى خرج محمد بيك من مصر مغاضبا لأستاذه فلحق به وسافر الى الصعيد .

وخلص الاقليم المصرى بحرى وقبلى الى على بيك وأتباعه . فشرع فى قتل المنافى الذين أخرجهم الى البنادر مثل دمياط ورشـيد والاسـكندرية والمنصورة ، فكان يرسل اليهم ويخنقهم واحدا بعد واحـد .. فخنق على كتخدا الخربطلى برشيد ، وحمزة بيك — تابع خليل بيك — بزفتـا وقتلوا معه سليمان أغا الوالى واسماعيل بيك أبا مدفع بالمنصورة وعثمان بيك — تابع خليل بيك — هرب الى مركب البيليك فحماه وذهب الى اسلامبول

ومت هناك . ونفى أيضا جماعة وأخرجهم من مصر ، وفيهم سليمان كتخدا المشهدى وابراهيم افندى جمليان . ومات الباشا المنفصل بالبيت الذى نزل فيه ولحق بمن قبله .

رمضان

أوله (٢٩ ديسمبر ١٧٦٩ م) :

اتفق أن علي بيك صلى الجمعة الأولى من رمضان بجامع الداودية ، فخطب الشيخ عبد ربه ودعا للسلطان ثم دعا لعلى بيك . فلما انقضت الصلاة ، وقام على بيك يريد الانصراف ، أحضر الخطيب — وكان رجلا من أهل العلم يغلب عليه البله والصلاح — فقال له : « من أمرك بالدعاء باسمي على المنبر ؟ أقيل لك أني سلطان ؟ » فقال : « نعم أنت سلطان وأنا أدعو لك » . فأظهر الغيظ وأمر بضربه ، فبطحوه وضربوه بالعصى . فقام بعد ذلك متألما من الضرب .وركب حمارا وذهب الى داره وهو يقول فى طريقه : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ » . ثم ان على بيك أرسل اليه فى ثانى يوم بدراهم وكسوة واستسمحه .

سنة ١١٨٤ هجرية

فيها ورد على على بيك ، الشريف عبد الله (١)

(١) هو الشريف عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات . وقد اتخذ على بيك تلك الحادثة سببا مباشرا لاعداد حملة كان الغرض الظاهرى منها مساعدة الشريف عبد الله ، بينما كان غرضه الحقيقى منها تعيين شريف لمكة يخلص لمصلحته ويضمن بطاعته ولاء ذلك الجزء الهام من الدولة الاسلامية . اذ أن وجود شريف فى مكة من صنائع الدولة العثمانية كان مثارا لمتاعب جمة قد تؤدى الى فساد امر الحج وسخط الحجاج من مصر والشرق ولضعف من مركزه فى مصر اذا اقترن وجوده فى الحكم بتلك المتاعب فتعيين شريف من صنائعه كان عاملا اساسيا فى نظره يضمن به هدوء الاحوال . ويدخل فى اغراضه ايضا الشهرة التى يحوزها بحمايته للحرمين الشريفين وما كان سيفيده من نفوذ فى مصر ، وهيبة بلاد المغرب والسودان وبلاد الشام وما يليها بتأمين الحج للمسلمين .

(د رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ١٣٨ — ١٣٩)

من أشراف مكة ، وكان من أمره أنه وقع بينه وبين ابن عمه الشريف أحمد ، أخى الشريف مساعد (١) ، منازعة فى امارة مكة بعد وفاة الشريف مساعد ، فتغلب عليه الشريف أحمد واستقل بالامارة ، وخرج الشريف عبد الله هاربا ، وذهب الى ملك الروم واستنجد به ، فكتب له مكاتبات لعلى بيك بالمعونة والوصية والقيام معه ، وحضر الى مصر بتلك المكاتبات فى السنة الماضية .

وكان على بيك مشتغلا بتمهيد القطر المصرى ، ووافق ذلك غرضه الباطنى :وهو طمعه فى الاستيلاء

(١) يذكر الاستاذ رفعت رمضان فى كتابه «على بيك الكبير ص١٣٩» ان رواية الجبرتى هذه تحتاج الى تصحيح . فيقول « وايراد المسألة على تلك الصورة يحتمل اخطاء تاريخية : أولها انه جعل وفاة الشريف مساعد فى ١١٨٣ ه والواقع أن الشريف مساعد توفى فى يوم الاربعاء لثلاث بقين من شهر المحرم سنة أربع وثمانين ومائة وألف ، وكانت ولايته تسع عشرة سنة الا ثلاثة اشهر . (ابن دحلان ص ٢٠٠ — ٢٠١) ثم عاد فذكر (أى الجبرتى) أنه وقع بين الشريف عبد الله وابن عمه الشريف أحمد أخى الشريف مساعد منازعة فى امارة مكة بعد وفاة الشريف مساعد فاستنجد عبد الله بملك الروم الذى أوصى به على بيك . وهذه الرواية تحتمل غموضا يؤدي الى الخطأ ، فقد وقع تنافس حقا على امارة مكة بين الشريفين احمد وعبد الله ، ولكنه ليس عبد الله الذى يقصده فان هذا تولى الشرافة فعلا ولم يحضر الى مصر ، وانما الذى استعان بعلى بيك هو ابن عمه عبد الله بن حسين من آل بركات .

ومجمل ماحدث انه بعد عودة المحمل المصرى صحبة أبى الذهب عام ١١٨٣ ه ثم انتصار الشريف مساعد على عبد الله بن حسين غر هذا عقب الصلح الى على بيك يستنجده للمرة الثانية . وبينما كان على بيك يعد الحملة توفى الشريف مساعد قبل وصول الحملة المصرية الى بلاد العرب فى المحرم ١١٨٤ ه (ابريل ١٧٧٠ م) . وكان قد عقد البيعة لاخيه الشريف عبد الله بن سعيد . فما كاد عبد الله هذا يتولى الشرافة حتى نازعه اخوه الشريف احمد ابن سعيد وقال : « انا لها ، انا لها » فنزل له عن الشرافة وقلده اياها ١١٨٤ ه . وهكذا قدر أن تأتى الحملة المصرية لخلع الشريف مساعد فلا تجده فتضطر فيما بعد الى خلع الشريف احمد . (ابن دحلان ص ٣٠٢ ، ومرعى التواريخ حوادث سنة ١١٨٧ ه) . وقد انفرد الجبرتى بذكره أن الشريف عبد الله استنجد بملك الروم فكتب له مكاتبات لعلى بيك بالمعونة والوصية والقيام معه . ومن العجيب أن السلطان العثمانى بعث الى على بيك بمثل هذا الرجاء فى اواخر ١١٨٣ ه واوائل ١١٨٤ ه (١٧٧٠ م) ،وهى السنة التى وضحت فيها اطماعه ونواياه . فهل كان يريد من ذلك ان يغريه على أن يقذف بنفسه وجيشه فى بلاد العرب لينهكه ويقضى على قوته كما طلب ذلك من محمد على فيما بعد ، ام ان الجبرتى اورد ذلك مجرد الايراد دون تثبت ؟ وهو المرجح .

على الممالك . فأنزله فى مكان ، وأكرمه ورتب له كفايته ، وأقام بمصر حتى تمم أغراضه بالقطر ، وخلص له قبلى وبحرى ، وقتل من قتله ، وأخرج من أخرجه — فالتفت عند ذلك الى مقاصده البعيدة ، وأمر بتجهيز الذخائر والاقامات ، وعمل البقسماط الكثير حتى ملأوا منه المخازن ببولاق ومصر القديمة والقصور البرانية وبيوت الأمراء المنافى الخالية . ثم عبوا ذلك وأرسل مع باقى الاحتياجات واللوازم من الدقيق والسمن والزيت والعسل والسكر والأجبان فى البر والبحر ، واستكتب أصناف العساكر أتراكا ومغاربة وشواما ومتاولة ودروزا وحضارمة ويمانية وسودانا وحبوشا ودلاة وغير ذلك ، وأرسل منهم طوائف فى المقدمات والمشاة ، أنزلوهم من القلزم فى المراكب وصحبتهم الجبخانات والمدافع وآلات الحرب .

صفر

(يونيو ١٧٧٠ م) :

خرجت التجريدة ، بعد دخول الحجاج ، فى تجمل زائد ، ومهيأ عظيم . وسارى عسكرها محمد بيك أبو الذهب ، وصحبته حسن بيك ومصطفى بيك وخلافهم (١) .

ربيع الأول

فى ٢٢ منه (١٦ يوليو ١٧٧٠ م) :

وردت الأخبار من الأقطار الحجازية بوقوع حرابة عظيمة بين المصريين وعرب الينبع وخلافهم من قبائل العربان والأشراف ، ووقعت الهزيمة على المذكورين ، وانتصر عليهم المصريون ، وقتل وزير الينبع (٢) المتولى من طرف شريف مكة ، وقتل معه خلائق كثيرة .

(١) يذكر ابن دحلان ص ٢٠٠ أنه كان بالحملة ثلاثة صناجق وثلاثة آلاف من العسكر وثلاثون مدفعا .

(٢) كان درويش آغا وزير ينبع فى هذا الوقت (ابن دحلان — ص ٢٠٢)

وفى هذا الشهر ابتدأ القحط والشدة بمصر بسبب المصاريف المتسببة عن هذه الحرب ، فان هذه التجريدة تكلفت ٢٦ مليون فرنك (١)

ربيع الآخر

فى ٩ منه (٢ أغسطس ١٧٧٠ م) :

وصل نجاب الى مصر من الديار الحجازية ، وأخبر بدخول محمد بيك ومن معه الى مكة وانهزام الشريف أحمد وخروجه هاربا (٢) . ونهب المصريون دار الشريف ومن يلوذ به ، وأخذوا منها أشياء كثيرة من أمتعة وجواهر وأموال لها قدر .

وجلس الشريف عبد الله فى امارة مكة ، ونزل حسن بيك الى بندر جدة وتولى امارتها عوضا عن الباشا الذى تولاها من طرف ملك الروم ، ولذلك عرف بالجداوى .. وأقام محمد بيك أياما بمكة ثم عزم على المسير والرجوع الى مصر ، ووصلت الأخبار والبشائر بذلك ، وأرسلت اليه الملاقاة بالعقبة وخلافها .

رجب

أوائله (أواخر اكتوبر ١٧٧٠ م) :

لما ورد الخبر بوصوله الى العقبة خرجت الأمراء الى بركة الحج والدار الحمراء لانتظار قدومه .

فى ٨ منه (٢٨ اكتوبر ١٧٧٠ م) :

وصل ودخل الى مصر فى موكب عظيم وأتت اليه العلماء والأعيان للسلام وقصدته الشعراء بالقصائد والتهانى .

(١) نقلنا هذا الخبر من التوفيقات الالهامية .

(٢) هرب الى الطائف . ويقول ابن دحلان ص ٢٠٣ : « كان هروبه فى منتصف ربيع الأول ١١٨٤ هـ (٩ يوليو ١٧٧٠ م) .

فى منتصفه (٤ نوفمبر ١٧٧٠ م) :

عزل على بيك عبد الرحمن أغا مستحفظان . وقلد عوضه سليم أغا الوالى ، وقلد عوض الوالى موسى أغا من أتباعه ، وأمر عبد الرحمن أغا بالسفر الى ناحية غزة — وهى أول حركاته الى جهة الشام — وأمره بقتل سليط شيخ عربان غزة .. فلم يزل يتحيل عليه حتى قتله هو واخوته وأولاده . وكان سليط هذا من العصاة العتاة ، له سير وأخبار .

وفيه : زاد اهتمام على بيك بالتحرك على جهة الشام ، واستكثر من جمع طوائف العساكر ، وعمل البقسماط والبارود والذخائر والمؤن وآلات الحرب ، وأمر بسفر تجريدة وأميرها اسماعيل بيك (١) ، وصحبته على بيك الطنطاوى وعلى بيك الحبشى ، فبرزوا الى جهة العادلية ، وخرجوا بما معهم من طوائف العسكر والمماليك والأحمال والخيام والجبخانات والعربات والضوية وقرب الماء الكثيرة على الجمال والكرارات والمطابخ والطبول والزمور والنقاقير وغير ذلك . فلما تكامل خروجهم أقاموا بالعادلية أياما حتى قضوا لوازمهم وارتحلوا وسافروا الى جهة الشام .

فى ٢١ منه (١٠ نوفمبر ١٧٧٠ م) :

برزت تجريدة أخرى ، وعليها سليمان بيك وعمر كاشف وجملة كثيرة من العساكر ، فنزلوا من طريق البحر على دمياط .

ذو القعدة

فى ١٠ منه (٢٥ فبراير ١٧٧١ م) :

وردت أخبار من جهة الشام ، وأشيع وقوع حرابات بينهم وبين حكام الشام وأولاد العظم .

(١) لاسماعيل بيك مواقف مشهورة منها : القضاء على سويلم ابن حبيب ، وانتصاراته فى الحجاز ، وتآمره على أبى الذهب فى حملة الشام ، ثم توليه المشياخة فيما بعد .

فى منتصفه (٢ مارس ١٧٧١ م) :

خرجت تجريدة أخرى ، وسافرت على طريق البر على النسق .

فى ١٧ منه (٤ مارس ١٧٧١ م) :

طلب على بيك حسن أغا تابع الوكيل والروزنامجى وباش قلفه واسماعيل أغا الزعيم وآخرين ، وصادرهم فى نحو أربعمائة كيس بعد ماعوقهم أياما .

فى اواخره (اوائل مارس ١٧٧١ م) :

عمل على بيك دراهم على القرى ، وقرر على كل بلد مائة ريال وثلاثة ريالات حق طريق ، فضجت الناس من ذلك ، وطلب من النصارى القبط مائة ألف ريال ، ومن اليهود أربعين ألفا ، وقبضت جميعها فى أسرع وقت .

سنة ١١٨٥ هجرية

وفيها : أخرج على بيك تجريدة عظيمة ، وسر عسكرها وأميرها محمد بيك أبو الذهب وأيوب بيك ورضوان بيك وغيرهم كشاف وأرباب مناصب ومماليكهم وطوائفهم وأتباعهم ، وعساكر كثيرة من المغاربة والترك والهنود واليمانية والمتاولة . . . وخرجوا فى تجمل زائد واستعداد عظيم ، ومعهم الطبول والزمور والذخائر والأحمال والخيام والمطابخ والكرارات والمدافع والجبخانات ومدافع الزنبلك على الجمال ، وأجناس العالم ألوفا مؤلفة . وكذلك أنزلوا الاحتياجات والأثقال وشحنوا بها السفن ، وسافرت من طريق دمياط فى البحر . (١)

(١) كان على بيك يطمع فى ان تمتلك البندقية جزر الدولة العثمانية فى البحر الابيض . وارسل الى البندقية يعرض محالفته ومساعدته لها لتكون قاعدة حربية له . فردت جمهورية البندقية شاكرة ومعتذرة . وقام بهذه الرسالة يعقوب الارمنى أحد معاونى على بك . (رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ١٦٠) .

فلمـا وصـلوا الى الديار الشامية ، حاصروا يافا وضيقوا عليها حتى ملـكوها بعد أيام كثيرة ، ثم توجهوا الى باقى المـدن والقـرى وحاربهم النـواب والولاة وهزموهم وقتلوهم وفروا من وجوههم واستولوا على الممالك الشامية الى حد حلب .

ربيع الأول

(يونية ـ يولية ١٧٧١ م) :

وردت البشائر بذلك فنودى بالزينة ، فزينت مصر وبولاق ومصر العتيقة زينة عظيمة ثلاثة أيام بلياليها وعملت وقدات وأحمال قناديل وشـموع بالأسواق وسائر الجهات ، وعملوا ولائم ومغانى وآلات وطبولا وشنكا وحراقات .

وتعاظم على بيك فى نفسه ولم يكتف بذلك ، فأرسل الى محمد بيك يأمره بتقليد الأمراء المناصب والولايات على البلاد التى افتتحوها وملكوها ، وأن يستمر فى سيره ويتعدى الحدود ، ويستولى على الممالك الى حيث شاء ، وهو يتابع اليه ارسال الامـدادات واللوازم والاحتياجات ، ولا يثنون عنانهم عما يأمرهم به (١) .

فعند ذلك جمع محمد بيك أمراءه وخشداشينه الكبار فى خلوة وعرض عليهم الأوامر ، فضـاقت نفوسهم ، وسئموا الحرب والقتال والغربة وذلك مافى نفس محمد بيك أيضـا . ثم قـال لهم : «ماتقولون ؟» . قالوا : « وما الذى نقوله والرأى لك ، فأنت كبيرنا ، ونحن تحت أمرك واشـارتك ولا نخالفك فيما تأمر به ».. فقال : « ربما يكون رأيى مخالفا لأمر أستاذنا » . قالوا : « ولو مخالفا لأمره فنحن جميعا لانخرج عن أمرك واشارتك » . فقال : « لا أقول لكم شيئا حتى تتحالف جميعـا وتتعاهد على الرأى الذى يكون بيننا » . ففعلوا ذلك ، وتعاهدوا وحلفوا على السيف والكتاب .

ثم انه قال لهم : « ان أستاذكم يـريد أن تقطعوا أعمـاركم فى الغربة والحرب والأسـفار والبعد عن الأوطان ، وكلما فرغنـا من شىء فتح علينا غيره . فرأيى أن نكون على قلب رجل واحد ونرجع الى مصر ولا نذهب الى جهة من الجهات ، وقد فرغنا من خدمتنا ، وان كان يريد غير ذلك من الممالك يولى أمراء غيرنا ويرسلهم الى مايريد ، ونحن يكفينا هذا القدر ونرتاح فى بيوتنا وعنـد عيالنا » . فقالوا جميعـا : « ونحن على رأيك » . وأصبحوا راحلين وطالبين الى مصر (١) .

رجب

اواخره (اوائل نوفمبر ١٧٧١ م) :

حضروا على خلاف مراد مخدومهم (٢) ، وبقى الأمر على السكوت . ثم ان على بيك قلد أيـوب بيك امارة جرجا وقضى أشغاله وسافر الى الصعيد بطائفته وأتباعه .

انقضى شـعبان ورمضان (نوفمبر وديسمبر ١٧٧١ م) : وعلى بيـك مصمم على رجوع محمد

---

(١) ذكر الرحالة فولنى ـ ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام ـ ترجمة ادوار البستانى « ان الاشاعات تواترت بان عدد الحملة المصرية ٦٠٫٠٠٠ مقاتل وان الاوربيين دهشوا لضخامة تلك الحملة لظنهم ان كفاءة الجندى المصرى لاتقل عن نظيره الروسى أو البروسى . ثم ذكر ان الجيش كان معدوم النظام فرسانه مختلفو السلاح واللبس وخيولهم مختلفة الألوان والاحجام ، لا يسيرون فى صفوف منظمة أو وفق توزيع خاص » .

(١) حاول كثير من الكتاب والمؤرخين تعليل هذا الانسحاب فمنهم من ينسب ذلك الى اسماعيل بيك لميله الى الدولة العثمانية وحسده لأبى الذهب فحرضه على عدم اطاعته لأوامر على بيك . ومنهم من ينسبه الى أبى الذهب نفسه ، فكان يدبر وسيلة للقضاء على على بيك منذ زمن طويل وأنه كان يعبد لنفسه طريق الحكم والسلطان عندما تنضج الثمرة . وقد حانت الفرصة فعاد لاقتطافها .

(رفعت رمضان ـ على بيك الكبير ص ١٧٤)

(٢) روج ابو الذهب اشاعة قبيل الانسحاب بوفاة على بيك . ابتكرها بنفسه وروجها انصاره بقصد اغراء الجند على سرعة العودة الى مصر .

(المصدر السابق ص ١٧٦)

بيك الى جهة الشام ، وذلك مصمم على خلاف ذلك ، وبدت بينهما الوحشة الباطنية .

مشـــوال

فى ٤ منه (١٠ يناير ١٧٧٢ م) :

فى هــذه الليلة : بيت على بيــك مـع على بيك الطنطاوى وخلافه ، واتفق معهم على غــدر محمد بيك .. فركبوا عليه ليلا وأحاطوا بداره ، ووقفت له العساكر بالأسلحة فى الطرق . فركب فى خاصته وخرج من بينهم وذهب الى ناحية البساتين وارتحل الى الصعيد (١) فحضر اليه بعض الأمراء أصحاب المناصب ، وعــلى كاشف ، تابع ســليمان افنــدى كاشف ، شرق أولاد يحيى ، وقدموا له ما معهم من الخيام والمال والاحتياجات . ولم يزل فى سيره حتى وصــل الى جــرجا ، واجتمع عليه أيوب بيك خشداشــه ، وأظهــر له المصــافاة والمؤاخاة ، وقدم له هدايا وخيولا وخياما .. فلم يلبث الا وقــد أحضر عيــون محمد بيك الذين أرصدهم بالطريق رجلا ومعه مكاتبة من على بيك ، خطابا لأيوب بيك ، يأمــره ويســتحثه على عمل الحيلة وقتل محمد بيك بأى وجه أمكنه ويعــده امارته وبلاده وغير ذلك .

فلما قرأ المراسلة وفهم مضمونها أكرم الرجل وقال له : « تذهب اليه بالكتاب وائتنى بجــوابه ولك مزيدالاكرام» . فذهب ذلك الساعى وأوصل الكتاب الى أيوب بيــك وطلب منه رد الجواب وأعطاه الجواب وذكر فيه أنه مجتهــد فى الغرض ، ومترقب حصول الفرصة ، فحضر محمد بيك .

فعند ذلك استعد محمد بيك وتحقق ونفاقه . فاتفق مع خاصــته وأمرائه بالاسـ والوثوب ، وأنه اذا حضر اليه أيوب بيك أرباب المناصب لظراءهم وتحفظوا عليهم . حضر فى صبحها أيوب بيك جلس معه فى خ وأخــذ كل من الخازندار والكتخدا والجو والسلحدار نظراءهم من جماعة محمد بيك ثم قال محمد بيك يخاطب أيوب بيك : « ترى نحن مستمرون على الأخوةوالمصافاة وال والعهد واليمين الذى تعاقدنا عليه بالشــام قال : « نعم وزيادة » . قال : « ومن نكث وخان اليمين ونقض العهــد ؟ » . قال : « لســانه الذى حلف به ويــده التى وضعهـ المصحف » . فعند ذلك قال له : « بلغنى أن كتاب من أستاذنا على بيك » ، فجحد ذلك . « لعل ذلك صحيح وكتبت له الجواب أيض قال : « لم يكن ذلك أبدا ، ولو أتانى منه لأطلعتك عليه ولا يصح أنى أكتمه عنك أو جوابا » .

فعند ذلك أخرج له الجواب من جيبه ، و اليه ذلك الرسول .. فسقط فى يده ، وأخذ ب بارد العذر . فعند ذلك قال له : « حينئذ لا مرافقتك معى وقم فاذهب الى ســيدك » . بالقبض عليه وأنزلوه الى المركب ، وأحاط ب وأسبابه وتفرقت عنه جموعه . فلما صار وحـ قبضته أحضر عبد الرحمن أغا ، وكان اذ ذاك قبلى ، وانضم الى محمد بيك فقال له : « الى أيوب بيك واقطع يده ولسانه كما حك نفسه بذلك » . فأخذ معه المشاعلى وحضر ا السفينة وقطعوا يمينه ثم شبكوا فى لسانه

(١) امر على بيك باغلاق ابواب القاهرة ، فاغلقت ، وامر الحرس بعدم السماح لكائن من كان بولوجها داخلا أو خارجا ، وتهيأت النفوس لحدث على وشك الوقوع دون أن يعلموا كنهه . لم عهد الى على بيك طنطاوى واتباعه فى تنفيذ الخطة . ولكن أبا الذهب كان أسعد حظا ، لقد نجح فى اختراق الحصار الذى ضرب حول منزله لم امر حراس أحد الابواب أن يفتحوه بامر على بيك حتى يقوم باداء رسالة خطيرة أمره بها مولاه ، وبذلك تمكن من الفرار الى الصعيد .

(رفعت رمضان ـ على بيك الكبير ص ١٧٩)

وجذبوه ليقطعوه ، فتخلص منهم وألقى بنفسه الى البحر فغرق ومات (١) .

وكان قصد محمد بيك أن يفعل به ذلك ويرسله على هذه الصورة الى سيده بمصر . ثم انهم أخرجوه وغسلوه وكفنوه ودفنوه . فعند ماوقع ذلك أقبلت الأمراء والأجناد المتفرقون بالأقاليم على محمد بيك ، وتحققوا عند ذلك الخلاف بينه وبين سيده ، وقد كانوا محجمين عن الحضور اليه ويظنون خلاف ذلك ، وحضر اليه جميع المنافى وأتباع القاسمية والهوارة الذين شردهم على بيك وسلب نعمتهم ، فأنعم عليهم وأكرمهم وتلقاهم بالبشاشة والمحبة ، واعتذر لهم وواساهم وقلدهم الخدم والمناصب ، وهم أيضا تقيدوا بخدمته وبذلوا جهدهم فى طاعته .

ووصلت الأخبار بذلك الى مصر ، وحضر اليه كثير من مماليك أيوب بيك وأتباعه سوى من انضم منهم والتجأ الى محمد بيك وأتباعه . فعند ذلك نزل بعلى بيك من القهر والغيظ المكظوم ما لا يوصف ، وشرع فى تشهيل تجريدة عظيمة وأميرها وسرعسكرها اسماعيل بيك ، واحتفل بها احتفالا كثيرا ، وأمر بجمع أصناف العساكر ، واجتهد فى تنجيز أمرها فى أسرع وقت .

ذو القعدة

فى اواخره (اوائل مارس ١٧٧٢ م) :

سافروا برا وبحرا ، فلما التقى الجمعان خامر اسماعيل بيك وانضم بمن معه من الجموع الى محمد بيك وصاروا حزبا واحدا ، ورجع الذين لم يميلوا — وهم القليل — الى مصر . فعند ذلك اشتد الأمر بعلى بيك ، ولاحت على دولته لوائح

(١) بموت ايوب بهك تغير الموقف السياسى فى مصر ، ذلك أن ابا الذهب اصبح محورا التفت حوله جميع العناصر المعارضة لعلى بيك .

الزوال ، وكاد يموت من الغيظ والقهر . وقلد سبعة صناجق ، والكل مزلقون ، وسماهم أهل مصر السبع بنات (١) وهم : مصطفى بيك وحسن بيك ومراد بيك وحمزه بيك ويحيى بيك وخليل بيك كوسه ومصطفى بيك أوده باشا . وعمل لهم برق وداقما ولوازم وطبلخانات فى يومين . وضم اليهم عساكر وطوائف ومماليك وأتباعا وبرز بنفسه الى جهة البساتين ، وشرع فى تشهيل تجريدة أخرى — وأميرها على بيك الطنطاوى — وأخرج الجبخانات والمدافع الكثيرة ، وأمر بعمل متاريس من البحر الى جهة الجبل

سنة ١١٨٦ هجريه

المحرم

(ابريل ١٧٧٢ م) :

فيه : خرج على بيك الى جهة البساتين(٢) فى أواخر العام الماضى وعمل متاريس ونصب عليها المدافع من البحر الى الجبل ، واجتهد فى تشهيل تجريدة وأميرها على بيك الطنطاوى وصحبته باقى الأمراء الذين قلدهم

منتصفه (١٨ ابريل ١٧٧٢ م) :

عدوا لمحاربة محمد بيك أبى الذهب واسماعيل بيك ومن معهما ، وكانوا سائرين يريدون مصر .. فتلاقوا معهم عند بياضة (٣) ، ووقعت بينهم معركة قوية ظهر فيها فضل القاسمية — وخصوصا أتباع صالح بيك وعلى أغا

(١) مزلقون اى متزينون ناعمون . وتسميتهم بالسبع بنات كناية عن منتهى الترف وعدم الصلاحية لجهاد الحرب .

(٢) البساتين : قرية جنوبى مصر القديمة على الضفة الشرقية للنيل ، يشتغل معظم أهلها بقطع الاحجار . وعندها كان يعبر المسافرون من الصعيد الى الوجه البحرى من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ، وذلك يحدث بسهولة لوجود عدة جزر فى عرض النيل تجاه البساتين .

(٣) تجاه بنى سويف الى الشمال .

المعمار (١) — ووقعت الهزيمة على عسكر على بيك ، وساق خلفهم القبالى مسافة ، فمانعوا عن أنفسهم ، وعدوا على دير الطين ، وكان على بيك مقيما به .

فلما حصل ما حصل اشتد القهر بالمذكور ، وتحير فى أمره ، وأظهر التجلد ، وأمر بالاستعداد وترتيب المدافع ، وأقام الى آخر النهار ، وتفرق عنه غالب عساكره من المغاربة وغيرهم وحضر محمد بيك الى البر المقابل لعلى بيك ونصب صيوانه وخيامه تجاهه فتفكر على بيك فى أمره ، وركب عند الغروب وسار الى جهة مصر ، ودخل من باب القرافة ، وطلع الى باب العزب فأقام به حصة من الليل ، وأشيع بالمدينة أن مراده المحاصرة بالقلعة .

٢٥ منه (٢٨ ابريل ١٧٧٢ م) :

ثم انه ركب الى داره ، وحمل حموله وأمواله ، وخرج من مصر ، وذهب الى جهة الشام ، وصحبته على بيك الطنطاوى ، وباقى صناجقه ومماليكه وأتباعه وطوائفه (٢) .

الخميس ٢٦ منه (٢٩ ابريل ١٧٧٢ م) :

عدى محمد بيك الى بر مصر ، وأوقدوا النار فى ذلك اليوم فى الدير بعدما نهبوه ، ودخل محمد بيك الى مصر وصار أميرها . ونادى أصحاب الشرطة على أتباعه بأن لا أحد يأويهم ولا يتاويهم ، فكانت مدة غيبته سبعين يوما .

وأرسل عبد الرحمن أغا مستحفظان الى عبد الله كتخدا الباشا ، فذهب اليه بداره ، وقبض عليه وقطع رأسه . ونادى بابطال المعاملة التى ضربها

(١) من خشداشين صالح بيك الذى قتل فى عهد محمد على بيك انضم الى أبى الذهب واشترك فى معركة بياضة .

(٢) أمر على بيك رجاله بتجهيز ماله ومتاعه الخاص والاستعداد للرحيل . ثم أرسل أمرا الى المعلم رزق — وهو المتصرف فى شئون المالية المصرية — باحضار ما بالخزينة من مال . ولكن رزق كان قد اختفى .

(رفعت رمضان — على بيك الكبير — ص ١٨٤)

المذكور بيد رزق النصرانى ، وهى قروش مفرد ومجوز ، وقطع صغار تصرف بعشرة أنصاف وخمسة أنصاف ونصف قرش ، وكان أكثرها نحاسا وعليها علامة على بيك .

سنة ١١٨٧ هجرية

فيها تواترت الأخبار والارجافات بمجىء على بيك (١) من البلاد الشامية بجنود الشام وأولاد الظاهر عمر . فتهيأ محمد بيك للقائه، وبرز خيامه الى جهة العادلية ، ونصب الصيوان الكبير هناك — وهو صيوان صالح بيك — وهو فى غاية العظم والاتساع والعلو والارتفاع ، وجميعه بدوائر من جوخ صاية ، وبطانته بالأطلس الأحمر ، وطلائعه وعساكره من نحاس أصفر مموه بالذهب ، فأقام يومين حتى تكامل خروج العسكر ، ووصل الخبر بوصول على بيك بجنوده الى الصالحية .

صفر

فى ٥ منه (٢٨ ابريل ١٧٧٣ م) :

ارتحل محمد بيك فالتقى مع على بيك فى الصالحية.. وتحاربا فكانت الهزيمة على على بيك (٢) ، وأصابته جراحة فى وجهه فسقط عن جواده ، فاحتاطوا به وحملوه الى مخيم محمد بيك . وخرج اليه وتلقاه وقبل يده ، وحمله من تحت ابطه حتى أجلسه بصيوانه (٣)

(١) لم يكد يصل على بيك الى الشام حتى أصابته حمى شديدة لفرط مالاقاه من الجهد والاعياء . وقد ارسل له حليفه ظاهر طبيبه ووزيره ابراهيم الصباغ . فشفى بعد ثلاثة اسابيع

(ميخائيل نقولا المكاوى — تاريخ الشيخ ظاهر العمر ص ١٣٠)

(٢) كان لخيانة المرتزقة من مشاة المغاربة أثر أساسى فى هزيمة الصالحية ، وهى أهم المواقع الثلاث الحاسمة فى تاريخ على بيك .

(رفعت رمضان — على بيك الكبير — ص ١٩٦)

(٣) الواقع أنه رغم منافسه محمد بيك لسيده — تلك المنافسة غير الشريفة — فانه كان يجله ويحترمه .

٨ منه (١ مايو ١٧٧٣ م) :

قتل على بيك الطنطاوى وسليمان كتخدا وعمر جاويش وغيرهم .

٩ منه (٢ مايو ١٧٧٣ م) :

وصل خبر ذلك الى مصر فى الصباح ، وحضروا اليها ، وأنزل محمد بيك أستاذه فى منزله الكائن بالأزبكية بدرب عبد الحق ، وأجرى عليه الأطباء لمداواة جراحاته .

فى ١٥ منه (٨ مايو ١٧٧٣ م) :

وصل الحجاج ودخلوا الى مصر وأمير الحج ابراهيم بيك محمد .

وفى تلك الليلة : توفى الأمير على بيك وذلك بعد وصوله بسبعة أيام ... قيل انه سم فى جراحاته فغسل وكفن ، ودفنوه عند أسلافه بالقرافة .

*** * ***

وعلى بيك الكبير هو مملوك ابراهيم كتخدا ، تابع سليمان جاويش ، تابع مصطفى كتخدا القزدغلى . تقلد الامارة والصنجقية بعد موت أستاذه سنة ١١٦٨ هـ (١٧٥٤ — ١٧٥٥ م) .

وكان قوى المراس ، شديد الشكيمة ، لا يرضى لنفسه بدون السلطنة العظمى بديلا . فمما قال : أنا لا أتقلد الامارة الا بسيفى لا بمعونة أحد .

وكان يلقب بـ « جن على » ، وكان يلقب أيضا بـ « بلوط قبن » .

وقد قتل منافسيه من الرؤساء والأقران وباقى الأعيان ، وفرق جمعهم فى القرى والبلدان ، وتتبعهم خنقا وقتلا ، وأبادهم فرعا وأصلا . واستأصل كبار خشداشينه وقبيلته . وأخرم القوانين الجسيمة ، والعوائد المرتبة . وحارب كبار العربان .

واستكثر من شراء المماليك ، وجمع العسكر من جميع الأجناس ، وخلص له الاقليم المصرى من الاسكندرية الى أسوان ، ونفذ أغراضه بالبلاد الحجازية والشام ، ومنع ورود الولاة العثمانيين .

وكان يطالع كتب الأخبار والتواريخ وسير الملوك المصرية . وكان لا يجالس الا أهل الوقر والحشمة والمسنين .

وتتبع المفسدين الذين يتداخلون فى القضايا والدعاوى — بأخذ الرشوات والجعالات — وعاقبهم بالضرب الشديد ، حتى أن الشخص كان يسافر بمفرده ليلا — راكبا أو ماشيا ، ومعه حمل الدراهم والدنانير — ويبيت فى الغيط أو البرية آمنا مطمئنا ، لا يرى مكروها أبدا .

وكان عظيم الهيبة . فقد اتفق لأناس أن ماتوا فرقا من هيبته ! وكان صحيح الفراسة ، شديد الحذق ، ولا يحتاج فى التفهيم الى ترجمان أو من يقرأ له الصكوك والوثائق ، بل يقرأها بنفسه .

وهو الذى أقام المسجد الجامع والقبة على مقام سيدى أحمد البدوى ، وما يجاورها من الحوانيت للتجار ، وسميت هناك بالغورية ورتب بالمسجد عدة من الفقهاء والمدرسين والطلبة والمجاورين ، وجعل لهم خبزا وجرايات فى كل يوم .

وهو الذى جدد أيضا قبة الامام الشافعى رضى الله عنه ، وكشف ما عليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل الأيوبى فى القرن الخامس وقد تشعث وصدىء لطول الزمان ، فجدد ما تحته من خشب القبة البالى بغيره من الخشب النقى الحديث ، ثم جعلوا عليه صفائح الرصاص المسبوك الجديد المثبت بالمسامير العظيمة .. وهو عمل كثير ، وجدد نقوش القبة من داخل بالذهب واللازورد والأصباغ . وكتب بافريزها تاريخا منظوما بخط صالح افندى .

وهدم أيضا الميضأة التى كانت من عمارة عبد الرحمن كتخدا ، وكانت صغيرة مثمنة الأركان ، ووسعها ، وعمل عوضها هذه الميضأة الكبيرة . وهى مربعة مستطيلة (!) متسعة وبجانبها حنفية

وبزابيز يصب منها الماء . وحول الميضأة كراسى راحة بحيضان متسعة تجرى مياهها الى بعضها ، وماؤها شديد الملوحة !

ومن انشائه أيضا العمارة العظيمة التى أنشأها بشاطىء النيل ببولاق ، حيث دكك الحطب ، تحت ربع الخرنوب ، وهى عبارة عن قيسارية عظيمة ببابين ، يسلك منها من بحرى الى قبلى وبالعكس ، وخانا عظيما يعلوه مساكن من الجهتين ، وبخارجه حوانيت وشونة غلال ، حيث مجرى النيل ، ومسجد متوسط . فحفروا أساس جميع هذه العمارة حتى بلغوا الماء ، ثم بنوا لها خنازير مثل المنارات من الأحجار والدبش والمؤن ، وغاصوا بها فى ذلك الخندق حتى استقرت على الأرض الصحيحة ، ثم ردموا ذلك الخندق المحتوى على تلك الخنازير بالمؤن والأحجار (١) . واستعلوا عليه بعد ذلك بالبناء المحكم بالحجر النحيت ، وعقدوا العقود والقواصر ، والأعمدة والأخشاب المتينة ..

.. وبعد موته لم تزل الأرض تعلو ، والأتربة تزيد فيما بين زاوية تلك العمارة الى شون الغلال ، ويزيد نموها فى كل سنة حتى صار لا يركبها الماء الا فى سنين الغرق ! ثم فحش الأمر وبنى الناس دورا وقهاوى فى بحرى العمارة ، وسبحوا الى جهة قرب الماء مغربين ، وألقوا أتربة العمائر ومايحفرونه حول ذلك . واقتدى بهم الترابة وغيرهم ، ولم يجدوا مانعا ولا رادعا .. وكلما فعلوا ذلك هرب الماء وضعف جريانه ، وربت الأرض وعلت وزادت حتى صارت كيمانا تنقبض النفوس من رؤيتها ، وتمتلىء المنافس من عجاجها ، وخصوصا فى وقت الهجير .. بعد أن كانت نزهة للناظرين .

ولقد أدركنا فيما قبل ذلك تيار النيل يندفع من ناحية بولاق التكرور الى تلك الجهة ، ويمر بقوته تحت جدران الدور والوكائل القبلية وساحل الشون ووكالة الأبزار وخضرة البصل وجامع السنانية وربع الخرنوب الى الجيعانية وينعطف الى قصر الحلى والشيخ فرج صيفا وشتاء ولا يعوقه عائق ، ولا يقدر أحد أن يرمى بساحل النيل شيئا من التراب . فان اطلع الحاكم على ذلك نكل به .. أو بخفير تلك الناحية !

وهذا شىء قد تودع منه ، ومن أمثاله . وآخر من أدركنا فيه هذا الالتفات والتفقد للأمور الجزئية التى يترتب بزيادتها الضرر العام عبد الرحمن أغا مستحفظان ، فانه كان يحذو طريق الحكام السابقين ..

وتضاعف الحال حتى أن بعض الطرق الموصلة الى بولاق استدت بتراكم الأتربة التى يلقيها أهل الأطراف خارج الدروب ، ولا يجدون من يمنعهم أو يردعهم . وقدرت علو الأرض — بسبب هذه العمارة — زيادة عن أربع قامات . فاننا كنا نعد درج وكالة الابزاريين من ناحية البحر ، عندما كنا ساكنين بها قبل هذه العمارة ، نيفا وعشرين درجة ، وكذلك سلم قيطون .. وقد غابت جميعها تحت الأرض ، وغطتها الأتربة .. ولله عاقبة الأمور .

ومن انشاء على بيك الكبير داره المطلة على بركة الأزبكية بدرب عبد الحق ، التى مات بها ، والحوض والساقية والطاحون بجوارها .

وبالجملة فأخباره ووقائعه وسيرته لو جمعت من مبدأ أمره الى آخره لكانت مجلدات . وقد ذكرنا فيما تقدم لمعا من ذلك بحسب الاقتضاء ، مما استحضره الذهن القاصر ، والفكر المشوش الفاتر بتراكم الهموم ، وكثرة الغموم ، وتزايد المحن ، واختلاط الفتن ، واختلال الدول ، وارتفاع السفل .

(١) أليس هذا قريبا مما نفعل اليوم ، بعد مائتين من السنين ؟

ولعل العود يخضر بعد الذبول ، ويطلع النجم بعد الأفول ، أو يبسم الدهر بعد كشارة أنيابه ، أو يلحظنا من نظر المتغابى فى ايابه .

زمن كأحلام تقضى بعده
زمن نعلل فيه بالأحلام

ولله فى خلقه من قديم الزمان عادة . وانتظار الفرج عبادة . نسأله انقشاع المصائب ، وحسن العواقب (١) .

ربيع الأول

فى ١٧ منه (٨ يونيو ١٧٧٣ م) :

وصل الوزير خليل باشا والى مصر .

الخميس ١٩ منه (١٠ يونيو ١٧٧٣ م) :

طلع خليل باشا الى القلعة فى موكب عظيم ، وضربوا لهمدافع وشنكا من الأبراج . وكان وصوله من طريق دمياط فعمل الديوان وخلع الخلع .

سنة ١١٨٨ هجرية

(١٤ مارس ١٧٧٤ — ٣ مارس ١٧٧٥ م)

استهلت ووالي مصر خليل باشا محجور عليه .. ليس له فى الولاية الا الاسم والعلامة على الأوراق ، والتصرف الكلي للأمير الكبير محمد بيك أبو الذهب والأمراء وأعيان الدولة ممالیکه واشراقاته ، والوقت فى هدوء وسكون وأمن ، والأحكام فى الجملة مرضية ، والأسعار رخية ، وفى الناس بقية ، وستائر الحياء عليهم مرخية .

وما الدهر فى حال السكون بساكن
ولكنه مستجمع لوثوب

(١) حين ينطلق قلم الجبرتى من اسار السرد التاريخى ، يبين عن نفس مريرة تنفعل بالاحداث الجسام التى مرت بالبلاد فى ايامه ...

سنة ١١٨٩ هجرية

فيها عزم محمد بيك أبو الذهب على السفر والتوجه الى البلاد الشامية بقصد محاربة الظاهر عمر ، واستخلاص مابيده من البلاد . فبرز خيامه الى العادلية ، وفرق الأموال والتراحيل على الأمراء والعساكر والمماليك ، واستعد لذلك استعدادا عظيما فى البحر والبر ، وأنزل بالمراكب الذخيرة والجبخانة والمدافع والقنابر والمدفع الكبير المسمى « أبو مايله » ، الذى كان سبكه فى العام الماضى .

المحرم

اوائله (اوائل مارس ١٧٧٥ م) :

سافر محمد بيك أبو الذهب بجموعه وعساكره ، وأخذ صحبته ... مراد بيك ، وابراهيم بيك طنان ، واسماعيل بيك — تابع اسماعيل بيك الكبير لاغير ، وترك بمصر ابراهيم بيك ، وجعله عوضا عنه فى امارة مصر ، واسماعيل بيك وباقى الأمراء ، والباشا الذى بالقلعة ، وهو مصطفى باشا النابلسى ، وأرباب العكاكيز والخدم والوجاقلية . ولم يزل فى سيره حتى وصل الى جهة غزة ، وارتجت البلاد لوروده ، ولم يقف أحد فى وجهه . وتحصن أهل يافا بها ، وكذلك الظاهر عمر تحصن بعكا .

فلما وصل الى يافا ، حاصرها وضيق على أهلها ، وامتنعوا هم أيضا عليه ، وحاربوه من داخل ، وحاربهم من خارج ، ورمى عليهم بالمدافع والمكاحل والقنابر عدة أيام وليال .. فكانوا يصعدون الى أعلى السور ويسبون المصريين وأميرهم سبا قبيحا . فلم يزالوا بالحرب عليها حتى نقبوا أسوارها ، وهجموا عليها من كل ناحية ، وملكوها عنوة ، ونهبوها

وقبضوا على أهلها ، وربطوهم فى الحبال والجنازير . وسبوا النساء والصبيان وقتلوهم عن آخرهم . ولم يميزوا بين الشريف والنصرانى واليهودى ، والعالم والجاهل والعامى والسوقى ، ولا بين الظالم والمظلوم .. وربما عوقب من لا جنى ، وبنوا من رءوس القتلى عدة صوامع ووجوهها بارزة تنسف عليها الأتربة والرياح والزوابع ، ثم ارتحل عنها طالبا عكا .

فلما بلغ الظاهر عمر ماوقع بيافا ، اشتد خوفه ، وخرج من عكا هاربا ، وتركها وحصونها .. فوصل اليها محمد بيك ودخلها من غير مانع وأذعنت له باقى البلاد ودخلوا تحت طاعته وخافوا سطوته . وداخل محمد بيك من الغرور والفرح ما لا مزيد عليه ، وما آل به الى الموت والهلاك . وأرسل بالبشائر الى مصر والأمراء بالزينة فنودى بذلك ، وزينت مصر وبولاق والقاهرة وخارجها زينة عظيمة ، وعمل بها وقدات وشنكات وحراقات وأفراح ثلاثة أيام بلياليها .

ربيع الآخر

اوائله (يونيو ١٧٧٥ م) :

عند انقضاء ذلك ، ورد الخبر بموت محمد بيك ، واستمر فى كل يوم يفشو الخبر وينمو ويزيد ويتناقل ويتأكد ، حتى وردت السعاة بتصحيح ذلك . وشاع فى الناس وصاروا يتعجبون ويتلون قوله تعالى : « حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » (١) .

وذلك أنه لما تم الأمر وملك البلاد المصرية والشامية ، وأذعن الجميع لطاعته .. وقد كان أرسل اسماعيل أغا — أخا على بيك الغزاوى — الى اسلامبول يطلب امرية مصر والشام ، وأرسل صحبته أموالا وهدايا ، فأجيب الى ذلك وأعطوه التقاليد والخلع والبرق والداقم ، وأرسل له المراسلات والبشائر بتمام الأمر ، فوافاه ذلك يوم دخوله عكا ، فامتلأ فرحا وحم بدنه فى الحال . . فأقام محموما ثلاثة أيام ومات ليلة الرابع .

ووافى خبر موته اسماعيل أغا عندما تهيأ ونزل فى المراكب يريد المسير الى مخدومه ، فانتقض الأمر وردت التقاليد وباقى الأشياء .

ولما تم له أمر يافا وعكا وباقى البلاد والثغور.. فرح الأمراء والأجناد الذين بصحبته برجوعهم الى مصر ، وصاروا متشوقين للرحيل والرجوع الى الأوطان . فاجتمعوا اليه فى اليوم الذى نزل به مانزل فى ليلته ، فنبين لهم من كلامه عدم العود ، وأنه يريد تقليدهم المناصب والأحكام بالديار الشامية وبلاد السواحل ، وأمرهم بارسال المكاتبات الى بيوتهم وعيالهم بالبشارات ... بما فتح الله عليهم وما سيفتح لهم . ويطمنوهم ويطلبوا احتياجاتهم ولوازمهم المحتاجين اليها من مصر . فعند ذلك اغتموا وعلموا انهم لا براح لهم ، وأن أمله غير هذا ، وذهب كل الى مخيمه يفكر فى أمره . وأقاموا على ذلك ثلاثة أيام التى تمرض فيها ، وأكثرهم لايعلم بمرضه ، ولا يدخل اليه الا بعض خواصه ، ولا يذكرون ذلك الا بقولهم فى اليوم الثالث انه منحرف المزاج .

فلما كان فى صبح الليلة التى مات بها نظروا الى صيوانه وقد انهدم ركنه ، وأولاد الخزنة فى حركة . ثم زاد الحال وجردوا على بعضهم السلاح بسبب المال ، وظهر أمر موته ، وارتبك العرضى ، وحضر مراد بيك فصدهم وكفهم عن بعضهم ، وجمع كبراءهم وتشاوروا فى أمرهم وأرضى خواطرهم ، خوفا من وقوع الفشل فيهم ، وتشتتهم فى بلاد الغربة ، وطمع الشاميين وشماتتهم فيهم . واتفق رأيهم على الرحيل ، وأخذوا رمة سيدهم

(١) آية ٤٤ ، سورة الأنعام .

صحبتهم لما تحقق عندهم أنهم ان دفنوه هنـاك فى بعض المواضع أخرجه أهل البلاد ونبشوه وأحرقوه .. فغسلوه وكفنوه ولفوه فى المشمعات ووضعوه فى عربة وارتحلوا به طالبين الديار المصرية (١) .

ربيع الآخر

٢٤ منه (٢٤ يونيو ١٧٧٥ م)

وصـلوا فى سـتة عشر يوما أواخر النهار ، فأرادوا دفنه بالقرافة . وحضر الشيخ الصعيدى فأشار بدفنه فى مدرسته تجاه الأزهر ، فحفروا له قبرا فى الليوان الصغير الشرقى وبنوه ليـلا ، ولما أصبح النهار عملوا له مشهدا وخرجوا بجنازته من بيته الذى بقوصون ، ومشى أمامه المشايخ والعلماء والأمراء وجميع الأحزاب والأوراد وأطفال المكاتب ، وأمام نعشه مجامر العنبر والعود سترا على رائحته ونتنه .. حتى وصلوا به الى مدفنه ، وعملوا عنده ختمات وقراءات وصدقات عدة ليـال وأيام نحو أربعين يوما .

واستقر أتباعه أمراء مصر ورئيسـهم ابراهيم بيك ومراد بيك وباقيهم الذين أمرهم فى حياته ومات عنهم يوسف بيك وأحمـد بيك الكلارجى ومصطفى بيك الكبير وأيوب بيك الكبير وذو الفقار بيك ومحمد بيك طبال ورضـوان بيك ، والذين تأمروا بعده أيوب بيك الدفتردار وسليمـان بيك الأغا وابراهيم بيك الوالى وأيوب بيك الصـغير وقاسم بيك الموسقو وعثمان بيك الشرقاوى ومراد بيك الصغير وسليم بيك أبو دياب ولاجين بيك .

سنة ١١٩٠ هجرية

كان السلطان فى هذه السنة السلطان عبد الحميد ابن أحمد خان العثمانى . ووالى مصر الوزير محمد باشا عزت الكبير وأمراؤها ابراهيم ومراد بيك ، مملوكا محمد بك أبى الذهب ، وخشداشينهما ..

صفر

٧ منه (٢٨ مارس ١٧٧٦) :

وصـل الحج الى مصر ، ودخل الركب ، وأمير الحج يوسف بيك .

ليلة الجمعة ٩ منه (٣٠ مارس ١٧٧٦) :

وقـع حـريق بالأزبكيـة — وذلك فى نصف الليل — احترق فيها عدة بيوت عظام .. وكان شيئا مهولا . ثم انها عمرت فى أقرب وقت . والذى لم نقدر على العمـارة باع أرضه فاشـتراها القادر وعمرها ، بحيث انه لم يأت النيل القابل الا وهى أحسن وأبهج مما كانت عليه .

* * *

وفيها : سقط ربع بسوق الغورية ، ومات فيه عدة كثيرة من النـاس تحت الردم . ثم ان عبـد الرحمن أغا مستحفظان أخذ تلك الأماكن من أربابها شراء ، وأنشـأ الحوانيت والربع علوها والوكالة المعروفة الآن بوكالة الزيت ، والبوابة التى يسلك منها من السوق .

وفيها : حضر جمـاعة من الهنـود ، ومعهم فيل صغير ذهبـوا به الى قصر العينى ، وأدخلوه الى الاسطبل الكبير ، وهرع الناس للفرجة عليه ، ووقف الخدم على أبواب القصر يأخـذون من المتفرجين دراهم ، وكذلك سواسه الهنود جمعوا بسببه دراهم كثيرة . وصـار الناس يأتون اليه بالكعك وقصب السكر ، ويتفرجون على مصه فى القصب ، وتناوله بخرطومه . وكان الهنـود يخاطبونه بلسـانهم ، ويفهمـون كلامه ، واذا أحضروه بين يدى كبـير كلموه فيبرك على يديه ويشير بالسلام بخرطومه .

(١) وهذه عاقبة المعتدين !

رمضان

(اكتوبر – نوفمبر ١٧٧٦ م) :

تعصب مراد بيك وتغير خاطره على ابراهيم بيك ضن . ونفاه الى المحلة الكبيرة ، وفرق بلاده على من *حب ، ولم يبق له الا القليل .

ذو الحجة

اوائله (يناير ١٧٧٧) :

شرع الأمير اسماعيل كتخدا فى عمل مهم لزواج ابنته (أى حفل عرس أو « فرح ») . وكان قبل هذا حصل بينه وبين مراد بيك منازعة . وسببها أن مراد بيك أراد أن يأخذ من اسماعيل بيك السرو ور*س الخليج ، فوقع بينهما مخاصمة كاد يتولد منها فتنة ، فسعى فى الصلح بينهما ابراهيم بيك ، فاصطلحا على غل .

وشرع فى اثر ذلك اسماعيل بيك فى عمل الفرح ، فاجتمعوا يوم العقد فى وليمة عظيمة ، ووقف مراد بيك وفرق المحارم والمناديل على الحاضرين ، ويطوف بنفسه على أقدامه ، وعمل المهم أياما كثيرة .

ونزل محمد باشا عزت (١) — باستدعاء — الى بيت اسماعيل بيك . وعندما وصل الى حارة قوصون نزل الأمراء بأسرهم مشاة على أقدامهم لملاقاته ، فمشوا جميعا أمامه على أقدامهم ، وبأيديهم المباخر والقماقم . ولم يزالوا كذلك حتى طلعوا الى المجلس

ووقفوا فى خدمته مثل المماليك ! حتى انقضي الطعام والشربات ، وقدموا له الهدايا والتقادم والخيول الكثيرة المسومة .

وكانت هذه الزفة من المواكب الجليلة ، ومشى فيها الفيل وعليه خلعة جوخ أحمر .. فكان ذلك من النوادر !

(١) الوالى التركى .

* * *

وفى هذه السنة مات الأمير عبد الرحمن كتخدا ، وهو ابن حسن جاويش القازدغلى ، أستاذ سليمان جاويش ، أستاذ ابراهيم كتخدا مولى جميع الأمراء المصريين الموجودين الآن .

وتولى كتخدا الوقت سنتين ، وشرع فى بناء المساجد ، وعمل الخيرات ، وابطال المنكرات .. فأبطل خمامير حارة اليهود .

وأول عماراته السبيل والكتاب الذى يعلوه بين القصرين ، وجاء فى غاية الظرف ، وأحسن المبانى . وأنشأ جامع المغاربة ، وعمل عند بابه سبيلا وكتابا وميضأة تفتح بطول النهار ، وأنشأ تجاه باب الفتوح مسجدا ظريفا بمنارة وصهريج ، ومدفن السيدة السطوحية . وأنشأ بالقرب من تربة الأزبكية سقاية ، وحوضا لسقى الدواب ، ويعلوه كتاب ، وفى الحطابة كذلك ، وعند جامع الدشطوطى كذلك .

وأنشأ وزاد فى مقصورة الجامع الأزهر مقدار النصف طولا وعرضا ، يشتمل على خمسين عمودا من الرخام ، تحمل مثلها من البوائك المقوصرة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت ، وسقف أعلاها بالخشب النقي ، وبنى به محرابا جديدا ومنبرا ، وأنشأ له بابا عظيما جهة حارة كتامة . وبنى بأعلاه مكتبا بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن . وبداخله رحبة متسعة ، وصهريج عظيم ، وسقاية لشرب العطاش المارين . وعمل لنفسه مدفنا بتلك الرحبة ، وعليه قبة معقودة ، وتركيبة من رخام بديعة الصنعة . وبها أيضا رواق مخصوص بمجاورين الصعائدة المنقطعين لطلب العلم ، يسلك اليه من تلك الرحبة بدرج يصعد منه الى الرواق ، وبه مرافق ومنافع

ومطبخ ومخادع وخزائن كتب . وبنى بجانب ذلك الباب منارة ، وأنشأ بابا آخر جهة مطبخ الجامع ، وعليه منارة أيضا .. وغير ذلك .

وعمر أيضا المشهد النفيسى ، ومسجده ، وبنى صهريجا على هذه الهيئة الموجودة ، وجعل لزيارة النساء طريقا بخلاف طريق الرجال

وبنى أيضا مشهد السيدة زينب بقناطر السباع ، ومشهد السيدة سكينة بخط الخليفة ، والمشهد المعروف بالسيدة عائشة بالقرب من باب القرافة ، والسيدة فاطمة والسيدة رقية ، والجامع والرباط بحارة عابدين ، وكذلك مشهد أبو السعود الجارحى على الصفة التى هو عليها الآن ، ومسجد شرف الدين الكردى بالحسينية ، والمسجد بخط الموسكى . وبنى للشيخ الحنفى دارا بجوار ذلك المسجد ، ينفذ اليه من داخل . وجدد المارستان المنصورى .

وله عمائر كثيرة ، وقناطر ، وجسور ، فى بلاد الأرياف ، وبلاد الحجاز ، حين كان مجاورا هناك . وبنى القناطر بطندتا فى الطريق الموصلة الى محلة مرحوم .

ورتب للعميان الفقراء الأكسية الصوف المسماة بالزعابيط ، فيفرق عليهم جملة كثيرة من ذلك عند دخول الشتاء فى كل سنة ، فيأتون الى داره أفواجا فى أيام معلومة ، ويعودون مسرورين بتلك الكساوى ، وكذلك المؤذنون يفرق عليهم جملة من الاحرامات الطولونية ، يرتدون بها وقت التسبيح فى ليالى الشتاء .

وكذلك يفرق جملة من الحبر المحلاوى والبز الصعيدى والملايات والأخفاف والبوابيج القيصرلى على النساء الفقيرات والأرامل . ويخرج عند بيته فى ليالى رمضان وقت الافطار عدة من القصاع الكبار المملوءة بالثريد المسقى بمرق اللحم والسمن للفقراء المجتمعين ، ويفرق عليهم هبر اللحم النضيج ، فيعطى لكل فقير جعْله وحصته فى يده ، وعندما يفرغون من الأكل يعطى كل واحد منهم رغيفين ونصفى فضة برسم سحوره .. الى غير ذلك .

وبلغت عدة المساجد التى أنشأها وجددها ثمانية عشر مسجدا ، وذلك خلاف الزوايا ، والأسبلة ، والسقايات ، والمكاتب ، والأحواض ، والقناطر ، والمربوط للنساء الفقيرات والمنقطعات .

وكان له فى هندسة الأبنية ، وحسن وضع العمائر ، ملكة يقتدر بها على ما يرومه من الوضع . وضم لوقفه ثلاث قرى من بلاد الأرز بناحية رشيد وهى : تفينة وديبى وحصة كتامة ، وجعل ايرادها وما يتحصل من غلة أرزها لمصارف الخيرات وطعام الفقراء والمنقطعين . وزاد فى طعام المجاورين بالأزهر ومطبخهم الهريسة فى يومى الاثنين والخميس .

وقد تعطل غالب ذلك فى هذا التاريخ الذى نحن فيه لغاية سنة ١٢٢٠ هجرية (١٨٠٥ م) ، بسبب استيلاء الخراب ، وتوالى المحن ، وتعطل الأسباب .

ولم يزل هذا شأنه ، الى أن استفحل أمر على بيك ، وأخرجه منفيا الى الحجاز ، فأقام هنالك اثنتى عشرة سنة .

فلما سافر يوسف بيك أميرا بالحج فى السنة الماضية ، صمم على احضاره صحبته الى مصر . فأحضره فى تختروان ، وقد استولى عليه العى والهرم ، وكرب الغربة ، فدخل الى بيته مريضا فأقام أحد عشر يوما ومات .

ولم يخلف بعده مثله .. رحمه الله !

* * *

ومن مساويه ، قبول الرشا ، والتحيل على مصادرة بعض الأغنياء فى أموالهم . واقتدى به فى ذلك غيره ، حتى صارت سنة مقررة ، وطريقة مسلوكة ليست منكرة !

ومن سيئاته العظيمة التى طار شررها، وتضاعف ضررها، وعم الاقليم خرابها: وتعدى الى جميع المدنى هبابها ... معاضدته لعلى بيك ليقوى به على ارباب الرئاسة. فلم يزل يلقى بينهم الفتن، ويغرى بعضهم على بعض: ويسلط عليهم على بيك المذكور، حتى أضعف شوكات الأقوياء، وأكد العداوة بين الأصفياء، وامتد ساعد على بيك .. فعند ذلك التفت اليه، وكلب بنابه عليه، وأخرجه من مصر، وأبعده عن وطنه .. فلم يجد عند ذلك من يدافع عنه، وأقام هذه المدة فى مكة غريبا وحيدا.

وأخرج أيضا — فى اليوم الذى أخرجه فيه — نيفا وعشرين أميرا من الاختيارية كما تقدم.

فعند ذلك، خلا لعلى بيك وخشداشينه الجو .. فباضوا وأفرخوا، وامتد شرهم الى الآن الذى نحن فيه.

فهو الذى كان السبب — بتقدير الله تعالى — فى ظهور أمرهم.

فلو لم يكن له من المساوى الا هذه، لكفاه!

ولما رجع من الحجاز متمرضا، ذهب اليه ابراهيم بيك ومراد بيك، وباقى خشداشينهم. ليعودوه — ولم يكن رآهم قبل ذلك، فكان من وصايته لهم:

كونوا مع بعضكم ...
واضبطوا أمركم ...
ولا تدخلوا الأعادى بينكم ...

وهذا يدل عن قوله: أوصيكم بتقوى الله تعالى، وتجنبوا الظلم، وافعلوا الخير ... فان الدنيا زائلة ... وانظروا حالى ومآلى!

هكذا أخبرنى من كان حاضرا فى ذلك الوقت.

وكان سليط اللسان، ويتصنع الحماقة ... فغفر الله لنا وله.

سنة ١١٩١ هجرية

ربيع الأول

فى أوائله (ابريل ١٧٧٧ م):

ورد آغا من الديار الرومية بطلب عساكر لسفر العجم، فاجتمع الأمراء وتشاوروا فى ذلك، فاتفق رأيهم على احضار ابراهيم بيك طنان، فأحضروه من المحلة وقلدوه امارة ذلك.

جمادى الأولى

فى أوائله (يونية ١٧٧٧ م):

وقعت حادثة فى طائفة المغاربة المجاورين بالجامع الأزهر. وذلك أنه آل اليهم مكان موقوف، وجحد واضعو اليد ذلك، والتجأ الى بعض الأمراء، وكتبوا فتوى فى شأن ذلك. واختلفوا فى ثبوت الوقف بالاشاعة، ثم أقاموا الدعوى فى المحكمة، وثبت الحق للمغاربة، ووقع بينهم منازعات، وعزلوا شيخهم، وولوا آخر. وكان المندفع فى الخصومة واللسانة شيخا منهم يسمى الشيخ عباس، والأمير الملتجىء اليه الخصم يسمى يوسف بيك. فلما ترافعوا وظهر الحق على خلاف غرض الأمير، حنق لذلك، ونسبهم الى ارتكاب الباطل، فأرسل من طرفه من يقبض على الشيخ عباس المذكور من بين المجاورين، فطردوا المعينين، وشتموهم وأخبروا الشيخ أحمد الدردير، فكتبوا مراسلة الى يوسف بيك، تتضمن عدم تعرضه لأهل العلم، ومعاندة الحكم الشرعى، وأرسل صحبة الشيخ عبد الرحمن الفرنوى وآخر.

فعندما وصلوا اليه وأعطوه التذكرة، نهرهم وأمر بالقبض عليهم، وسجنهم بالحبس.

ووصل الخبر الى الشيخ الدردير وأهل الجامع ، فاجتمعوا فى صبحها وأبطلوا الدروس والأذان والصلوات ، وقفلوا أبواب الجامع ، وجلس المشايخ فى القبلة القديمة ، وطلع الصغار على المنارات يكثرون الصياح والدعاء على الأمراء !

وأغلق أهل الأسواق القريبة الحوانيت . وبلغ الأمراء ذلك ، فأرسلوا الى يوسف بيك فأطلق المسجونين ، وأرسل ابراهيم بيك — من طرفه — ابراهيم آغا بيت المال .. فلم يأخذ جوابا .

وحضر الأغا الى الغورية ، ونزل هناك ونادى بالأمان ، وأمر بفتح الحوانيت ، فبلغ مجاورى المغاربة ذلك ، فذهب اليه طائفة منهم ، وتبعهم بعض العوام وبأيديهم العصى والمساوق ، وضربوا أتباع الأغا ، ورجموهم بالأحجار .. فركب عليهم ، وأشهر فيهم السلاح هو ومماليكه ، فقتل من مجاورى المغاربة ثلاثة أنفار ، وانجرح منهم كذلك ، ومن العامة .

وذهب الأغا ، ورجع الفريق الآخر ، وبقى الهرج الى ثانى يوم ، فحضر اسماعيل بيك والشيخ السادات وعلى أغا كتخدا الجاويشية ، وغيرهم .. فنزلوا الأشرفية ، وأرسلوا الى أهل الجامع تذكرة بانفضاض الجمع ، وتمام المطلوب ، وكان ذلك عند الغروب .. فلم يرضوا بمجرد الوعد ، وطلبوا الجامكية والجراية ، فركبوا ورجعوا .

وأصبح يوم الأربعاء والحال على ما هو عليه ، واسماعيل بيك مظهر الاهتمام لنصرة أهل الأزهر ، فحضر مع الشيخ السادات ، وجلسوا بالجامع المؤيدى ، وأرسلوا للمشايخ تذكرة صحبة الشيخ ابراهيم السندوبى ، ملخصها أن اسماعيل بيك تكفل بقضاء أشغال المشايخ وقضاء حوائجهم ، وقبول فتواهم ، وصرف جماكيهم وجراياتهم .. وذلك بضمان الشيخ السادات له .

فلما حضر الشيخ ابراهيم بالتذكرة ، وقرأها الشيخ عبد الرحمن العريشى جهارا وهو قائم على أقدامه ، وسمعوها ، أكثروا من الهرج واللغط ، وقالوا : هذا كلام لا أصل له !

وترددت الارساليات ، والذهاب والمجىء بطول النهار ، ثم اصطلحوا وفتحوا الجامع فى آخر النهار ، وأرسلوا لهم فى يوم الخميس جانبا من دراهم الجامكية .

ومن جملة مااشترطوه فى الصلح ، عدم مرور الأغا والوالى والمحتسب من حارة الأزهر ... وغير ذلك شروط لم ينفذ منها شىء !

وعمل ابراهيم بيك ناظرا على الجامع عوضا عن الأغا ، وأرسل من طرفه جنديا للمطبخ ، وسكن الاضطراب .

وبعد مضى أربعة أيام من هذه الحادثة ، مر الأغا ، وبعده الوالى كذلك ، فأرسل المشايخ الى ابراهيم بيك يخبرونه ، فقال : ان الطريق يمر بها البر والفاجر ، ولا يستغنى الحكام عن المرور !

جمادى الآخرة

١٢ منه (١٨ يولية ١٧٧٧ م) :

قبض الأغا على انسان شريف من أولاد البلد يسمى حسن المدابغى ، وضربه حتى مات . وسبب ذلك أنه كان فى جملة من خرج على الأغا بالغورية يوم فتنة الجامع !

١٤ منه (٢٠ يولية ١٧٧٧ م) :

خرج اسماعيل بيك جهة العادلية مغضبا . وسبب ذلك أن مراد بيك زاد فى العسف والتعدى ، خصوصا فى طرف اسماعيل بيك . وابراهيم بيك يسعى بينهم فى الصلح .

واجتمعوا فى آخر مجلس عند ابراهيم بيك ، فتكلم اسماعيل بيك كلاما مفحما ، وقال :

أنا تارك لكم مصر ، وامارتها ، وجاعلكم مثل أولادى ، ولا أريد الا المعيشة وراحة السر ، وأنتم لا تراعون لى حقا .

فحضر فى هذه الأيام الى اسماعيل بك مركب غلال ، فأرسل مراد بيك وأخذ مافيها !

ثم اتفق مراد بيك مع بعض أغراضه ، أنهم يركبون من غد الى اسماعيل بيك ، ويدخلون عليه فى بيته ، ويقتلونه .

فعلم اسماعيل بيك بذلك ، فركب فى الصباح وخرج الى العادلية بعد أن عزل بيته وحريمه ليلا ، وجلس بالأشبكية .

وركب مراد بيك ذاهبا الى اسماعيل بيك ، فوجده قد خرج الى الاشبكية وكان ابراهيم بيك طلع الى قصر العينى ، فذهب الى مراد بيك .

ولما أشيع خروج اسماعيل بيك ، ركب يوسف بيك وخرج اليه ومعه آخرون ، ووصل الخبر الى ابراهيم بيك ومراد بيك ومن انضم اليهم . فركبوا وحضروا الى القلعة ، وملكوا الأبواب ، وامتلأت الرميلة والميدان بعساكرهم ، واضطربت المدينة ، وأغلق الناس الدكاكين ، وصحبتهم جماعة الى باب النصر ، وفتحوا الباب ، وطردوا الوالى ، واشتد الحال ، وعظمت الفتنة ، فأراد الباشا اجراء الصلح ، فأرسل ايوب أغا ورجع بجواب : عدم رضاهم بالصلح

وفى يوم الأربعاء ، دخل عبد الرحمن أغا من باب النصر ، وشق من وسط المدنة وأمامه المنادى ينادى على الناس برفع بضائعهم من الحوانيت . فرفع الناس بواقى بضائعهم من الدكاكين .

وخرجوا من باب زويلة الى الدرب الأحمر ، الى جامع المردانى ، ثم زحفوا الى التبالة ، الى قرب المحجر ، وعملوا هناك متاريس ، ولاحت لوائح الخذلان على من بالقلعة ودخل عليهم الليل ، وانكف الفريقان ، وأصبح يوم الخميس ، فدخل الكثير من البرانيين الى المدينة شيئا فشيئا ، ورابطوا فى جميع الجهات ... حتى انحصروا بالقلعة ، وأخذوا ينقبون عليهم . فلما شاهدوا الغلبه فيهم ، نزلوا من باب الميدان ، وذهبوا جهة البساتين الى الصعيد ، فتخلف عنهم فريق ، وخرج المتخلفون الى اسماعيل بيك ويوسف بيك ، وطلبوا منهم الأمان ، وانضموا اليهم .

وعندما أشيع نزول ابراهيم بيك ، ومراد بيك من القلعة ، هجم المرابطون بالمحجر وسوق السلاح ، على الرميلة ، ونهبوا خيامهم

وفى الخميس بعد العصر ، دخل اسماعيل بك ، ويوسف بيك من باب النصر ، وتوجهوا الى بيوتهم .

وأصبح يوم الجمعة ، فشق عبد الرحمن أغا ، ونادى بالأمان ، والبيع والشراء ، وراق الحال ...

٢٢ منه (٢٨ يولية ١٧٧٧ م) :

طلع اسماعيل بيك ويوسف بيك الى الديوان ، فخلع الباشا عليهما خلعتى سمور ، واستقر اسماعيل بيك شيخ البلد ومدبر الدولة .

رجب

٤ منه (٨ اغسطس ١٧٧٧ م — ٤ مسرى ١٤٩٣) :

نودى بوفاء النيل ، ونزل الباشا وكسر السد على العادة . وجرى الماء فى الخليج ، وعاد الباشا الى القلعة .

رمضــان

منتصفه (١٧ اكتوبر ١٧٧٧ م) :

ولدت امرأة مولودا يشبه خلقة الفيل ... مثل وجهه وآذانه ، وله نابان خارجان من فمه . وأبوه رجل جمال ، وامرأته لما رأت الفيل — وكانت فى أشهر وحامها — نقلت شبهه فى ولدها ، وأخذ الناس يتفرجون عليه فى البيوت والأزقة !!

٢٩ منه (٣١ اكتوبر ١٧٧٧ م) :

ركب امراء اسماعيل بيك وصناجقه وعساكره فى آخر الليل ، واحتاطوا ببيت اسماعيل بيك الصغير — أخى على بيك الغزاوى — فركب فى مماليكه وخاصته ، وخرج من البيت ، فوجدوا الطرق كلها مسدودة بالعسكر والأجناد ، فدخل من عطفة الفرن يريد الفرار ، وخرج على جهة قنطرة عمر شاه ، فوجد العسكر والأجناد أمامه وخلفه ، فصار يقاتلهم ويتخلص منهم من عطفة الى عطفة ، حتى وصل الى عطفة البيدق ، وأصيب بسيف على عاتقه ، وسقطت عمامته ، وصار مكشوف الرأس الى أن وصل الى تجاه درب عبد الحق بالأزبكية ، فلاقاه عثمان بيك — أحد صناجق اسماعيل بيك — فرده ، وسقط فرسه ، واحتاطوا به ، فنزل على دكان فى أسوأ حال ، مكشوف الرأس ، والدم خارج من كركه ، فعصبوا رأسه بعمامة رجل جمال ، وأخذه عثمان بيك الى بيته ، وتركه وذهب الى سيده ، فأخبره ، فخلع عليه فروة وفرسا . وأرسلوا اليه الوالى ، فخنقه ، ووضعوه فى تابوت ، وأرسلوه الى بيته ، فبات به ميتا ، وأخرجوه فى صبحها فى مشهد ، ودفنوه ...

وكان اسماعيل بيك قد استوحش منه ، وظهر عليه فى أحكامه وأوامره ، وكلما أبرم شيئا عارضه فيه ، وازدحم الناس على بيته ، وأقبلت اليه أرباب الحكومات والدعاوى ، وصار له عزوة كبيرة ، وانضم اليه كشاف واختيارية ، وحدثته نفسه بالانفراد .

وتخيل منه اسماعيل بيك ... فتركه وما يفعله ، وأظهر أنه مرمود فى عينيه ، وانقطع بالحريم من أول شهر رمضان ، ثم سافر فى أواخره فى النيل لزيارة سيدى أحمد البدوى ، ثم رجع وبيت مع أتباعه ومن يثق به ، وقاموا عليه وقتلوه ... كما ذكر .

ولما انقضى أمره ، شرع اسماعيل بيك فى ابعاد ونفى من كان يلوذ به ، وينتمى اليه .

ذو القعدة

٨ منه (٨ ديسمبر ١٧٧٧ م) :

سافرت تجريدة لجهة الصعيد للأمراء القبالى ، لأنهم تقوّوا واستولوا على البلاد ، وقبضوا الخراج ، وملكوا من جرجا الى فوق ، وحسن بيك أمير الصعيد مقيم ، وليس فيه قدرة على مقاومتهم . ومنعوا ورود الغلال ، حتى غلا سعرها .

٢١ منه (٢١ ديسمبر ١٧٧٧ م) :

خرج اسماعيل بيك الى ناحية دير الطين ، وعزم على التوجه بنفسه الى قبلى ، وأرسل الباشا فرمانات لسائر الأمراء ، والوجاقلية ، وأمرهم جميعا بالسفر . فخرجوا جميعا ، ونصبوا وطاقاتهم عند المعادى ، ونزل الباشا وجلس بقصر العينى .

٢٧ منه (٢٧ ديسمبر ١٧٧٧ م) :

عدى اسماعيل بيك الى البر الثانى ، وترك بمصر عبد الرحمن أغا مستحفظان كتخدا ، ورضوان بيك بلفيا ، وعثمان بيك طبل وابراهيم بيك قشطة

صهره ، وحسين بيك ، ومقادم الأبواب ، لحفظ البلد . فكان المقادم يدورون بالطوف فى الجهات ليلا ونهارا .. مع هدوء سر الناس ، وسكون الحال ، فى مدة غياب الجميع !

زوالحجة

٦ منه (٤ يناير ١٧٧٨ م) :

وصلت مكاتبات من اسماعيل بيك ، ومن الأمراء الذين بصحبته ، بأنهم وصلوا الى المنية ، فلم يحدوا بها أحدا من القبليين ، وأنهم فى أسيوط ، ومعهم اسماعيل أبو على من كبار الهوارة .

❋ ❋ ❋

وفى هذه السنة مات الأمير يوسف بيك الكبير — وهو من أمراء محمد بيك أبو الذهب — أمره فى سنة ١١٨٦ هجرية ، وزوجه بأخته ، وشرع فى بناء داره على بركة الفيل ، داخل درب الحمام ، تجاه جامع الماس .

وكان يسلك اليها من هذا الدرب ، ومن طرق الشيخ الظلام ، وكان هذا الدرب كثير العطف ، ضيق المسالك ، فأخذ بيوته — بعضها شراء ، وبعضها غصبا — وجعلها طريقا واسعة وعليها بوابة عظيمة . وأراد أن يجعل أمام باب داره رحبة متسعة ، فعارضه جامع خير بيك حديد ، فعزم على هدمه ونقله الى آخر الرحبة ، فسأل المرحوم الوالد (والد المؤلف) ، وكان يعتقده ، ويجنح الى قوله ، فقال له : لايجوز ذلك . فامتثل وتركه على حاله .

واستمر يعمر فى تلك الدار نحو خمس سنوات ، وأخذ بيت الداودية الذى بجواره ، وهدمه جميعه ، وأدخله فيها ، وصرف فى تلك الدار أموالا عظيمة ، فكان يبنى الجهة منها حتى يتمها بعد تبليطها وترخيمها بالرخام الدقى الخردة المحكم الصنعة ، والسقوف والأخشاب والرواشن ، والخرط والأدهان ... ثم يوسوس له شيطانه فيهدمها الى آخرها ويبنيها ثانيا على وضع آخر ، وهكذا .. كان دأبه !

واتفق أنه ورد اليه من بلاده القبلية ثمانون ألف أردب غلال ، فوزعها بأسرها على الموانة فى ثمن الجبس والجير ، والأحجار والأخشاب ، والحديد وغير ذلك !

وكان فيه حدة زائدة ، وتخلبط فى الأمور والحركات ، ولا يستقر بالمجلس .. بل يقوم ويقعد ، ويصرخ ويروق حاله فى بعض الأوقات .. فيظهر فيه بعض انسانية . ثم يتغير ويتعكر من أدنى شىء !

ولما مات سيده محمد بيك ، وتولى امارة الحج ، ازداد عتوا وعسفا وانحرافا ، خصوصا مع طائفة الفقهاء والمتعممين ، لأمور نقمها عليهم .

ومن هذه الأمور .. أنه اتفق أن الشيخ عبد الباقى ، ابن الشيخ عبد الوهاب العفيفى ، طلق على زوج بنت أخته فى غيابه ، على يد الشيخ حسن الجداوى المالكى — على قاعدة مذهبه — وزوجها من آخر .

وحضر زوجها من الفيوم ، وذهب الى ذلك الأمير ، وشكا له الشيخ عبد الباقى ، فطلبه فوجده غائبا فى منية عفيف ، فأرسل اليه أعوانا أهانوه ، وقبضوا عليه ، ووضعوا الحديد فى رقبته ورجليه ، وأحضروه فى صورة منكرة ، وحبسه فى حاصل أرباب الجرائم من الفلاحين ...

فركب الشيخ على الصعيدى العدوى ، والشيخ الجداوى ، وجماعة كثيرة من المتعممين ، وذهبوا اليه .

وخاطبه الشيخ الصعيدى ، وقال له : ماهذه الأفعال ، وهذا التجارى ؟

فقال له : أفعالكم يامشايخ أقبح .. !

فقال له : هـذا قول فى مذهب المالكية ، معمول به .

فقال : من يقول ان المرأة تطلق زوجها اذا غاب عنها ، وعندها ماتنفقه ، وما تصرفه ، ووكيله يعطيها ماتطلبه ، ثم يأتى من غيبته فيجدها مع غيره ؟ !

فقالوا له : نحن أعلم بالأحكام الشرعية ..

فقال : لو رأيت الشيخ الذى فسخ الزواج !

فقال الشيخ الجداوى : أنا الذى فسخت الزواج على قاعدة مذهبى ...

فقام عـلى أقدامه وصرخ وقال : والله أكسر رأسك !

فصرخ عليه الشيخ على الصعيدى ، وسبه ، وقال له :

لعنك الله ! ولعن اليسرجى الذى جاء بك ! ومن باعك ! ومن اشتراك ! ومن جعلك أميرا ! !

فتوسط بينهم الحاضرون من الأمراء ، يسكنون حدته ، وأحضروا الشيخ عبد الباقى من الحبس ، فأخذوه وخرجوا وهم يسبونه ، وهو يسمعهم .. !

سنة ١١٩٢ هجرية

المحرم

٧ منه (٥ فبراير ١٧٧٨ م) :

حضر اسماعيل كتخدا عزبان وبعض صناجق اسماعيل بيك .

٩ منه (٧ فبراير ١٧٧٨ م) :

وصـل اسماعيل بيك ، وعدى من معادى الخبيرى ، ودخل الى مصر ، وذهب الى بيته ، وكثر الهرج فى الناس بسبب حضوره ، ومن وصل قبله — على هذه الصورة — ثم تبين الأمر بأن حسن بيك الجداوى وخشداشينه وجماعة الفلاح بأسرهم ، وكشاف ومماليك وأجناد ، ومغاربة . خامر الجميع على اسماعيل بيك ، والتفوا على ابراهيم بيك ومراد بيك ومن معهم . فعند ذلك ركب اسماعيل بيك بمن معه وطلب مصر ، حتى وصلها فى أسرع وقت وهو فى أشد مايكون من القهر والغيظ .وفى الصباح أرسل اسماعيل بيك ومنع المعادى من التعدية .

وفى يوم الاثنين ، طلعوا الى القلعـة ، وعملوا ديوانا عند الباشا ، وحضر الموجودون من الأمراء والوجاقلية والمشايخ . وتشاوروا فى هذا الشأن ، فلم يستقر الرأى على شىء ، ونزلوا الى بيوتهم ، وشرعوا فى توزيع أمتـعتهم وتعزيل بيـوتهم . واضطربت أحوالهم .

١٤ منه (١٢ فبراير ١٧٧٨ م) :

نزل اسماعيل بيك وصناجقه بالعادلية ، فى هذه الليلة ، وباتت الناس فى وجل .

١٥ منه (١٣ فبراير ١٧٧٨ م) :

أشيع خروج اسماعيل بيك ومن معـه ، ووقع النهب فى بيوتهم وركبوا فى صـبح ذلك اليـوم وذهبوا الى جهة الشام ، فكانت مدة امارة اسماعيل بيك وأتباعه على مصر — فى هـذه المرة — ستة أشهر وأياما .

وعدى مراد بيك ومصطفى بيك وآخرون ، فى ذلك اليوم ، وكذلك ابراهيم أغا الوالى — الذى كان فى أيامهم — وشق المدينـة ونادى بالأمان ، وأرسل ابراهيم بيك يطلب من الباشا فرمانا بالاذن بالدخول .

فكتب لهم الباشا فرمانا وأرسله صحبة ولده وكتخدائه ، وهو سعيد بك .

٢١ منه (١٩ فبراير ١٧٧٨ م) :

طلع ابراهيم بيك وأتباعه الى الديوان ، فخلع الباشا على ابراهيم بيك ، واستقر فى مشيخة البلد كما كان ، واستقر أحمد بك شنن صنجقا كماكان، وتقلد عثمان أغا خازندار ابراهيم بيك صنجقيــة — وهو الذى عرف بالأشقر — وقلدوا مصطفى كاشف المنوفية صنجقية أيضا ، وعلى كاشف أغات مســتحفظان ، وموسى أغا — من جماعة عــلى بيك — واليا كما كان أيام سيده .

فى اواخره (مارس ١٧٧٨ م) :

وردت أخبار بأن اسماعيل بيك ومن معــه وصــلوا الى غــزة . واستقر المذكورون بمصر ، علوية ، ومحمدية ، والعلوية شامخة على المحمدية ، ويرون المنــة لأنفســهم عليهم ، والفضــيلة لهم بمخــامرتهم معهم . ولولا ذلك مادخلوا مصر ، ولا يمكن المحمــدية التصرف فى شىء الا باذنهم ورأيهم ، بحيث صــاروا كالمحجور عليهــم ، لايأكلون الا مافضل عنهم .

جمــادى الأولى

٨ منه (٤ يونية ١٧٧٨ م) :

حضر الى مصر ابراهيم بيك أوده باشــه من غزة مفارقا لاسماعيل بيك ، وقد كان أرسل قبل وصوله يستأذن فى الحضور ، فأذنوا له ، وحضر وجلس فى بيته ، وتخيل منه رضوان بيك ، وقصد نفيه فالتجأ الى مراد بيك وانضم اليه ، وقال له مراد بيك : لاتخش من أحد . فحــرك ذلك ماكمن فى صدور العلوية .

١٧ منه (١٣ يونية ١٧٧٨ م) :

ركب مراد بيك وخــرج الى مرمى النشاب منتفخا من القهر ، مفكرا فى أمره مــع العلوية . فحضر اليه عبد الرحمن بيك وعلى بيك الحبشى من العلوية ، فعندما أراد عبد الرحمن بيك القيام، عاجله مراد بيك ومن معه .. وقتلوه .. وفــر على بيك الحبشى وغطى رأسه بفوقانيته ، وانزوى فى شجر الجميز ، فلم يروه .

فلما ذهبوا ، ركب وسار مسرعا حتى دخل على حسن بيك الجــداوى فى بيته ، وركب مراد بيك وذهب الى بيته ، واجتمع على حسن بيك أغراضه ، وعشيرته ، وأحمد بيك شنن ، وسليمان كتخــدا وموسى أغا الوالى ، وحسن بيك رضـــوان أمير الحج ، وحسن بيك سوق السلاح ، وابراهيم بيك بلفيا ... وكرنكوا فى بيت حسن بيك الجداوى بالداودية ، وعملو متاريس فى ناحية باب زويلة ، وناحية باب الخرق والسروجية والقنطرة الجديدة . واجتمع على مراد بيك خشداشينه وعشريته وهم مصطفى بيك الكبير ومصطفى بيك الصغير وأحمد بيك الــكلارجى . وركب ابراهيم بيك من قبــة العزب ، وطلع الى القلعة ، وملك الأبواب ، وضرب المــدافع على بيت حسن بيك الجــداوى ، ووقع الحــرب بينهم ، وأغلقت الأسواق والحوانيت ، واستمر الضرب بين الفريقين فى الأزقة والحارات . ويزحفون على بعضهم تارة ، ويتأخرون أخرى ، وينقبون البيوت على بعضــهم ، فحصــل الضرر للبيوت الواقعة فى حيزهم ، من النهب والحــرق والقتل . ثم ان المحمدية تسلق منهم طائفــة من الخليــج ، وطلعوا من عند جامــع الحين من بين المتاريس ، وفتحوا بيت عبد الرحمن أغا من ظاهره ، وملكوه ، وركبوا عليه المدافع ، وضربوا على بيت الجداوى، فعند ذلك عاين العلوية الغلب . فركبوا ، وخرجوا من باب زويلة الى باب النصر . والمحمدية

خلفهم ، شاهرين السيوف يحجون بالخيل . فلما خرجوا الى الخلا ، التقوا معهم ، فقتل حسن بيك رضوان أمير الحج ، وأحمد بيك شنن ، وابراهيم بيك بلفيا المعروف بشلاق ، وغيرهم أجناد وكشاف ومماليك . وفر حسن بيك الجداوى ورضوان بيك ، ولم يقتل أحد من المحمديين ، سوى مصطفى بيك الكبير ، أصابته رصاصة فى كتفه ، انقطع بسببها أياما ثم شفى . وأما حسن بيك ورضوان بيك فهربا فى طائفة قليلة ، وخرج عليهم العربان فقاتلوهما قتالا شديدا ، وتفرقا من بعضهما ، وتحلص رضوان بيك وذهب فى خاصته الى شبين الكوم . وأما حسن بيك الجداوى فلم تزل العرب تجاوره حتى أضعفوه ، وتفرق من حوله . وشيخ العربان سعد صحصاح يتبعه ويقول له :

أين تذهب يا ابن الملعون .. ونحو ذلك . ثم حلق عليه رتيمة شيخ عرب بلى ، فتقنطر به الحصان فى مبلة كتان ، فقبضوا عليه وأخذوا سلاحه ، وعروه وكتفوه ، وصفعه رتيمة على قفاه ووجهه ! ثم سحبوه بينهم ماشيا على أقدامه وهو حاف ، وأرسلوا له كاشفا . فلما حضر اليه وواجهه ، لاطفه ، فقال له :

الى آين تذهب بى ؟ فقال له : محل ماتريد . فلما دخل الى مصر سار الى بولاق ، ودخل بيت الشيخ أحمد الدمنهورى ، فركب جماعة كثيرة من المحمدية وذهبوا الى بولاق ، وطلبوه ، فامتنع من اجابتهم . فلم يجسروا على أخذه قهرا من بيت الشيخ ، فداخله الوهم ، وطلع الى السطح ، ونط الى سطح آخر . ولم يزل حتى نزل بالقرب من وكالة الكتان ، فصادف بعض المماليك فضربه ، وأخذ حصانه وركبه ، وذهب راكبا بمفرده ، وأشيع هروبه .

فركبت اليه الأجناد ، وحلقوا عليه الطرق ، فصار يقاتل من يدركه . ولم يجد طريقا مسلوكا الى الخلاء . فدخل المدينة ، وذهب الى بيت ابراهيم بيك فوجده جالسا مع مراد بيك ، فاستجار بابراهيم بيك فأجاره وأمنه ، ومكث فى بيته خمسة أيام وهو كالمختل فى عقله مما قاساه من معانة الموت مرارا .

ثم رسموا له أن يذهب الى جدة وأرسلوه الى السويس فى محفة فلما نزل بالمركب أمر الريس أن يذهب به الى القصير فامتنع ، فأراد قتله ، فذهب بالمركب الى القصير فطلع الى الصعيد .

جمادى الآخرة

فيه : حضر الى مصر سليمان كتخدا الشرايبى ، كتخدا اسماعيل بيك ، وعلى يده مكاتبة من اسماعيل بيك مضمونها : يريد الاذن بالتوجه الى أخميم أو الى السرو ورأس الخليج ، يقيم هناك ، ويبقى ابراهيم بيك قشطة بمصر رهينة ، ويكون وكيله فى تعلقاته وقبض فائضه والصلح أحسن وأولى . فعملوا ديوانا وأحضروا المشايخ والقاضى وعرضوا عليهم تلك المكاتبة ، واشتوروا فى ذلك ، فانحط الرأى بأن يرسلوا له جوابا بالسفر الى جدة من السويس ويطلقوا له فى كل سنة أربعين كيسا وستة آلاف أردب غلال وحبوب ، وأن يرسل ابراهيم بيك صهره كما قال الى مصر ويكون وكيلا عنه ، ومن بصحبته من الأمراء يحضرون الى مصر بالأمان ويقيمون برشيد ودمياط والمنصورة . . ونحو ذلك . وأرسلوا المكاتبة صحبة سليم كاشف تمرلنك أخى اسماعيل بيك المقتول وآخرين .

وفيه : رسموا بنفى ابراهيم بيك أوده باشه وسليمان كتخدا الشرايبى وكان أشيع تقليد ابراهيم بيك الصنجقية فى ذلك اليوم وتهيأ لذلك وحضر فى الصباح عند ابراهيم بيك . فلما دخل رأى عنده مراد بيك فاختليا معه . فأخرج ابراهيم بيك من جيبه مكتوبا مسكوه عليه من اسماعيل بيك خطابا

له ، مضمونه : أنه بلغنا ماصنعت فى ايقاع الفتنة بين الجماعة ، وهلاك الطائفة الخائنة . . وفيه : أن تأخذ من الرجل المعهود كذا من النقود يوزعها على جهات كذا له . وربنا يجمعنا فى خير . فلما تنوله من ابراهيم بيك وقرأه قال فى الجـواب : كل منكم لايجهل مكايد اسماعيل بيك ، وأنـكر ذلك بالكلية . فلم يقبلوا عذره ، ولم يصدقوه ، وقام وذهب الى بيته ، فأرسلوا خلفه محمد كتخدا أباظة ، فأخذه وصحبته مملوكان فقط ، ونزل به الى بولاق ونفوه الى رشيد ، وكذلك نفوا سليمان كتخدا الشرايبى واحتاطوا بموجود ابراهيم بيك .

١١ منه (٧ يولية ١٧٧٨ م) :

وصل ابراهيم باشـا والى جـدة ، وذهب الى العادلية وجلس هناك بالقصر حتى شهلوه ، وسفروه الى السويس بعد ماذهبوا اليه وودعوه .

١٩ منه (١٥ يولية ١٧٧٨ م) :

ركب الأمراء وطلعوا الى باب الينكجرية والعزب وأرسلوا الى الباشـا كتخدا الجاويشـية وأغات المتفـرقة والترجمـان وكاتب حـوالة ، وبعض الاختيارية ، يأمرونه بالنزول الى بيت حسن بيك الجداوى ، وهو بيت الداوودية . فلما قالوا له ذلك قال : وأى شيء ذنبى حتى أعزل ، فرجعوا وأخبروهم بمقالة الباشا ، فأمروا أجنادهم بالركوب ، فطلعوا الى حوش الديوان واجتمعوا به حتى امتلأ منهم ، فارتعب الباشا منهم ، فركب من سـاعته ونزل من القلعة الى بيت الداوودية ، وأحضروا الجمال وعزلوا متاعه فى ذلك اليوم . فكانت مدة ولايته سـنتين وثلاثة أشهر .

رجب

٢١ منه (١٥ اغسطس ١٧٧٨ م - ١٠ مسرى ١٤٩٤) :

كان وفاء النيل المبارك . وزاد النيل فى هـذه السنة زيادة مفرطة ، حتى انقطعت الطرقات من كل ناحية واستمر الى آخر توت (اكتوبر ١٧٧٨ م) .

شعبان

٢٢ منه (١٥ سبتمبر ١٧٧٨ م) :

حضر من أخبر أن جمـاعة من الأجناد حضروا من ناحية غزة وصحبتهم عبد الرحمن أغا مستحفظان على الهجن ، ومروا من خلف الجرة ، وذهبوا الى قبلى ، وتخلف عنهم عبـد الرحمن أغا فى حلوان لغرض من الأغراض ، ينتظره من مصر . فركب من ساعته مراد بيك فى عدة ، وذهبوا الى حلوان ليلا على حين غفلة واحتاطوا بها وبدار الأوسية وقبضوا على عبد الرحمن أغا وقطعوا رأسه . ورجع مراد بيك وشق المدينة ، والرأس أمامه على رمح . ثم أحضروا جثته الى بيته الصغير بالكعكيين ، وغسلوه وكفنوه ، وخرجوا بجنازته وصـلوا عليـه بالماردانى . ثم ألحقوا به الرأس فى الرميلة ، ودفنـوه بالقرافة ، ومضى أمره .

رمضان

فى اواخره (اكتوبر ١٧٧٨ م) :

هرب رضوان بيك على شبين الكوم وذهب الى قبلى . فلمـا فعل ذلك عينوا ابراهيم بيك الوالى ، فنزل الى رشـيد وقبض على على بيـك الحبشى وسليمان كتخدا وقتلهما ، وأما ابراهيم بيك أوده باشه فهرب الى القبطان واستجار به .

شـــوال

١٩ منه (١٠ نوفمبر ١٧٧٨ م) :

خرج المحمل والحجاج صحبة أمير الحج رضوان بيك بلفيا .

٢٧ منه (١٨ نوفمبر ١٧٧٨ م) :

سافر المحمل من البركة .

ذو القعـــدة

١٥ منه (٤ ديسمبر ١٧٧٨ م) :

نزل أرباب العكاكيز وهم على كتخدا جاوجان وأغات المتفرقة والترجمان ، وكاتب حوالة وأرباب الخدم ، وسافروا لملاقاة الباشا الجديد .

سنه ١١٩٣ هجريه

المحـــرم

السبت ٥ منه (٢٣ يناير ١٧٧٩ م) :

وصل الى مصر اسماعيل باشا والى مصر ، وبات ببر انبابة ليلة السبت المذكور ، وركب الأمراء فى صبحها وقابلوه ، ورجعوا وعدى الآخـر وركب الى العادلية وجلس بالقصر ، وتولى أمر السماط مصطفى بيك الصغير .

الثلاثاء ٩ منه (٢٧ يناير ١٧٧٩ م) :

ركب الباشـا بالموكب ودخل من باب النصر ، وشق القاهرة وطلع الى القلعة ، وعملوا له شنكا ومدافع ، ووصل الخبر بنزول اسماعيل بيك الى البحر وسفره من الشام الى الروم .. وغاب أمره

ربيـع الأول

فى اواخره (ابريل ١٧٧٩ م) :

وقعت حادثه بالجامع الأزهر بين طائفة الشوام وطائفة الأتراك بين المغرب والعشاء . فهجم الشوام على الأتراك وضربوهم . فقتلوا منهم شخصـا وجرحوا منهم جماعة . فلما أصبحوا ذهب الأتراك الى ابراهيم بيك ، وأخبروه بذلك ، فطلب الشيخ عبد الرحمن العرايشى مفتى الحنفية ، والمتكلم على طائفة الشوام وسأله عن ذلك ، فأخبره عن أسماء جماعة ، وكتبهم فى ورقة ، وعرفه أن القاتلين تغيبوا وهربوا ، ومتى ظهروا أحضرهم اليه .. ولما توجه من عنده تفحص ابراهيم بيك عن مسميات الأسماء ... فلم يجد لهم حقيقة ! . فأرسل الى الشيخ أحمـد العروسى شيخ الأزهر وأحضر بقية المشايخ وطلب الشيخ عبد الرحمن فتغيب ، ولم يجدوه ، فاغتاظ ابراهيم بيـك ومراد بيك وعزلوه عن الافتـاء ، وأحضروا الشـيخ محمد الحريرى وألبسوه خلعة ليكون مفتى الحنفية عوضا عن الشيخ عبد الرحمن ، وحثوا خلفه بالطلب ليحرجوه من البلدة منفيافشفع فيه شيخ السادات ، وهرب طائفة الشوام بأجمعهم ، وسمر الأغا رواقهم ، ونادوا عليهم . واستمر الأمر على ذلك أياما ، ثم منعوا المجـادلة والطبرية من دخول الرواق ، ويقطع من خبزهم مائة رغيف تعطى للأتراك دية المقتولين ، وكتب بذلك محضر باتفاق المشايخ والأمراء ، وفتحوا الرواق ، ومرض الشيخ العريشى من قهره .. وتوفى .

جمـــادى الآخرة

(يونية ١٧٧٩ م) :

جاءت الأخبـار بأن حسن بيك ورضوان بيك قوى أمرهم ، وجمعـوا جموعا ، وحضروا الى دجرجا ، والتف عليهم أولاد همـام والجعـافرة واسماعيل أبو على . فتجهز مراد بيك وسافر قبله أيوب بيك الصغير . ثم سافر هو أيضا . فلما قربوا من دجرجا ، ولى القبالى وصعدوا الى فوق ، فأقام مراد بيك فى دجرجا الى أوائل رجب . وقبض على

اسماعيل أبى على وقتله ونهب ماله وعبيده ، وفرق بلاده على كشافه وجماعته .

رجب

١٥ منه (٢٩ يولية ١٧٧٩ م) :

ظهر بمصر وضواحيها مرض . سموه بأبى الركب، وفشا فى الناس قاطبة حتى الأطفال . وهو عبارة عن حمى ، ومقدار شدته ثلاثة أيام . وقد يزيد على ذلك ، وينقص بحسب اختلاف الأمزجة ، ويحدث وجعا فى المفاصل والركب والأطراف ، ويوقف حركة الأصابع وبعض ورم ، ويبقى أثره أكثر من شهر ، ويأتى الشخص على غفلة ، فيسخن البدن ويضرب على الانسان دماغه وركبه ، ويذهب بالعرق والحمام .. وهو من الحوادث الغريبة .

٢٠ منه (٣ اغسطس ١٧٧٩ م) :

وصل مراد بيك من ناحية قبلى ، وصحبته منهوبات وأبقار وأغنام كثيرة .

٢٢منه (٥ اغسطس ١٧٧٩ م ــ ٢ مسرى ١٤٩٥):

أوفى النيل المبارك . ثم زاد فى ليلتها زيادة كثيرة حتى علا على السد وجرى المــاء فى الخليج بنفسه . وأصبح الناس فوجدوا الخليج جاريا ، وفيه المراكب . فلم تحصل الجمعية ، ولم ينزل الباشا على العادة .

شعبان

فى اواخره (سبتمبر ١٧٧٩ م)

وصل الى مصر قابجى باشا وبيده أوامر بعزل اسماعيل بيك عن مصر ، ويتوجه الى جدة . وأن ابراهيم باشا والى جدة ، يأتى الى مصر . وفرمان آخر بطلب الخزينة .

شوال

(اكتوبر ــ نوفمبر ١٧٧٩ م) :

فيه : وصلت الأخبار بموت على بيك السروجى وحسن بيك سوق السلاح بغزة .

١٨ منه (٢٩ اكتوبر ١٧٧٩ م) :

عمل موكب المحمل ، وخرج الحجاج وأمير الحج مراد بيــك ، وخرج فى موكب عظيم وطلب كثير وتفاخر . وماجت مصر وهاجت ، فى أيام خروجه ، بسبب الأطلاب ، وجمع الأموال ، وطلب الجمال والبغال والحمير . وغصبوا بغــال الناس ، ومن وجدوه راكبا على بغلة أنزلوه عنها ، وأخذوها منه قهرا . فان كان من الناس المعتبرين أعطوه ثمنهــا والا فلا ، وغلت أسعارها جدا ! .

ولم يعهد حج مثل هــذه السنة فى كل شىء . وسافر فيه خلائق كثيرة من سائر الأجناس ، وسافر صحبة مراد بيك أربعة صناجق ، وهم : عبد الرحمن بيك عثمان ، وسليمان بيك الشابورى ، وعلى بيك المــالطى ، وذو الفقار بيك ، وأمراء وأغوات .. وغير ذلك أكابر كثيرة وأعيان وتجار .

وفيه : حضر واحد أغا وعلى يده تقرير لاسماعيل باشا على مصر كما كان .. وكان ــ لما أتاه العزل ــ نزل من القلعة فى غرة رمضان ، وصــام رمضان فى مصر العتيقة . ولمــا انقضى رمضان تحول الى العادلية ليتوجه الى السويس ويذهب الى جــدة ــ حسب الأوامر الســابقة ــ فقــدر الله بموت ابراهيم باشا ، وحضر التقرير له بالولاية ثانيا .

ذو القعــدة

٦ منه (١٥ نوفمبر ١٧٧٩ م) :

ركب اسماعيل باشا الى القلعة من باب الجبل . بعد التقرير له بالولاية ثانيا .

سنة ١١٩٤ هجرية

صفر

١١ منه (١٧ فبراير ١٧٨٠ م) :

دخل الحجاج الى مصر وأمير الحج مراد بيك ، ووقف لهم العربان فى الصفرة والجديدة ، وحصروا الحجاج بين الجبال وحاربوهم نحو عشر ساعات ومات كثير من الناس والغز والأجناد ، ونهبت بضائع وأحمال كثيرة ، وكذلك من الجمال والدواب . والعرب بأعلى الجبال ، والحج أسفل ... كل ذلك والحج سائر .

رجب

٣ منه (٥ يولية ١٧٨٠ م) :

اجتمع الأمراء ، وأرسلوا الى الباشا أرباب العكاكيز ، وأمروه بالنزول من القلعة معزولا . فركب فى الحال ونزل الى مصر العتيقة ، ونقلوا عزاله ومتاعه فى ذلك اليوم . واستلموا منه الضربخانة ، وعمل ابراهيم بيك قائمقام مصر . فكانت مدة ولاية اسماعيل باشا — فى هذه المرة — ثمانية أشهر تنقص ثلاثة أيام .

وكان أصله رئيس الكتاب باسلامبول ، وكان مراد بيك .. هذا ، أصله من مماليكه . ا فباعه لبعض التجار فى معاوضة ، وحضر الى مصر ولم يزل حتى صار أميرها . وحضر سيده هذا فى أيام امارته ... وهو — مراد بيك — الذى عزله من ولايته ، ولكن كان يتأدب معه ، ويهابه كثيرا ، ويذكر سيادته عليه . وكان هذا الباشا أعوج العنق للغاية ، وكان قد خرج له خراج فعالجه بالقطع فعجزت العروق ، وقصرت ، فاعوج عنقه ، وصارت لحيته عند صدره ، ولا يقدر على الالتفات الا بكليته ... الا أنه كان رئيسا عاقلا ، صاحب طبيعة ، ويحب المؤانسة والمسامرة .

شعبان

١٠ منه (١١ اغسطس ١٧٨٠ م — ٧ مسرى ١٤٩٦) :

أوفى النيل المبارك ، وكسر السد فى صبحها ، بحضرة ابراهيم بيك قائمقام مصر والأمراء .

وفى أواخره (اغسطس ١٧٨٠ م) :

شرع الأمراء فى تجهيز تجريدة ، وسفرها الى جهة قبلى ، لاستفحال أمر حسن بيك ورضوان ، وانه انضم اليهم كثير من الأجناد وغيرهم ، وذهب اليهم جماعة اسماعيل بيك . فعندما تحققوا ذلك ، أخذوا فى تجهيز تجريدة وأميرها مراد بيك وصحبته ، وطلبوا الاحتياجات واللوازم ، وحصل منهم الضرر . وطلب مراد بيك الأموال من التجار وغيرهم .. مصادرة ، وجمعوا المراكب ، وعطلوا الأسباب ، وبرزوا بخيامهم الى جهة البساتين .

شوال

٢٠ منه (١٩ اكتوبر ١٧٨٠ م) :

كان خروج المحمل والحجاج صحبة أمير الحج مصطفى بيك الصغير .

سنة ١١٩٥ هجرية

المحرم

١٥ منه (١١ يناير ١٧٨١ م) :

قبض ابراهيم بيك على ابراهيم أغا بيت المال ، المعروف بالمسلمانى ، وضربه بالنبابيت حتى مات وأمر بالقائه فى بحر النيل ، فألقوه وأخرجه عياله بعد أيام من عند شبرا فأتوا به الى بيته وغسلوه وكفنوه ودفنوه .. ولم يعلم لذلك سبب .

صفر

١٦ منه (١١ فبراير ١٧٨١ م) :

نزل الحجاج ودخلوا الى مصر صحبة المحمل ، وأمير الحج مصطفى بيك .

١٩ منه (١٤ فبراير ١٧٨١ م) :

جاءت الأخبار بأن اسماعيل بيك وصل من الديار الرومية الى أدرنة وطلع من هناك ، ولم يزل يتحيل حتى خلص الى الصعيد وانضم الى حسن بيك ورضوان بيك وباقى الجماعة .

فى أواخره (فبراير ١٧٨١ م) :

وصلت الأخبار من ناحية قبلى بأن مراد بيك خنقه ابراهيم بيك أودة باشا ... قيل انه اتهمه بمكاتبات الى اسماعيل بيك ، وحبس جماعة آخرين خلافه .

وفيه : وصلت الأخبار بورود باشا الى ثغر الاسكندرية واليا على مصر ، وهو محمد باشا ملك .

جمادى الأولى

٦ منه (٣٠ ابريل ١٧٨١ م) :

وصل مراد بك ومن معه الى مصر ، وصحبته ابراهيم بيك قشطة : صهر اسماعيل بيك ، وسليم بيك : أحد صناجق اسماعيل بيك .. بعد ما عقد الصلح بينه وبينهم . وأحضر هؤلاء — صحبته — رهائن .

وأعطى لاسماعيل بيك .. أخميم وأعمالها ، وحسن بيك .. قنا وقوص وأعمالها ، ورضوان بيك .. اسنا .

ولما تم الصلح بينه وبينهم على ذلك ، أرسل لهم هدايا وتقادم ، وأحضر صحبته من ذكر .. فكانت مدة غيابه ثمانية أشهر وأياما ، ولم يقع بينهم مناوشات ولا حرب : بل كانوا يتقدمون بتقدمه ، ويتأخرون بتأخره حتى تم ما تم .

وفى منتصفه (٩ مايو ١٧٨١ م) :

سافر على أغا كتخدا الجاويشية ، وأغات المتفرقة والترجمان ، وباقى أرباب الخدم .. لملاقاة الباشا .

رجب

فى غرته (٢٣ يونية ١٧٨١ م) :

وصل الباشا الى بر انبابة ، وبات هناك . وعدت الأمراء فى صبحها للسلام عليه ، ثم ركب الى العادلية .

وفى يوم الاثنين ركب الباشا بالموكب من العادلية ودخل من باب النصر ، وشق من وسط المدينة ، وطلع الى القلعة ، وضربوا له المدافع من باب الينكجرية .. وكان وجيها ، جليلا ، منور الوجه والشيبة .

وفى يوم الخميس عملوا الديوان ، وحضر الأمراء والمشايخ ، وقرىء التقليد بحضرتهم ، وخلع على الجميع الخلع المعتادة .

شعبان

١٤ منه (٦ اغسطس ١٧٨١ م) :

يوم الأحد المبارك ، ليلة النصف من شعبان ، الموافق لأول مسرى القبطى (١٤٩٧) ، كان وفاء النيل المبارك ، ونزل الباشا ، وكسروا السد بحضرته على العادة صبح يوم الاثنين .

* * *

وممن مات فى هذه السنة الامام الفصيح ، المعتقد الشهير الذكر الشيخ ابراهيم بن محمد بن عبد السلام الرئيس الزمزمى المكى الشافعى . ولد بمكة سنة ١١١٠ هجرية . ولازم المرحوم الوالد حسن الجبرتى — سنة مجاورته بمكة — ملازمة كلية ، وأخذ عنه علم الفلك والأوفاق والاستخراجات والرسم وغير ذلك . ومهر فى ذلك واقتنى كتبا نفيسة فى سائر العلوم بددها اولاده من بعده وباعوها بأبخس الأثمان !

وكان عنده ، من جملة كتبه ، زيج الراصد لغيبك السمرقندى ، نسخة شريفة بخط العجم (الخط الفارسى) ، فى غاية الجودة والصحة والاتقان ، وعليها تقييدات وتحريرات وفوائد شريفة لا يسمح الدهر بمثل تلك النسخة . وكنت كثيرا ما أسمع من المرحوم الوالد ذكرها ومدحتها ، ويقول : ليس فى الدنيا الا نسختى ونسخة الشيخ ابراهيم الزمزمى ونسخة حسن افندى قطه مسكين! ولا يعتمد على غيرهم فى الصحة ، لأنهم كتبوا وصححوا فى عهد الراصد .

ونسخة الوالد مكتوب عليها بخط رستم شاه ما نصه : « قد أشترينا هذا الكتاب فى دار سلطنة هراة باثنى عشر ألف دينار » .. وتحت ذلك اسمه وختمه .

فلما كان فى سنة ست وتسعين ورد علينا بعض الحجاج الجزائرية وسألنى عن كتب يشتريها — من جملتها الزيج المذكور — وأرغبنى فى زيادة الثمن ، فلم تسمح نفسى فى شىء من ذلك .

ثم سافر الى الحج ورجع وأتانى ، ومع خادمه رزمة كبيرة فوضعها بين أيدينا وفتحها وأخرج منها نسخة الزيج المذكورة ، وفرجنى عليها ، وقال : أيهما أحسن ؟ نسختك التى ضننت بها ، أو هذه ؟ .. وكنت لم أرها قبل ذلك . فرأيتها شقيقتها ، وتزيد عنها فى الحسن صغر حجمها ، وكثرة التقييدات بهامشها ، وطيارات كثيرة بداخلها فى المسائل المعضلة — مثل التسييرات والانتهاءات والنموذارات وغير ذلك — وجميعها بحسن الخط والوضع ، فرأيتها المخدرة التى كشفت عنها القناع ، وانما هى المشوقة بالسماع (١) ..

فقلت له : كيف وصلت الى هذه اليتيمة ؟ وما مقدار ما دفعته فيها من المهر والقيمة ؟

فأخبرنى أنه اشتراها من ابن الشيخ بعشرين ريالا .. وكتاب المجسطى ، وكتاب التبصرة ، وشرح التذكرة ، ونسخة البارع فى غاية الجودة ، وزيج ابن الشاطر ، وغير ذلك من الكتب التى لا توجد فى خزائن الملوك .. وكلها بمثل ذلك الثمن البخس ...

فقضيت أسفا ! وأخذ الجميع مع ما أخذ ، وذهب الى بلاده .

وهكذا حال الدنيا !

سنة ١١٩٦ هجرية

صفر

(اواخر يناير واوائل فبراير ١٧٨٢ م) :

نزل مراد بيك وسرح (!) بالاقاليم البحرية ، وطاف البلاد بالشرقية ، وطلب منهم أموالا ، وفرد عليهم مقادير من المال عظيمة ، وكلفا وحق طرق معينين .. وغير ذلك ما لا يوصف !

ثم نزل الى الغربية وفعل بها كذلك ، ثم المنوفيه

شعبان

فى منتصفه (٢٦ يولية ١٧٨٢ م) :

ورد آغا بطلب محمد باشا ملك الى البتات ليتولى الصدارة ، فنزل من القلعة الى قصر العينى ، وأقام بقية شهر شعبان ، ونزل فى غرة رمضان وسافر الى الاسكندرية .. فكانت مدة ولايته ١٣ شهرا ونصفا .

وهاداه الأمراء ولم يحاسبوه على شىء . ونزل فى غاية الاعزاز والاكرام .

وكان من أفاضل العلماء ، متضلعا من ستائر

(١) حين تدلهم الحوادث ، وتدهم الخطوب ، وتتوالى الكوارث على أمة يكتنفها الظلام الحالك من جميع جنباتها ونواحيها .. لم تجد — تحت رماد نكباتها المتكاثف — هذا الوهج المقدس من حب العلم ، وهذا الافتتان والشغف بكتبه .. تعلم ان هذه أمة لن تخمد لها جذوة ، ولن ينطفىء لها نور ، ولن يخبو لها شعاع ...

الفنون ، ويحب المذاكرة والمباحثة والمسامرة وأخبار التواريخ وحكايات الصالحين وكلام القوم. وكان طاعنا فى السن ، منور الشيبة ، متواضعا .

رمضان

اواسطه (اواخر اغسطس ١٧٨٢ م) :

حضر الباشا الجديد ، ونزل اليه الملاقاة .

شوال

١٠ منه (١٨ سبتمبر ١٧٨٢ م) :

طلع الباشا الجديد الى قصر العينى ، فبات به وركب بالموكب فى صبحها ، ومر من جهة الصليبة ، وطلع الى القلعة .. وذلك على خلاف العادة .

وفيه : جاءت الأخبارعلى أيدى السفارالواصلين من اسلامبول بأنهوقع بها حريقعظيم لم يسمعبمثله . واحترق منها نحو الثلاثة أرباع ، واحترق خلق كثير فى ضمن الحريق ، وكان أمرا مهولا .

وبعد ذلك حصل بها فتنة أيضا ، ونفوا الوزير عزت محمد باشا وبعض رجال الدولة .

ذو القعدة

ليلة ١٨ منه (٢٥ اكتوبر ١٧٨٢ م) :

هرب سليم بيك وابراهيم بيك قشطة ، وتبعهم جماعة كبيرة نحو الثمانين ، فخرجوا ليلا على الهجن وجرائد الخيل ، وذهبوا الى الصعيد .

وأصبح الخبر شائعا بذلك ، فارتبك ابراهيم بيك ومراد بيك . ونادى الأغا والوالى بترك الناس المشى بعد العشاء .

سنة ١١٩٧ هجرية

فيها تسحب أيضا جماعة من الكشاف والمماليك ، وذهبوا الى قبلى .

فشرعوا فى تجهيز تجريدة ، وعزم مراد بيك على السفر ، وأخذ فى تجهيز اللوازم ، فطلب الأموال ، فقبضوا على كثير من مساتير الناس والتجار والمتسببين .. وحبسوهم وصادروهم فى أموالهم ، وسلبوا ما بايديهم .. فجمعوا من المال ما جاوز الحد ، ولا يدخل تحت العد !

ربيع الآخر

فى منتصفه (٢٠ مارس ١٧٨٣ م) :

برز مراد بيك للسفر ، وأخرج خيامه الى جهة البساتين ، وخرج صحبته الأمير لاچين بيك ، وعثمان بيك الشرقاوى ، وعثمان بيك الأشقر ، وسليمان بيك أبو نبوت . . وكشافهم ومماليكهم وطوائفهم ، وسافروا بعد أيام .

جمادى الآخرة

فى اواخره (اواخر مايو ١٧٨٣ م) :

وردت الأخبار بأن رضوان بيك — قرابة على بيك — حضر الى مراد بيك وانضم اليه . فلما فعل ذلك انكسرت قلوب الآخرين وانخذلوا ورجعوا القهقرى ، ورجع مراد بيك أيضا الى مصر ، وترك هناك مصطفى بيك ، وعثمان بيك الشرقاوى ، وعثمان بيك الأشقر .

رجب

٢٦ منه (٢٧ يونية ١٧٨٣ م) :

اتفق مراد بيك وابراهيم بيك على نفى جماعة من خشداشينهم ، وهم ابراهيم بيك الوالى ، وأيوب بيك الصغير ، وسليمان بيك الأغا ورسموا لأيوب بيك أن يذهب الى المنصورة فأبى وامتنع من الخروج ، فذهب اليه حسن كتخدا الجربان — كتخدا مراد بيك — واحتال عليه ، فركب وخرج الى غيط مهمشة ، ثم سافر الى المنصورة . .

وأما ابراهيم بيك الوالى فركب بطوائفه ومماليكه وعدى الى بر الجيزة ، فركب خلفه على بيك أباظة ولاچين بيك ، وحجزوا هجنه وجماله عند المعادى ، وعدوا خلفه فأدركوه عند الأهرام ، فاحتالوا عليه وردوه الى قصر العينى ، ثم سفروه الى ناحية السرو ورأس الخليج .

وأما سليمان بيك فانه كان غائبا باقليم الغربية والمنوفية يجمع من الفلاحين فردا وأموالا ومظالم ! فلما بلغه الخبر رجع الى منوف ، فحضر اليه المعينون لنفيه ، وأمروه بالذهاب الى المحلة الكبرى ، فركب بجماعته وأتباعه فوصل الى مسجد الخضر ، فاجتمع بأخيه ابراهيم بيك الوالى هنالك ، فأخذه صحبته وذهبا الى جهة البحيرة .

فى غايته (أول يولية ١٧٨٣ م) :

طلع الأمراء الى الديوان ، وقلدوا خمسة من آغوات الكشاف صناجق ، وهم : عبد الرحمن خازندار ابراهيم بيك سابقا ، وقاسم أغا كاشف المنوفية سابقا (وعرف بالموسقو) وهو من مماليك محمد بيك واشراق ابراهيم بيك ، وحسين كاشف (وعرف بالشفت بمعنى اليهودى) ، وعثمان كاشف ، ومصطفى كاشف السلحدار .. وهؤلاء الثلاثة من طرف مراد بيك .

شعبان

(يولية ١٧٨٣ م) :

وردت الأخبار من ثغر سكندرية بوصول باشا الى الثغر — واسمه محمد باشا السلحدار — واليا على مصر ، فنزل الباشا القديم من القلعة الى القصر بشاطىء النيل .

فى أواخره (أواخر يولية ١٧٨٣ م) :

وصل سلحدار الباشا الجديد بخلعة قائمقامية لابراهيم بيك .

وفيه : وصلت الأخبار بأن سليمان بيك وابراهيم بيك رجعوا من ناحية البحيرة الى طندتا ، وجلسوا هناك ، وأرسلوا جوابات الى الأمراء بمصر بذلك ، وأنهم يطلبون أن يعينوا لهم ما يتعيشون به

وفيه : أرسلوا خلعة الى عثمان بيك الشرقاوى بأن يستقر حاكما بجرجا ، وطلبوا مصطفى بيك ، وسليمان بك أبا نبوت ، وعثمان بيك الأشقر للحضور لمصر ... فحضروا واستقر عثمان بيك الشرقاوي بجرجا

رمضان

فى غرته (٣١ يولية ١٧٨٣ م) :

هرب سليمان بيك الأغا ، وابراهيم بيك الوالى من طندتا وعدوا الى شرقية بلبيس ، ومروا من خلف الجبل ، وذهبوا الى الصعيد . ورجع على كتخدا ، ويحيى كتخدا سليمان بيك ، الى مصر بالحملة والجمال وبعض مماليك وأجناد .

فى أواخره (أواخر اغسطس ١٧٨٣ م) :

هرب أيضا أيوب بيك من المنصورة وذهب الى الصعيد أيضا . وتواترت الأخبار بأنهم اجتمعوا مع بعضهم واتفقوا على العصيان . فأرسلوا لهم محمد كتخدا أباظه ، وأحمد أغا جمليان ، وطلبوهم الى الصلح ، ويعينون لهم أماكن يقيمون بها ويرسلون لهم احتياجاتهم . . فأبوا ذلك . فطلبوا عثمان بيك الشرقاوى ومصطفى بيك للحضور فامتنعا أيضا ، وقالا : لا نحضر ولا نصطلح الا ان رجع اخواننا رجعنا معهم ، ويردون لهم امرياتهم وبلادهم وبيوتهم ، ويبطلوا من صنجقوه وأمروه عوضهم .

فلما حضر الجواب بذلك شرعوا فى تجهيز تجريدة ، وأخذوا يفتشون أماكن الأمراء المذكورين ، فأخذوا ماوجدوه بمنزل مصطفى بيك.

واتهموا أناسا بأمانات وودائع لمصطفى بيك وعثمان بيك الشرقاوى ، منهم الدالى ابراهيم وغيره ، فجمعوا بهذه « النكتة ! » أموالا كثيرة .. حقا وباطلا ..

شوال

٢٠ منه (١٨ سبتمبر ١٧٨٣ م) :

كان خروج المحمل والحجاج ، وأمير الحج مصطفى بيك الكبير .

ولما انقضى أمر الحج برزوا للتجريدة — وأميرها ابراهيم بيك الكبير — وجمعوا المراكب وحجزوها من أربابها ، وعطلوا أسباب التجارة والمسافرين ، وجمعوا الأموال — كما تقدم — من المصادرات والملتزمين والفلاحين وغير ذلك .. وكان أمرا مهولا أيضا !

وبعد أيام وصل الخبر بأن ابراهيم بيك ضمهم للصلح واصطلح معهم ، وأنه واصل صحبتهم جميعا .

ذو القعدة

١٦ منه (١٣ أكتوبر ١٧٨٣ م) :

حضر ابراهيم بيك ، ووصل بعده الجماعة ، ودخلوا الى مصر ، وسكنوا فى بيوت صغار — ما عدا عثمان بيك ومصطفى بيك فانهم نزلوا فى بيوتهم .

وحضر صحبتهم أيضا على بيك وحسين بيك الاسماعيلية ، فلم يعجب مراد بيك ما فعله ابراهيم بيك ، ولكن أسره فى نفسه ، ولم يظهره . وركب للسلام على ابراهيم بيك فقط فى الخلاء ولم يذهب الى أحد من القادمين .

وسكن الحال على ذلك أياما ، و ع ابراهيم بيك فى اجراء الصلح وصفاء الخاطر بينهم وبين مراد بيك ، وأمرهم بالذهاب اليه ، وسلموا عليه ، ثم ركب هو الآخر اليهم — ما عدا الثلاثة المعزولين — وكل ذلك وهو ينقل فى متاع بيته وتعزيل ما فيه .

ثم انه ركب فى يوم الجمعة وعدى الى جزيرة الذهب ، وتبعه كشافه وطوائفه ، وأرسل الى بولاق وأخذ منها الأرز والغلة والشعير والبقسماط وغير ذلك ، فأرسل له ابراهيم بيك لاچين بيك وسليمان بيك أبا نبوت ليردوه عن ذلك .. فنهرهم وطردهم .. فرجعوا !

ثم انه عدى الى ناحية الشرق وذهب الى قبلى ، وتبعه أغراضه وأتباعه وحملته من البر والبحر .

* * *

وفى هذه السنة قصر مد النيل وانهبط قبل الصليب بسرعة ، فشرقت الأراضى القبلية والبحرية وعزت الغلال بسبب ذلك ، وبسبب نهب « الأمراء ! » ، وانقطاع الوارد من الجهة القبلية .

وشطح سعر القمح الى عشرة ريالات الاردب ، واشتد جوع الفقراء .

ووصل مراد بيك الى بنى سويف ، وأقام هناك وقطع الطريق على المسافرين ، ونهبوا كل ما مر بهم فى المراكب الصاعدة والهابطة ..

> **اذا وصل فساد الحكام الى مثل هذا ، فهل ندهش اذا صارت البلاد مطمعا للغزاة والعادين ؟**